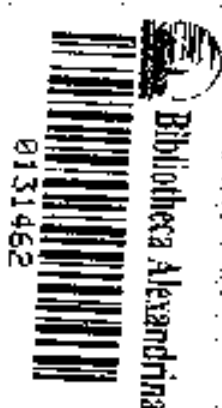


# السُّبُورَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ

دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم،  
وأثرهم في تفسير معاني البشر، بأسلوب يجمع بين الدقة  
والسهولة، والجدّة والتحقيق





الشيخة والأبياء



# النبوة والأنبياء

دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام بآداب عودتهم،  
وأثرهم في فهم مفاهيم البشر، بأسلوب يجمع بين الدقة  
والسهولة، والجدّة والتحقيق

بتأليف  
محمد علي الصابوني

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
بمكة المكرمة

مكتبة الغزالي  
دمشق . ص ٢٤٨

مؤسسة مناهل العرفان  
بيروت . ص ١٢٠٥٩٣١

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الثالثة  
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



مكتبة الغنزي  
دمشق - فعامة . شارع خاندون الوليد .  
جانب جامع زيد بن ثابت الانصاري - صرّيف : ٤٤٨

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

أحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وصفوة الخلائق سيدنا ومولانا محمد النبي بئس الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه نجوم الدجى وشعوس العلم والعرفان . والتابعين هم بإحسان إلى يوم الدين .  
وبعد : فهذه محاضرات في تاريخ الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنقيتها على طلبية كلية الشريعة ودراسات الإسلامية بمكة المكرمة قسم التاريخ ، وقد راعيت فيها الإيجاز والتنضيق للأخبار فتركت الغث وأخذت الصحيح السمين ، واعتمدت على أوثق المصادر ألا وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأكثر من الاستشهاد به ، ثم على أقوال المفسرين الموثوقين ، كما أخذت بالأخبار الثابتة الصحيحة من كلام سيد المرسلين وقد رجعت إلى الكتب التاريخية ، فانتقيت منها الأخبار التي توافق ما جاء في الكتاب والسنة ولا تخالف المعقول : وطرححت منها ما كان من «إسرائيليات» بعيدة عن منطق العقل والدين. وقد رأيت أن أجمعها في كتاب تعميماً للقائدة ونشراً لتعلم . والله أسأل أن ينفع بها أبناءنا الطلاب وأن يجتهدوا خالصة لوجهه الكريم إنه سمح بحيب الدعاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد علي الصابوني

الاستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بمكة المكرمة

غرة رجب الفرد سنة ١٣٩٠ هـ





## الفصل الأول

### النبوة والأنبياء

- ١ - تمهيد
- ٢ - النبوة هبة ربانية
- ٣ - الفرق بين النبوة والملك
- ٤ - ما الفرق بين النبي والرسول
- ٥ - الأنبياء صفوة البشر
- ٦ - محمد سيد الأولين والآخرين
- ٧ - هل يجوز التفضيل بين الأنبياء
- ٨ - لماذا كان الأنبياء بشرًا
- ٩ - مهمة الرسل الكرام



## تهجد :

لا بد قبل البدء في الحديث عن النبوة والأنبياء ؛ أن نوضح معنى النبوة ، وأن نذكر ملاحظها ومزاياها ، وأن نبين صفات الأنبياء وخصائص الدعوة التي جاءوا بها ، ليتبين لنا الأثر العظيم الذي تركه الأنبياء لكرام صلوات الله وسلامه عليهم في المجتمعات التي ولدوا فيها ، وبين الأمم الذين بعثوا إليهم . ومدى هذا التأثير في تغيير مفاهيم الأمم وعقائدهم التي نشأوا عليها ، فقد انتقلوا بهم من الضلمات إلى النور ، واخرجوهم من الضلالة إلى الهدى فكانت دعوة الأنبياء انقذاً للأمم من برائن الشرك والوثنية ، ونظهيراً للمجتمع من آدران التحلل والفساد ، والقوضى والاضطراب .. وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُْ الْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ . وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

فأشارت هذه الآية الكريمة إلى أن الناس كانوا على الهدى وعلى دين الحق ، ولكنهم اختلفوا وتنازعوا وأفسدوا في الأرض : وحادوا عن الطريق القويم ، فبعث الله تعالى لهم النبيين مبشرين ومنذرين .. « روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كانوا على الحق حتى

اختلجوا فبعث الله اليهم نوحاً والنبيين من بعده .  
 وأوضح الباري جل وعلا الغاية من بعثه الرسل الكرام فقال وهو أصدق  
 القائلين : ﴿رُسُلًا مِشْرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّيْكَونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةً بَعْدَ  
 الرُّسُلِ . وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

كما جعل لكل رسول منقذاً لقومه من ظلمات الجهل والضلالة فقال جللت  
 عظمته :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
 النُّورِ . وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ .

### النبوة هبة ربانية :

النبوة فضل إلهي وهبة ربانية ، يهبها الله لمن يشاء من عباده ، ويختص لها  
 من يريد من خلقه ، وهي لا تترك بالحد وانعاب ، ولا تنال بكثرة الطاعة  
 والعبادة ، وإنما هي بمحض الفضل الإلهي ﴿ويختص برحمته من يشاء﴾ ،  
 والله ذو الفضل العظيم ﴿ . !

فهي إذا (اصطفاء واختيار) ولا تكون إلا لمن اختاره الله تبارك وتعالى  
 لها ، ممن هم أهل لحملها ، لأنها حمل ثقيل وتكليف عظيم ، لا يقدر عليه إلا  
 أولو العزم من الرجال ، كما قال تعالى مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿إِنَّمَا  
 سَأَلْتَنِي عِنْدَكَ قَوْلًا نَقِيلاً﴾ . والنبوة لا تكون بالوراثة ، ولا تكون بطريق  
 الغلبة والاستعلاء ، إنما هي اختيار ، يختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل خلقه ،  
 وصفوة عباده ، يختارهم لحمل الرسالة ، ويصطفيتهم من بين سائر البشر لهذا  
 العمل الجليل كما أوضح الباري جل وعلا ذلك في كتابه العزيز فقال ﴿اللَّهُ  
 يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ وقال جللت  
 عظمته ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِيسَى عَلَى الْعَالَمِينَ﴾  
 وقال في معرض الحديث عن بعض الرسل ﴿وإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ  
 الْأَخْيَارِ﴾ .

## اعتراض المشركين على نبوة محمد :

وحين اعتراض المشركون - من كفار قريش - على رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه واستغربوا أن تنزل « الرسالة » على يتيم فقير ، لا يملك من أسباب القوة والغنى شيئاً ، وليس له من مظاهر السلطان والملك ما يجعله في نظرهم عظيماً ، وحين رأوا - بنظرهم القاصر - أن النبوة ينبغي أن تكون لغني عظيم ، شريف ، من السادة والرعاة ، من أشراف قريش وعظماؤها ، ومن ساداتها ووجهاتها ؛ جاء الرد الإلهي الزاجر ، فحكى الله سبحانه وتعالى شبهتهم ، ورد عليهم بأسلوب مفحم قاصم فقال وهو أصدق القائلين ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أ هم يؤمنون برحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، لينخذل بعضهم بعضاً سخريتنا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ .

فآية الكريمة ردت على المشركين سخفهم وحقاقتهم حين زعموا أن النبوة لا تليق إلا برجل من الأغنياء ومن العظماء ، لا بإنسان فقير يتيم كبتيم أبي طالب ، وقد رد الله تعالى عليهم بأن النبوة اصطفاة واختيار ، يختار الله لها من شاء من خلقه ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وإذا كانت النبوة أعظم شأناً من المال والجاه ، والسلطان ، وكانت حكمة الله العلية قد حددت لكل إنسان رزقه ، ولكل مخلوق حظه من المال والرزق ، والمال بالنسبة للنبوة أمر حقير ، فكيف يترك الأمر للجليل العظيم وهو « الرسالة والنبوة » إلى أهواء الناس ورغباتهم ؟؟ فإذا لم يشأ الله تعالى أن يترك أمر الرزق لأهل الأرض بل قسم ووزع وحدد لكل نصيبه فكيف يترك أمر النبوة إلى أهواء الناس ؟ وهذا هو السر الدقيق ، في التعبير بقوله جل وعلا ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ فالذي وهب الرزق هو الذي وهب النبوة .

## الفرق بين النبوة والملك :

إن النبوة هبة من الله ، واختصاص من العلي القدير ، لمن شاء من خلقه ،

وهي تختلف عن الملك والسلطان في نقاط جوهرية ، نذكر منها أهمها وهي :  
أولاً : النبوة لا تكون بالارث فولد النبي لا يكون نبياً بطريق الإرث  
 عن أبيه ، بل هي بمحض تعضل الإلهي ، والاصطفاء الرباني ﴿ ولقد اخترناهم  
 على علم عني العالمين ﴾ ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران  
 على العالمين ﴾ .

ثانياً : النبوة لا تعطى للكافر أبداً ، ولا تعطى إلا للمؤمن ، بخلاف السلطان  
 والملك فقد يعطى لغير المؤمن قال تعالى حكاية عن فرعون ﴿ ونادى فرعونُ  
 في قومهِ قالَ : يا قوم أليس لي ملك مصر ، وهذه الأنهار تجري من تحتي ،  
 أفلا تبصرون ؟ ﴾ وكما قال عن التمرود الذي ادعى الألوهية في زمن إبراهيم  
 الخليل : ﴿ ألم نرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربه أن آتاهُ اللهُ الملكَ ، إذ قال إبراهيمُ  
 ربِّ الذي يحبني ويحبُّ قبيلتي ، قال أنا أحبُّي وأميَّتُ ، قال إبراهيمُ فإنَّ الله يأتي بالشمس  
 من المشرق فأتت بها من المغرب ؟ فبُهِتَ الذي كَفَرَ والله لا يهدي القومَ الظَّالِمِينَ ﴾

ثالثاً : النبوة خاصة بالرجال ، ولا تكون للنساء أبداً <sup>(١)</sup> . والحكمة من تخصيص  
 الرجال بالنبوة دون النساء ان النبوة عبء ثقيل ، وتكليف شاق لا تتحملة طبيعة  
 المرأة الضعيفة ، لأنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة ، ولهذا كان جميع الرسل في  
 حنة قاسية مع أقوامهم ، وابتلوا ابتلاء شديداً في سبيل تبليغ دعوة الله ﴿ فاصبر  
 كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وابتدئ على أن النبوة خاصة بالرجال قوله  
 تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاستووا أهل الذمير إن كنتم  
 لا تعلمون ﴾ . قال في الجوهرية :

« وما كانت نبياً قطُّ أنبي ولا عبداً قبيحاً في الفعاع »

(١) ما يقوله بعضهم ان النبوة قد تكون في النساء مستدلاً بقوله تعالى ( وأوحينا إلى أم موسى  
 أن أرضعيه .. ) الآية . فإن استدلال خاطئ ، لأن الرعي ليس بانزاع ملك وإنما هو بطريق (الإلهام)  
 فقد أخبر تعالى بأن موسى إذ انتحل ( وأوحى إليك إذ انتحل ) انتحل أن انتحى من الجبان بيوتاً .. ) فحين  
 يصح أن نقول ان النحل قد نبأ الله تعالى .

رابعا : انبؤة لها ميدان واسع ، وغرض نبيل ، وهدف من أسمى الأهداف ودعوتها الأساسية : إنما هي الدعوة إلى (الإيمان بالله) والدعوة إلى (الإيمان بالآخرة) ونبذها عن الحياة الدنيا الفانية : التي يطمع فيها كثير من الناس ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ واملئك بتعارض مع هذه الدعوة ، لأنه مظهر من مظاهر العظمة النبوية التي جاء بالترهيد عنها الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم .. فلو كان الأنبياء هم (الملوك) والأمرء والسلاطين ، ثم دعوا الناس إلى الزهد في الدنيا ، والتعلق بالآخرة لما كان لدعوتهم أي وقع أو أثر في النفوس .. لأنهم يعيشون عيش الملوك ثم يزهدون الناس في هذه الحياة والداعي إذا لم يكن بسيرة قدوة فلن يكون لكلامه أي تأثير .. وليس معنى هذا أنه يتمتع اجتماع (النبوة واملئك) في انسان ، فقد يتمتعان في الشخص الواحد كما حصل لسيدنا (سليمان بن داود) عليه السلام : ولكنه قليل ونادر ، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب : فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرئين في الأصفاق . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ .

### ما الفرق بين النبي والرسول ؟

النبي هو : انسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ، ولكنه لم يكلف بالتبليغ .

وأما الرسول فهو : انسان من البشر ، أوحى الله تعالى إليه بشرع ، وأمر بتبليغه . فالرسالة إذا أعلى مرتبة من انبؤة .. لأن كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا ، وعدد الأنبياء لا يحصى إذ يزيد عددهم - على ما جاء في بعض الآثار مائة وعشرين ألفاً (١٢٠) ألفاً<sup>(١)</sup> . أما الرسل فهم قلة ، والذين ذكروا

(١) روى الإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله أي -

في القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلاً وهم (٢٥) خمسة وعشرون وكلهم من الرسل وهم كالآتي :

( آدم ، نوح ، إبراهيم ، إسماعيل ، اسحق ، يعقوب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، زكريا ، يحيى ، إدريس ، يونس ، هود ، شعيب ، صالح ، لوط ، إلباس ، إلبس ، ذو الكفل ، عيسى ، محمد ) صلوات الله عليهم أجمعين .

وهؤلاء يجب الإيمان بهم ( تفصيلاً ) بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم ، لأنهم ذكروا في القرآن الكريم ، أما بقية الأنبياء فيجب الإيمان بهم ( جملة ) بمعنى أن نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز ، لأن الله تبارك وتعالى قد أخبر عنهم بقوله ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً ﴾ .

وقد جمع هؤلاء الرسل في آية كريمة ، ذكر منهم فيها ( ١٨ ) ثمانية عشر ، والسبعة الباقون ذكروا في آيات متفرقة من كتاب الله الكريم . أما الآية الكريمة فهي قوله تعالى : ﴿ وتلك أجيالنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، لأن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ، ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإلياس ، كل من الصالحين وإسماعيل ، وإسحاق ، ويونس ، ولوطاً : وكلاً فضلنا على العالمين . ومن آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم ، وأجنسيتناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾ .

— الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم . قلت يا رسول الله : وربي كان ؟ قال : نعم ، أيي مكرم ، قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر ، جماً غفيراً . وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء قال : مائة ألف وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً . ورواه أحمد .



وقد جمع بقية الرسل في بيتين من الشعر تسهلاً للحفظ وهما :

« في تلكَ حجتنا منهم ثمانيةٌ من بعد عشرٍ ، ويبقى سبعةٌ وهمواهُ  
إدريسُ ، هودٌ ، شعيبٌ ، صالحٌ وكذا ذو الكفلُ ، آدمُ ، بالمختار قدختموا »  
وأما الدليل على أن الرسل الكرام مأمورون بتبليغ الرسالة ، وأنهم يختلفون  
عن الأنبياء في هذه النقطة بالذات ، فهو النص القرآني الكريم وهو قوله تعالى  
﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ، وَكَفَى  
بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وقوله تعالى مخاطباً سيد الرسل :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ  
وَاللَّهُ يَعْصَمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

### الأنبياء صفوة البشر :

اختار الله عز وجل من بين خلقه ، فريقاً من البشر : ليكونوا نموذجاً  
للكمال ، وعنواناً للفضل ، وحملةً لشعل النور والضياء وقادةً لركب الحضارة  
الإنسانية ، على مدى الأزمان وكر الدهور .. واصطفاهم المولى - جلَّت حكمته  
ليكونوا هداةً ومصلحين ، فاخترهم على علمه ، ورباهم على عينه ، وشرفهم  
بأكمل الأوصاف ، فجعلهم أئمةً الدنيا والدين ﴿ وجعلناهم أئمةً يَهْتَدُونَ ﴾  
بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة  
وكانوا لنا عابدين ﴿ .

هؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله هم الأنبياء والمرسلون ، الذين شرفهم  
الله بالنبوة ، وأعطاهم الحكمة ، ورزقهم قوة العقل ، وسداد الرأي ، واصطفاهم  
ليكونوا وسطاءً بينه وبين خلقه ، يبلغونهم أوامر الله عز وجل .. ويخبرونهم  
غضبه وعقابه ، ويرشدونهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

فالأنبيا صوات الله وسلامه عليهم هب نخيرة انخلق ، وصغوة البشر ..  
وهذا الاكرام لهم بالنبوة إنما هو بمحض الفضل الإلهي والحكمة الربانية ، ولا  
يمكن لأحد من البشر - مهما سما في ستم الكمال - أن يتأهل مرتبة النبوة عن  
طريق الرياضة النفسية ، أو الجهد في الطاعة والعبادة : فإن النبوة لا تتأهل بالكسب  
ولا تحصل بالعزم والمثابرة على فعل الخير والطاعة كما مر معنا ، إنما هي هبة  
من الله واصطفاه واختيار ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ ..

### التفاضل بين الأنبياء :

وهؤلاء الأنبياء الأطهار ليسوا بدرجة واحدة من افضل والمكانة ، بل  
بعضهم أفضل من بعض ، فقد جعلهم الله تعالى درجات ، وفي ذلك يقول  
القرآن الكريم ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ .. ويقول  
أيضاً : ﴿ وَالْقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ  
ذُبُورًا ﴾ .

ومن الرسل الكرام من سماهم القرآن الكريم (أولي العزم) وهم قادة  
الأنبياء وسادتهم وقد ذكرهم الله تعالى بالثناء العاطر ، وأمر رسوله صلى الله  
عليه وسلم أن يقتدى بهم في جهادهم وصبرهم ، فقال عز من قائل : ﴿ قاصبر  
كسًا صبرًا أولو العزم من الرسل .. الآية ﴾ .

وإنما سما ( بأولي العزم ) لأن عزائمهم كانت قوية ، وابتلاءهم كان  
شديداً ، وجهادهم كان شاقاً ومريراً .. فمنهم من صبر على البلاء والتكذيب  
القرون الطويلة ، وتعاقبت عليه الأجيال العديدة ، لأنه عمر طويل ، ولكن  
حياته كانت كلها محناً وشدائد ( كنوح ) عليه السلام الذي لبث في قومه قريباً  
من ألف عام ولم يؤمن معه إلا قليل ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً  
إلى قومه فليست فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾

وقال تعالى ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ .

ومنهم من وصلت به الشدة والكربة ، وقال من قومه الشدائد والأهوال ، إلى درجة أنهم حكموا عليه بالتحريق بالنار ، كإبراهيم عليه السلام ، خليل الرحمن ، فقد كانت عقوبته في سبيل تبليغ دعوة الله . الأحرار بالنار ، ولكن عز وجل نجّاه فأمر النار أن تكون برداً وسلاماً عليه ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ . وهكذا بقية أولي العزم كوسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كلهم أودوا ، واضطهدوا وشرّدوا ، فتحملوا الأذى والعلاب ، وصبروا على البلاء والشدة ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا ، وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ولهذا استحقوا أن يكونوا قادة الأنبياء ، وسادة الرسل ، وأن يحملوا اللواء في سبيل عزّة الإنسانية ، وانشأها من براثن الشرك ، والضلال ، إلى نور التوحيد والإيمان .

### محمد سيد الأولين والأخوين :

وأفضل الرسل إنما هو صفوة الخلق ، وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو آخر الأنبياء في البعثة ، وأفضلهم في المنزلة والرتبة .. كما أن القرآن لتعظيم آخر الكسب السماوية وهو أشرفها وأفضلها ، فقد حتم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، كما حتم بالقرآن الكريم الوحي ، فكان ختام المسك . وواسطة العقد ، قال تعالى :

﴿ما كان محمدٌ أبياً أحدٍ من رجالكم ، ولكن رسولَ الله وخاتمِ النبيين ، وكان الله بكلِّ شيءٍ عليماً﴾ .

وبما يدل على أن محمداً ﷺ سيد الرسل وأفضل الأنبياء والمرسلين ، أنه لم يبعث نبي قط إلا وقد أخذ الله تعالى عليه العهد والميثاق إن أدرك محمداً في حياته ليؤمنن به ، وليكونن من أنصاره وأتباعه فهذا من أعظم الشواهد على جليل قدره ، وعظيم فضله ﷺ ، وفي ذلك يقول المولى عز وجل :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِيَيْنَ ، لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ رَبِّي  
 وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ،  
 قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا : أَقْرَرْنَا ، قَالَ  
 فَاشْهَدُوا ۗ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ ﴾

ونقد قان صلوات الله وسلامه عليه ميبناً علو الترتلة التي أعطاه إياها بالسيادة  
 في الدنيا والآخرة :

( أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ،  
 وما من نبي ، آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول  
 مشفع ، وأنا أول من يحرك خلق الجنة ، فيدخلها الله ومعي فقراء المؤمنين  
 ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخريين على ربي ولا فخر .. ) (رواه الرمذي)  
 وأشار العلامة (القاضي عياض) في كتابه (الشفاه) إلى منزع لطيف من  
 القرآن الكريم في أفضلية الرسول ﷺ على سائر الرسل الكرام ، وبيان أنه  
 أشرفهم وأفضلهم . وذلك لأن الله تعالى قد خاطب الرسل وناداهم بأسمائهم  
 فقال عز من قائل في شأن إبراهيم عليه السلام :

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۗ إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾

وقال في حق نوح عليه السلام : ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ  
 وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ .. ﴾

وقال في نداء موسى عليه السلام : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ  
 بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ ﴾

وقال مخاطباً عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ بَنَ مَرْيَمَ  
 أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي الْيَهُودِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ

(1) ميثاق النبيين : الميثاق : العهد الموكد .

(2) لما آتيتكم من كتاب : أي بسبب نفي عنكم بالنبوة ولرسلي .

(3) اصري : أي عهدي ، فقد أخذ الله العهد على جميع الأنبياء أنهم إن ادركوا زمان محمد  
 أن يؤمنوا به ويتصروا به ، ويتصروا تحت لوائه ويعبجوا من اتباعه حتى الله عليه وسلم .

لي أن أقول ما يسّر لي بحق ﴿ الآية .

وهكذا بنية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ناداهم بأسمائهم التي سموا بها إلا خاتم الرسل ﷺ فقد خاطبه الله تعالى بوصف النبوة أو الرسالة ، اظهاراً لعظيم قدره ، وجلال فضله ، فقال عز من قائل :

﴿ يا أيها النبي إذا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴿

وقال تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴿

وقال جلّت حكمته :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تعمل فصا بلغت

رسالتك والله يعصمك من الناس ﴿

وقال جل شأنه :

﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا

آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .. الآية ﴿

ولا نجد في كتاب الله عز وجل آية فيها خطاب للذي ﷺ باسمه الصريح ، مثل ما جاء في خطاب الأنبياء ، وإنما كثر الآيات الكريمة تخاطبه بنفط النبوة وليس في الآيات الكريمة آية واحدة تقول يا محمد .. وهذا من ألفت الاشارات إلى عظيم قدره ﷺ . وإذ أنه أفضل الرسل على الاطلاق (١) .

فصلوات ربي وسلامه على صفوة الخلق ، الشعوث رحمة للعالمين ، الذي خصه الله تبارك وتعالى بالشرف العظيم الذي لا يناديه فيه أحد ، وجعله سيد الأولين والآخرين ، ولقد أحسن من قال :

«محمد صفوة الباري ورحمته وحيرة الله من عرب ومن عجم»

### هل يجوز التفضيل بين الأنبياء ؟

وقد يقول قائل : كيف تفضلون بين الأنبياء والرسل ، وقد قال القرآن

(١) انظر كتاب انشاء لقاضي ميانر .

الكريم : ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله .. ﴾ ٩٩

والجواب . أن المراد في الآية الكريمة من التفريق بين الرسل هو أن يؤمن الإنسان ببعض نرسله ويكفر ببعض ، كما فعل أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) حيث آمنوا برسالة بعض الأنبياء وكفروا برسالة الآخرين ، ففرقوا بين الرسل ، وقد وضع الله سبحانه وتعالى هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله تبارك وتعالى : ﴿ ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا لتكافرين عذاباً مهيباً ﴾ .

و ليس المراد من التفريق ( التفضيل ) بين الرسل ، بدليل أن الله تعالى قد فضل بعضهم على بعض بصريح القرآن فكان عز من قائل :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كسب الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس .. ﴾ الآية .

وقال تعالى :

﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود زبوراً ﴾ .

فهذا المراد من الآية الكريمة قد أوضحتها الآيات الأخرى . كما أوضحه بيان الرسول ﷺ حيث قال كما في صحيح مسلم :

( والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هؤلاء يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به الا أدخله الله النار ) .

بعض الأنبياء :

من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده .. ومن جميل لطفه بهم واحسانه إليهم .. أن بعث إليهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين ، ليكونوا منارات للهدى . وأعلاماً للتفضيلة ، ونجوماً زاخرة في سماء الإنسانية ، نضيء للعالم طريق الخير . وترشدهم إلى السعادة ، وتغدهم من براثن الشرك الوثنية ، وتسمو بهم إلى مدارج العز والكمان .

وقد جرت سنة الله في خلقه ألا يعاقب أمة قبل أن يبعث إليها رسولا يدعوها إلى البر والخير ، وينهاها عن السوء والشر ، وذلك حتى لا يحد

من البشر عدواً ، ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ ولئلا يقول الناس يوم القيامة ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ : أو يتخذوا منها ذريعة لعدم الإيمان ، أو حجة على الله تعالى في عدم استحقاقهم للعذاب ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذرك وتخزي﴾ .

### لماذا كان الأنبياء من البشر ؟

لما كان الغرض من بعثة الأنبياء الكرام ، عليهم أفضل الصلاة والسلام أن يكونوا سفراء بين الله تبارك وتعالى وبين عباده ، حتى يبلغوا الناس أوامر الله تعالى ونواهيه ، ويرشدوا الخلق إلى ما يحبه الباري جل وعلا وما يبغضه ، ويكونوا قدوة للبشر في سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم.. ولما كان لا بد في الوسيط (السير) أن يكون ممن يمكن الاجتماع به والأخذ عنه .. لذلك بعث الله تبارك وتعالى الرسل من البشر ، ليبلغوا أوامر الله ، ويدعوا الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة .

ولو كان الرسل من (الملائكة) لما استطاع البشر أن يأخذوا عنهم أو يجتمعوا بهم .. ولكان للناس حجة في عدم الاتباع للرسل وهو أن يقولوا : هؤلاء الذين بعثهم الله إلينا ، وأمرنا باتباعهم ليسوا من جنسنا .. ليسوا بشراً إنما هم (ملائكة) وطبيعتنا تختلف عن طبيعتهم ، فهم أسمى منا خلقاً ، وأظهر منا عملاً ، وأكرم مقاماً .. لأن الملائكة الأظهار كما أخبر عنهم رب العزة جل وعلا .

﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ .

وأنهم حائماً في عبادة لا يقطعون عنها أبداً :

﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ .

ثم إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، وليس فيهم شهوة أو ميل إلى الفصية ، لأنهم عباد مكرمون . ومن ناحية أخرى لو كان الرسول الذي بعث إلى الخلق (ملكاً) لما استطاع البشر أن يأخذوا عنه ، أو يجتمعوا به ، لأنه إن

جاءهم بصورة ( ملكية ) فزعوا وصعقوا وواوا الأدبار هرباً وفرعاً منه :  
لأنهم لم يعهدوا مثل هذه الصورة ولم يروا مثل هذا الخلق العظيم .  
روي أن النبي ﷺ رجع في بعض أيامه من عار حراء فسمع صوتاً فنظر  
أمامه فوجد ( جبريل ) عليه السلام قد جلس على كرسي وقد ملأ ما بين السماء  
والأرض ، ففرع وارعد : ورجع إل بينه وهو يقول : دثروني دثروني . .  
كما رآه مرة أخرى وقد بسط جناحيه قد بين المشرق والمغرب . ولو جاءهم  
بصورة بشرية (أي مثل لهم الملك بصورة إنسان) لشكروا في أمره ، وانبس  
عليهم افعال ، هل هو ملك أم هو بشر ؟

وقد ذكر القرآن الكريم هذا المعنى في معرض الرد على المشركين . حين  
طلبوا أن يكون النبي المرسل من الملائكة لا من البشر ، ﴿ وقالوا لولا أنزل  
عليه ملك ؟ ولوانزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون .<sup>(١)</sup> . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه  
رجلاً وكَلِّبْنَا<sup>(٢)</sup> عليهم ما يلبسون ﴾ .

ومعنى الآية الكريمة : لو جعلنا النبي ملكاً كما افترحوا لجعلناه في صورة  
رجل من البشر : ليسكن اجتماعهم به وأخذهم عنه ، وحيثذا يلبس عليهم  
الأمر : هل هو ملك أم بشر ؟ فيشكون في أمره ، ويعودون إل سيرتهم الأولى  
في طلبهم أن يكون نبي من الملائكة . قال العلامة القرطبي في تفسيره اجماع  
اجماع لأحكام القرآن : قوله تعالى ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾ أي أنهم  
لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة ، لأن  
كل جنس يالف بجنسه ، وينفر من غير جنسه ، فلو جعل الله تعالى الرسول  
إلى البشر ( ملكاً ) لنفروا من مقابته ، ولما أنسوا به ، ولقد خلطهم من الرعب  
من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ، ويمنعهم عن سؤاله ، فلا تعم  
المصلحة : ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ، ويسكنوا

(١) لولا : ( لولا ) هنا بمعنى هل فهي لتضيض ، وليست حرف امتناع لوجود .

(٢) لا ينظرون : أي لا ينظرون ولا يهتدون .

(٣) وكَلِّبْنَا : الهبس ، الخنع ، يدل تبس عليه الأمر المس لب أي خلقه .



إليه ، فقالوا : ست ملكاً وإنما أنت بشر فلا تؤمن بك ، وعادوا إلى مثل حالهم ، حيث كانوا يقولون عن محمد ﷺ انه بشر ، وليس بينه وبينكم فرق ، فلبسوا على الناس بهذا ويشككونهم ، فأعلمهم الله عز وجل أنه لو أنزل ملكاً في صورة رجل لوجدوا سبيلاً إلى النسيان (النسك) كما يفعلون<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر تبارك وتعالى في آية كريمة أخرى الحكمة من كون النبي من البشر ، لا من الملائكة ، وذلك أن المرسل ينبغي أن يكون من جنس المرسل إليهم .. فلو كان الذين يسكنون الأرض من الملائكة لبعث الله تعالى إليهم نبياً (ملكاً) كما قال تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولا ؟ قل : لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين . لزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا ﴾ .

#### اعتراض المشركين :

ولقد اعترض المشركون على بعثة محمد بن عبد الله سنوات الله عليه ، كيف يكون من البشر وهو يدعي النبوة ؟ انه بشر مثلهم يأكل ، ويشرب ، وينام ، ويمشي في الأسواق !! واتخذوا من ذلك ذريعة لتكذيبه والظعن في رسالته .. وطلبوا أن يكون معه من الملك ، والجاه ، والسلطان ، ما يؤهله للنبوة انما الوافر ، والكنوز العظيمة ، والحدائق الغناء ، ومن كل زهرة الدنيا مما يكون عادة تلعبونك والعظمة .. ثم ما رأوه فقبراً بيتاً ، استبعدوا على الله - جل وعلا - وانكروا رسالته ، وقالوا انه ساحر بسحر الناس بحلاوة لسانه ، وصيب كلامه ، وما جاء به ما هو إلا من أساطير الأولين ، اقرأ قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ هو قائلنا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ؟ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً . أو يلقى إليه كتاباً ، أو تكون له جنة يأكل منها . وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضنوا فلا يستطيعون سبيلاً . تبارك الذي إن

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٩٤ .

شأن جعل لك خيراً من ذلك ، جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصوراً . بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴿١٠﴾  
وهكذا نجد منطق الشرك والاضلال : في كل عصر وزمان ، منطقاً واحداً لا يكاد يتغير .. فما بعث الله نبياً إلا وقف المشركون في وجهه وفتنة (استكبار وعناد) يتساءلون : أنه بشر مثنا ؟ يأكل كما نأكل ، ويشرب كما نشرب . وينام كما ننام !! لماذا لا يكون من الملائكة ؟ لماذا لا يكون من الأشراف العظماء ، من أهل الثروة والغنى والسلطان ؟ استمع إلى موقف الخجود والعداء في قصة قوم نوح عليه السلام : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه : فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون ؟ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هنا إلا بشرٌ مثلكم ، يريد أن يفضّل عبيك ، ولو شاء الله لآتىن ملائكة ، ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى . إن هو إلا رجل به رجسَةٌ فتربصوا به حتى حين ﴾ .

واستمع إلى موقف (عاد) مع نبي الله الكريم (إبراهيم) ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا ، وكذبوا بنبيه : الآخرة ، وأنزلناهم في الحياة الدنيا ، ما هنا إلا بشرٌ مثلكم ، يأكل مما تأكلون ، ويشرب مما تشربون !! ولئن أطلعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لحاسرون . أتبعيدكم أنفسكم إذا ميتتم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم متخفون ؟ هيهات هيهات لما ترعون ﴾ .

واستمع أيضاً إلى موقف (الطغيان) يمثله فرعون الأثيم مع زبانية في وجه النبيين الكريمين (موسى وهارون) عليهما الصلاة والسلام .

﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآيات وسلطان مبين . إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالمين . فقالوا : أنؤمن لبيسرتين مثليتي وقومئهما لنا عابدون ؟ فكذبوهما فكاتبوا من المهلكين ﴾ .

ثم انظر إلى موقف كفار قريش من دعوة سيد الرسل محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ، أهدأ الذي بعث الله رسولا إن

كان ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ﴿ .  
 انه موقف واحد لا يكاد يتغير .. موقف أملاء عليهم الطفيلان ، والعتاد ، والاستكبار .. وكأنهم عموا أو تعاموا عن حكمة الله الأزلية ، في أن يكون النبي المرسل إلى الخلق ، من البشر لا من الملائكة وصدق الله حيث يقول : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

### مهمة الرسل الكرام :

لما كان العقل البشري وحده لا يكفي للتفريق بين الخير والشر ، وكانت هناك بعض الأمور الغيبية العظيمة ، التي لا يمكن للإنسان معرفتها إلا عن طريق الوحي وعن طريق انشراح ، كالإيمان بالله تعالى : وبصفاته العلية ، والإيمان بالملائكة وبالبعث والنشور إلى غير ذلك من الأمور الغيبية .. لذلك فقد اقتضت حكمة البارئ جل وعلا أن يبعث إلى الخلائق الأنبياء الكرام ، ليقطع على البشر معاذيرهم ؛ ولئلا يبقى لإنسان حجة عند الله يوم القيامة ، وطولاء الرسل وظائف جليلة ، ومهمات جسيمة .

### وظائف الرسل :

أولاً : دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد القهار . وهذه — في الحقيقة — هي الوظيفة الأساسية ؛ بل هي المهمة الكبرى التي بعث من أجلها الرسل الكرام وهي تعريف الخلق بالخالق — جل وعلا — والإيمان بوحدانيته ، وتمخيص العبادة له دون سواه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ . الآية .

**ثانياً :** تبليغ أوامر الله عز وجل ونواهيه إلى البشر فالأوامر الإلهية لا بد لها من مبلغ ، ولا بد أن يكون هذا المبلغ من البشر ليتمكن الأخذ عنه ، ولهذا فقد اختار الله عز وجل الرسل من البشر ، للحكمة السابقة التي ذكرناها ، وقد أدى الرسل الكرام هذه الوظيفة على أكمل الوجوه ، فلم يتأخر واحد منهم عن تبليغ دعوة الله ، وفيهم يقف القرآن الكريم : ﴿ الذين يعلمون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً . . . ﴾ .  
وقد جعل الله تعالى علامة الرسول ( تبليغ الرسالة ) وخاطب سيد الأنبياء بقوله عز من قائل :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي الكافرين ﴾ .  
**ثالثاً :** هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم .

وهذه الوظيفة مهمة كل رسول كما قال تعالى في شأن موسى عليه السلام :  
﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور ، وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ .  
وكما قال في شأن خاتم الرسل عليه السلام :

﴿ يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ .

**رابعاً :** ليكون الرسل قدوة حسنة ، وأسوة صالحة للبشر . فالرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والتسليم هم القدوة الحسنة والأسوة الصالحة لجميع البشر ، وقد أمرنا الله عز وجل بالافتداء بهم ، والسير على منهاجهم ، وجعلهم نماذج للكمال ، وعنواناً لفضل لأنهم أكل الناس عقلاً وأظهرهم سلوكاً :  
وأشرفهم رتبة ومنزلة ، قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . . . ﴾ الآية .

خامساً : التذكير بالنشأة والمصير ، وتعريف الناس بما بعد الموت من شدائد وأهوان .

قال الله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسول منكم يفتون عليكم آياتي ، وينذرونكم لقاءَ يومكم هذا ؟! قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين . ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون ﴾ .

سادساً : تحويل اهتمام الناس من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية .

فلقد بعث الله الرسل الكرام ليحولوا أنظار البشر من هذه الحياة الزائلة إلى تلك الحياة الباقية الخالدة وهي ( الدار الآخرة ) كما قال تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لعبٌ وهوٌ ، وإن الدار الآخرة لهي الخيرون لو كانوا يعلمون ﴾ .

وكما قال جل ثناؤه :

﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ، وهوٌ ، وزينةٌ وتفاسرٌ بينكم ونكائرٌ في الأموال والأولاد ﴾ الآية .

سابعاً : وأخيراً لئلا يبقى لإنسان حجة عند الله . كما قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ . هذه أهم وظائف الرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام ذكرناها بإيجاز والله الموفق والمهدي إلى سواء السبيل .



## الفصل الثاني

### مزايا دعوة الانبياء

- المزية الأولى : دعوتهم ربانية .
- المزية الثانية : لا يظنون أجراً عن الرسالة .
- المزية الثالثة : إخلاص الدين لله تعالى .
- المزية الرابعة : البساطة وعدم التعقيد .
- المزية الخامسة : وضوح الهدف والغاية .
- المزية السادسة : إثارة الآخرة والزهد في الدنيا .
- المزية السابعة : التشديد في أمر الغيب .
- صفات الأنبياء (الصدق ، الأمانة ، التبليغ ، العظامة ، السلامة من المعبود المنفردة : العصمة) .





## خصائص ومزايا الدعوة

### ما هي مزايا دعوة الأنبياء :

أهم ما في دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن لها خصائص ومزايا نلخصها فيما يلي :

أولاً : دعوة الأنبياء ( ربانية ) أي بوحى وتكليف من الله عز وجل .

ثانياً : إن الأنبياء لا يطلبون أجراً على الرسالة بل يأخذون الأجر من الله .

ثالثاً : إخلاص الدين لله سبحانه ، وإفراد العبادة له جل وعلا .

رابعاً : البساطة في الدعوة ، وعدم التكلف أو التعقيد .

خامساً : وضوح الهدف والغاية في دعوة الأنبياء الكرام .

سادساً : الزهد في الدنيا ، وإبتنر الآخرة على الحياة الدنيا .

سابعاً : التركيز على ( عقيدة التوحيد ) والتشديد في أمر الإيمان بالغيب .

هذه أهم مزايا دعوة الأنبياء الكرام . وستوضح كل مزية من هذه المزايا

بشيء من التوضيح والبيان : والله المستعان .

### المزية الأولى :

أولاً : ثمة أمر دعوة الأنبياء ( ربانية ) فالله خصه بذلك أنها بوحى وتكليف من

الله عز وجل . فليس هي تابعة من نفوسهم ، وليس نتيجة للعوامل الاجتماعية

التي تكون في زمانهم . من ظلم وبغى وجور واستبداد .. كما أنها ليست نتيجة

تفكيرهم العميق أو تأملهم على الحالة المؤسفة التي يعيشها الناس ، بل هي يوحي من الله وتكليف من البري جل وعلا ، فكل ما جاء به الأنبياء إنما مصدره الوحي ، فكل نبي من الأنبياء يقول ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ فليس لهم إذاً إلا تبليغ أوامر الله سبحانه وتعالى .

يقول فضيلة الشيخ ( أبو الحسن الندوي ) حفظه الله في كتابه « النبوة والأنبياء » :  
( ان أون وأهم ما يمتاز به معشر الأنبياء : أن العلم الذي ينشرونه بين الناس ، والعقيدة التي يدعون إليها والدعوة التي يقومون بها ، لا تتبع من ذكائهم أو حسيثهم ، أو تأملهم بالوضع المزري الذي يعيشون فيه ، أو من شعورهم الدقيق الحساس ، وقلوبهم الرقيق الفياض . أو تجاربتهم الواسعة الحكيمة لا شيء من ذلك ، إنما مصدره الوحي والرسالة التي يصطفون لها ، ويكرمون بها .. فلا يقاسون أبداً على الحكماء أو الزعماء ، أو المصلحين وجميع أصناف القادة الذين جربتهم البشرية وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل ، والذين هم نتيجة بيئتهم وخرس حكمتهم ، وصدى محيطهم ورد فعل لما كان يجيش به مجتمعاتهم من فساد فوضي .. والقول الفصل في ذلك القول القرآن الكريم على لسان سيد الرسل صلى الله عليه وسلم :

﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد نثرت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ؟ ﴾ .  
وقول الله تعالى :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك أنتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ .

ويقول القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة التي يختارها الرسل ، وعن مبدئها ومصدرها :

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أتذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ .

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية ، أو حوادث وقتية خارجية ولا يدبر رسالته حيث داوت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع ، وقد قال الله عن رسوله الكريم ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ . ولا يستطيع أن يحدث تغييراً ، أو تبديلاً ، أو تحويراً ، أو تعديلاً في رسالته وأحكام الله ، وقد قال الله لرسوله ﷺ :

﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ .

وهذه هي السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة والزعماء ، الذين تكون رسالتهم وكفاحهم وحيي بينهم وثقافتهم ومشاعرهم ، والذين يلاحظون دائماً لبنة والمجتمع ، وانظروف والأحوال ، ويراعون المصلحة والسياسة ، ويخضعون لها في كثير من الأحوال فيتنازلون عن أشياء كثيرة ؛ وقد يتسامون مع الأحزاب ، ويتبادلون معها المنافع ، ومبدأ كثير منهم الذين يأخذون به : « در مع الدهر كيف دار »<sup>(١)</sup> .

ويظهر لنا الفرق جلياً واضحاً في سيرة الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم ، حيث لا يقبلون المساومة على شيء من أمور الدعوة مهما كان الثمن بخلاف دعوة الزعماء والمصلحين .. فحين عرض المشركون عرضاً سخيفاً على رسول الله ﷺ ، وكان من جملة تلك العروض أن يملكوه عليهم ؛ أو يزوجه ما شاء وأحب من النساء ؛ أو يدفعوا له كرائم أموالهم ويعطوه ما شاء من مال ومتاع ، مقابل أن يترك الدعوة ؛ ويعرض عن ذم الآفة والسخرية بالأوثان والأصنام ، ماذا كان جوابه ؟ وماذا كان موقفه ؟؟ لقد قال قوله الشهيرة ، التي لا يزال يرددها الزمان :

« والله لو وضعوا الشمس على يميني ، والقمر عن يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه »<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر كتاب النبوة والأنبياء من ٢٥-٢٦ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام .

### المزية الثانية :

أما المزية الثانية لدعوة الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم ، فهي أنهم لا يطلبون أجراً من أحد . ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمناً من إنسان ؛ إنما يطلبون الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى . فكل نبي من الأنبياء كان يعلن على رؤوس الأشهاد ، علانية وجهاراً أنه لا يريد أجراً على الدعوة ؛ ويفرر بكل وضوح وجلاء أن دعوته لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المال .

وستع إنى (هود) وهو يخاطب قومه فيقول :

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْتَلُونَ ؟﴾ .

وهذا هو خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله بقرره حقيقة ناصعة جليلة فيقول :

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنِّي رِبِي سَبِيلاً﴾ .

ويقول في موطن آخر من الدعوة :

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ .

وهكذا كان الرسل الكرام لا يدعون أحداً بقصد الكسب المادي . أو

الربح المادي ؛ إنما يعلنون أنهم لا يطلبون أجراً من الله . فهم في دعوتهم يخلصون العمل ، وفي نصحتهم وإرشادهم لا يرجون الثناء أو المدح إنما يخلصون ثواب الآخرة ووجه الله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

### المزية الثالثة :

أما المزية الثالثة لدعوة الأنبياء الكرام فهي إخلاص الدين لله سبحانه ؛ وافراد العبادة له جلل وعلا .. وهذا هو الغدق الأسمى الذي دعا إليه جميع الأنبياء في كل عصر وزمان ؛ وفي كل بيئة ومكان ، فلم يكن هدف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلا أن يوجهوا المخلوق الضعيف إلى مخالفة العظيم

القدير ، وأن يصفروا وجهة البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب  
جل وعلا . مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين . حنفاء ويقيموا الصلاة ،  
ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القبيمة ﴾ .

وتقد أرسل الله جميع الرسل بهذه الدعوة الكريمة المباركة ( دعوة التوحيد)  
والخلاص النية والعمل له تعالى عن طريق أفراده بالعبادة كما قال تعالى : ﴿ وما  
أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .  
يقول الشيخ الخليل ( أحمد السخوي ) رحمه الله في كتابه ( حجة الله  
بالبينة ) :

« إن الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم . وأكبر هدفهم في كل  
زمان . وفي كل بيئة هو ( تصحيح العقيدة ) في الله تعالى . وتصحيح ( الصلة  
بين العباد وربهم ) والدعوة إلى ( انخلاص الدين ) وإفراد العبادة لله وحده ، وأنه  
النافع المضار . المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والتسك وحده .. وكانت  
حملتهم مركزة موجهة إلى ثوتية قائمة في عصورهم . المثلة بصورة واضحة  
في عبادة الأوثان والأصنام ، وانصالحين والمقدسين ، من الأحياء والأموات  
الذين كان يعتقد أهل الجاهلية أن الله قد خلج عليهم لباس الشرف والتأله ،  
وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة ، ويقبل شفاعتهم فهم بالاطلاق ،  
بمثلة ملك الملوك يبحث على كل قطر ملكاً . ويقلده تشيير المملكة ( ١ ) .

#### المزية الرابعة :

أما المزية الرابعة في دعوة الأنبياء صلوات الله عليهم فهي : البساطة في  
الدعوة ، وعدم التكلف والتعميد .

وهذه المزية واضحة في دعوة جميع الأنبياء ، فإنهم يسرون مع الفطرة ،  
ويحاطبون الناس على قدر عقولهم ، ولا يتكلفون في دعوتهم كما يفعل بعض

(١) انظر كتاب حجة الله بالبينة للسخوي .

الرُعماء والمصلحين ولا يعتقدون الأمر أو يخاطبون الناس بما لا يفهمون أو يدركون .. بل يسلكون طريق الحكمة ، في الدعوة والتبليغ ، فهذا سيد الرسل ﷺ يقول على لسانه القرآن :

﴿ وما أنا من المتكلمين ﴾ .

كما يأمره ربه بالدعوة إلى الله بالحكمة فيقول عمر من قائل :

﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهمم بالتي هي أحسن ؛ إن ربك هو أعلم بمن صلت عن سيئته وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

ولا بد لنجاح الدعوة من سلوك طريق الأنبياء في البعد عن الأساليب الصناعية والتصنع ، وعدم التكلف في دعوة الناس أو مخاطبتهم ، وإقامة الحجج عليهم بالمنطق والبرهان العقلي ، الذي يفهمه الكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، انظر إلى ( ابراهيم ) عليه السلام وهو يقيم الحجج القاطنة على خصمه العنيد ، ويقطع عليه الطريق بأبسط أسهل وأظهر البراهين الدامغة ﴿ قال ابراهيمُ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ؟ فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

ولهذا نجد أن أجمع طريق للدعوة هو ( الأسلوب التقطري ) الذي يخاطب المتطرفة بعيداً عن الأساليب الصناعية ، والمناهج الكلامية ، والأمور العويصة وقد أجاد حجة الإسلام رحمه الله حين قال :

« أدلة القرآن مثل الغذاء ينفع به كل انسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينفع به آحاد الناس ويستضر به الاكثرون .. بل أدلة القرآن كالماء الذي ينفع به النسي والرضيع ، والرجل القوي ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينفع بها الأقوياء مرة ، ويعرضون بها أخرى ، ولا ينفع بها الصبيان أصلاً »<sup>(١)</sup> .

وقد قال الإمام الرازي رحمه الله :

« لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عيلاً ،

(١) دافع كتب (ثبوت وأولياء) للاستاذ تدي .

ولا تروي غليلا ، ورويت أقرب الطرق طريقة تفرآن . ومن جرب مثل  
تجربتي عرف مثل معرفتي « (١) .

### المزية الخامسة :

والمرية الخامسة في دعوة الأنبياء هي : وضوح الخذف والعبارة في الدعوة  
فهم يدعون الناس إلى هدف واضح . وإلى فكرة بيّنة . لا لبس فيها ولا  
غموض استمع إلى قوله تعالى مخاطباً نحاتم الأنبياء والمرسلين :  
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . وَسَبْحَانَ  
اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

فطريقة الأنبياء واضحة . ودعوتهم ظاهرة ساطعة . مثل الشمس في رابعة  
النهار . وهذا قال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام :  
« لقد تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي  
إلا هاتك » .

وهكذا نجد أن الأنبياء الكرام إنما دعوا الناس إلى رسالة ربانية ، ذات  
هدف واضح ، وغاية نبيلة ، وهم في دعوتهم لا يسلكون الطرق الملتوية التي  
تخفي وراءها الغرض والمخالف من تلك الدعوة ، كما هو الحال عند بعض القادة  
والزعماء ، الذين لا يعرفون قصدهم ولا غرضهم على وجه الحقيقة والتأكيد .

### المزية السادسة :

المزية السادسة في دعوة الأنبياء هي (الزهد في الدنيا وإثارة الآخرة على  
الحياة الدنيا) .. وهذه المزية ملازمة لدعوة الأنبياء الكرام ، فليس هدفهم  
الاستمتاع بزهرة الدنيا وزينة الحياة . لذلك فقد عاش كل رسول الكرام في  
شظف من العيش ، وفي شدة الضيق ، مع أنهم كانوا يستطيعون أن يتمتعوا  
في الدنيا ، وأن يعيشوا فيها عيشة العظماء .. ولكنهم آثروا الباقية على الثانية ،

(١) راجع كتاب (التواتر لابن تيمية) .

لأنهم أيقنوا أنهما عند الله خير وأبقى ﴿ وأنهما عند الله خير الأبرار ﴾  
 لذلك فقد كانوا زاهدين في الدنيا ، مقبلين على الآخرة .. وقد خاضع الله سيد  
 الأنبياء بقوله :

﴿ولا تُمدن عينيكَ إلى ما منعنا به أزواجاً منهم ، زهرة الحياة الدنيا  
 لنفتنهم فيه ، وورق ربك خير وأبقى ﴾ .

وحين طلب أزواج رسول الله ﷺ من الرسول الكريم أن يوسع عليهن  
 في النفقة وأن يزيد لمن في الرزق ، وبما ملهن كبقية النساء اللواتي يعشن في رغد  
 من الدنيا . وفي جموحه من النعيم .. حين طلبن ذلك نزل التحذير لمن من السماء  
 وكان ذلك ، درساً لمن قاسياً في الحياة حيث نزل قوله تعالى :

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ، إن كنن ترذن الحياة الدنيا وزينتها ،  
 فتعاليين أمعنكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنن ترذن الله ورسوله  
 والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ .

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : والله اني لأحبك فقال :  
 « انظر ماذا تقول » فكرر الرجل عليه الكلمة ثلاث مرات ، فقال له الرسول  
 الكريم : « ان كنت تحبني فأعد للفقر تحملاً<sup>(١)</sup> فإن الفقر أسرع إلى من يحبني  
 من السبل إلى متنها »<sup>(٢)</sup> .

يقول الشيخ ( أبو الحسن الندوي ) في كتابه النبوة والأنبياء ما نصه :  
 « ولم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة ، وإيثارها على الدنيا ، والاستهانة  
 بقيمتها ومناعها ، ودعوة بللسان فقط ، ودعوة لأمتهم فقط ، بل كان ذلك  
 ميذاً ومتهاجاً لحياتهم ، وكانوا من أول المؤمنين بها ، السائرين عليها في حياتهم ،  
 فكانوا زاهدين في الدنيا ، مقبلين على الآخرة ، قد زهدوا في المناصب الكبيرة  
 والمراكز الخطيرة ، وضحوا بها في سبيل دعوتهم .. »  
 ثم قال حفظه الله :

(١) تحملاً : المراد به القس وأمله ما ينس القس ليشفي به الأذى .  
 (٢) رواه ترمذي وقال حديث حسن .



« ومعيشة النبي ﷺ وحياته وحياة أهل بيته معروفة في التاريخ معروفة في السيرة النبوية ، تثير العجب ، وتسحر النفوس ، وتملأ القلوب عظمة ومهابة وتنصب للدهاة والسائرين على منهاج النبوة مناراً عالياً من نور ، وكان شعارها الدائم : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » .

### المزية السابعة :

والمزية السابعة من مزايا دعوة الأنبياء هي : التركيز على عقيدة التوحيد ، والشديد في أمر الإيمان بالغيب .

وهذه من المزايا الواضحة ، التي تظهر لعيان بكل جلاء ووضوح ، في دعوة جميع الأنبياء ، حيث أنهم جميعاً قد ركزوا جهودهم على تقرير (عقيدة التوحيد) وإثبات وحدانية الله ، ووجود الصانع المدبر الحكيم ، كما أنهم قد ركزوا على موضوع الإيمان بالغيب ، فلا تكاد نجد نبياً من الأنبياء إلا وقد حذّر قومه من خطر الوثنية والأشراك : ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له .. استمع إلى القرآن الكريم يحدثك عن الأنبياء الكرام نبياً نبياً .. وكيف كان التوحيد أساس دعوتهم ، ورعاية جهادهم ، فتجدد يقول عن (نوح) عليه السلام :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .

وتجده يقول عن هود عليه السلام :

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ..﴾

وتجده يقول عن صالح عليه السلام :

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ..﴾

وهكذا يحدثنا القرآن الكريم عن جميع الأنبياء ، وأنهم قد دعوا إلى (التوحيد)

أما إبراهيم الخليل صنوات الله عليه فقد كانت دعوته إلى التوحيد ، ومحاربته للوثنية ، أوضح وأصرح ، حيث تجلّى موقفه الصلب مع قومه في نفسه عفوطة ، ونسفه ما يعبدونه من أصنام ، حتى حكسوا عليه بالتحريق في النار ، ولكن الله تبارك

وتعالى فقد نجاهم من كيدهم ﴿ قلنا يا نازر كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأحرار ﴿ وهكذا نرى المعركة نشدت بين الأنبياء وأقوامهم حول رسالة الحق ودعوة التوحيد ، وتنتهي بانتصار الحق وتغلب الرسل ، وهلاك المكذبين .. وصدق الله حيث يقول ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ﴾ ، وإن جندنا هم الغالبون ﴿ .. وما أروع هذه البشرية لعياد الله المرسلين ولدعاة الحق إلى يوم الدين حيث يقول جل ثناؤه : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿ .

### صفات الأنبياء الكرام :

اختار الله تباركت أسماؤه الأنبياء الكرام ليكونوا سفراء بينه وبين عباده ، واصطفاهم من بين سائر الخلق ليحملوا الأمانة العظيمة ( أمانة الوحي) وتبلغ الدعوة والرسالة لعباده .. وقد اقتضت حكمته العلية أن يجعلهم أكمل البشر خلقاً ، وأفضلهم علماً ، وأشرفهم نسباً ، وأعظمهم أمانة ، وأن يحفظهم بعنايته ، ويكملهم برعايته ، ويربهم على عبه تبارك وتعالى كما قال جل ثناؤه مخاطباً سيد الرسل الكرام ﴿ فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا .. ﴾ وكما قال لموسى عليه السلام ﴿ وتصنع على عيني ﴾ .

وإذا تتبعنا القرآن الكريم ، وقرأناه قراءة تدبر وتبصر ، واستعرضنا آياته الكريمية التي تتحدث عن ( النبوة والأنبياء ) نجد فيها الذكر العاطر ، والثناء المجيد ، لهؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله بالنبوة واصطفاهم لحمل الرسالة ، واختارهم من بين سائر الخلق ليكونوا حملة مشعل ( الهداية والاصلاح ) وقادة ركب الإنسانية إلى طريق السعادة ، وشاطئ الأمن والسلام .

نستعرض الكتاب المجيد فنتظلمنا صور ونماذج لم يخلق الله أجمل منها في هذا الكون .. ونرى أسلوب القرآن في الحديث عنهم أسلوباً يتدفق بالحياة ،

ويفيض بالبشر ، وينم عن الحب والايثار .. فيذكرهم بالثناء العاطر ، ويصفهم بأسبى الصفات والمواهب العقلية والخلقية ، كل ذلك ليبدل على أنهم ( الصقوة ) المختارة من خلق الله ، و ( المثل العليا ) الكاملة للبشرية .. اقرأ إن شئت قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ .

واقرأ قوله تعالى عن ابراهيم الخليل عليه السلام :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ .

وقوله تعالى عنه :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ

اجْتِبَاءً وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

واقرأ قوله عن الكليم موسى عليه السلام :

﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ

وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

كما يذكر في موطن آخر الثناء العاطر على نبيه وكليمه موسى عليه السلام

فيقول :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَوَادَيْنَاهُ

مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ .

واقرأ قوله جلي وعلا عن نبيه ( اسماعيل بن ابراهيم ) عليه السلام :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

وَكَانَ بِأَمْرِ آتِلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ .

ثم استمع إلى ذلك الثناء والمدبح العاطر ، الذي وصف به القرآن الكريم

جماعة من الأنبياء المكرمين حيث يقول :

﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ .

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهَا فِي الدَّارِ . وَإِنَّمَا عَدَدْنَا لِمَنْ الْمُسْتَطَلِّينَ الْأَخْيَارِ .

وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ ، وَالْيَسَعَ ، وَذَا الْكُفْلِ ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ .

وهكذا نجد القرآن العظيم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام ، يصفهم بأسمى الصفات العالية . وينعتهم بأكمل الأوصاف ، وتظهر من خلال سطورهم معالم الحب والتكريم ، والاصطفاء والاجتباء ، فيصفهم تارة بالطاعة والانابة ، وأخرى بالنصحبة والابثار ، ويذكرهم في بعض المواطن بالصدق والزاهة ، فكل ذلك لبشير إلى علو شأنهم ، ورفع مكانتهم ، وسمو الرسالة التي بعثوا من أجلها ، فكانوا هداة العالم ، وقادة البشرية<sup>١١</sup> .

### ما هي صفات الأنبياء :

والأنبياء صلوات الله عليهم – وان كانوا من البشر – يأكلون ويشربون ، ويصحبون ويمرضون . ويتكلمون النساء ، ويمشون في الأسواق ، وتعترسهم العوارض التي تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت .. إلا أنهم يمتازون بخصائص - ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة ، هي بالنسبة لهم من أئزم اللوازم ومن أهم الضروريات ، وهذه الصفات تلخصها فيما يلي :

- ١ - الصدق .
- ٢ - التبليغ .
- ٣ - الأمانة .
- ٤ - النطقاة .
- ٥ - السلامة من العيوب المنقورة .
- ٦ - العصمة .

ولنشرح كل صفة من الصفات الواجبة للأنبياء الكرام صلوات الله عليهم بشيء من التفصيل فنقول وبالله التوفيق :

### أولاً : الصدق :

وهذه الصفة ملازمة للنبوة ، وهي وان كانت ضرورية للبشر ، إلا أنها

(١) راجع كتاب النبوة والانبيااء للاستاذ السري .

بالنسبة لدعوة الأنبياء ، صفة لازمة ، بل هي من الصفات الضرورية فيهم ، فلا يمكن للنبي - أي نبي كان - أن يصدر منه ما يدخل بالمرءة كالكذب والخيانة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وغيرها من الصفات القبيحة ، لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادي ، فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم ؟! ولو جاز وقوع الكذب من الأنبياء ، لما أصبح هناك ثقة فيما ينقلونه من أخبار الرحي ، أو يرووه عن الله عز وجل .. إذ يحتمل أن يكون ذلك من الأمور التي جأوا بها من نلغاه أنفسهم ، أو اخترعوها من بنات أفكارهم ، ثم نسبوها إلى الله - وحاشاهم من ذلك - كذباً وزوراً وتلك نجد القرآن الكريم ، يحكم ذلك المحكم الفاضل ، في حق كل من يفترى على الله أو يكذب على لسانه ، فيقول في حق سيد المرسلين :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ ۙ أَحَدٌ مِّنَ ٱلنَّبِيِّ ۙ ٱلْأَقَاوِيلَ ۙ لَأَخَذْنَا مِنْهُ ٱلْبَئِين . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنهُ ٱلْوَتِينَ ۙ ۗ فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ۙ عَنْهُ حَاجِزِينَ . ۚ وَإِنَّهُ لَفُكْرَةٌ ۙ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .  
يقول شهيد الإسلام ( سيد قطب ) عليه رحمة الله في كتابه ظلال القرآن :  
« وفي النهاية يجيء ذلك التهديد الرهيب ، لمن يفترى على الله في شأن العقيدة ، وهي الجند الذي لا هوادة فيه ، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره ، وهو صدق الرسول ﷺ ، وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه .. ومقاد هذا القول من الناحية التفسيرية ، أن محمداً ﷺ صادق فيما أبلغهم ، وأنه لو نقول بعض الأقاويل ، التي لم يوح بها إليه لأخذه الله فقتله عن هذا النحو الذي وصفته الآيات ، ولما كان هذا لم يقع فهو ﷺ لا بد صادق .. انتهى ولقد اشتهر الرسول ﷺ منذ الصغر بالصدق والأمانة ، حتى كان المشركون يسمونه ( الصادق الأمين ) فيقولون : جاء الصادق الأمين ، وذهب الصادق الأمين .. وهكذا كان النبي الكريم قبل البعثة علماً بين قريش في صدقه وأمانته ، وعلو مكانته .

(١) تقول : أي افترى علينا بالكذب تقولاً لأنه قول منكلف .

(٢) الوتين : عرق متصل بالقلب إذا قطع مات صاحبه .

روي أن رجلاً من سادة فريش لقي (أبا جهل) في أحد طرقات مكة ، فاستوقفه ثم قال له : يا أبا الحكم ليس هنا غوري وغيرك ، أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب ؟ فأجابته أبو جهل بكل صراحة : والله إن محمداً صادق ، وما كذب قط .. فقال فما الذي يمنعكم من اتباعه ؟ فقال له أبو جهل : تنافسنا نحن وبنو هاشم ، وتنازعنا الزعامة والفخر ، فأطعموا فأضعفنا ، وسقوا فسقينا ، وأجاروا فأجرنا ، حتى كنا كفر مني رهان ، - أي استوتينا وإياهم في السبق والفخر - ثم زاهدوا علينا فقالوا : بعث منا نبي فمن أين تأتيهم بنبي ؟ والله لا نؤمن به ولا نتبعه ، وفي هذا أنزل الله جل ثناؤه نسلية لنتيبه (قد نعلم أنه ليحزرك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون). فهذا هو عدو الله يقر ويعترف بصدق الرسول ، ولكن يمنعه من اتباعه حب الزعامة والرئاسة ، وصدق من قال : والفضل ما شهدت به الأعداء .

وحين سأل (هرقل) ملك الروم أبا سفيان بن حرب - قبل إسلامه - عن أمر محمد ﷺ وكان السؤال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : ما عرفنا عليه كذباً قط !! فأجابته هرقل بجواب رائع فوله : وما كان ليُبدى الكذب على الناس ويكذب على الله ، وهذا لعمر الحق هو المنطق السديد ، والقول المتصل .

### ثانياً : الأمانة :

وهي أن يكون النبي أميناً على الوحي ، يبلغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده ، دون زيادة أو نقص ، ودون تحريف أو تبديل ، أمثالاً لقول الله تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَى اللَّهُ حَسِيبًا ﴾ .

فالأنبياء جميعاً موثقون على الوحي ، يبلغون أوامر الله كما نزلت عليهم ، لا يمكن لهم أن يخولوا ، أو يخفوا ما أمرهم الله تعالى به .. لأن الحياة تنافي

مع الأمانة ، وهل يليق بالذي أن يخون أمانته ، فلا ينصح الأمة : ولا يبلغ رسالة الله ؟

فالأنبياء الكرام كلهم قد أدوا الأمانة عن الوجه الأكمل ، وكل نبي كان يقول لقومه ﴿إني لكم ناصحٌ أمينٌ﴾ وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : ﴿وما هو على الغيب بضين﴾ .

أي ليس بمتهم على الوحي والغيب ولو لم تكن في الأنبياء الأمانة لتغيرت مظاهر الرسالة وتبدلت ، ولما اطمأن الإنسان على الوحي المنزل .. ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ولو كان محمد كائناً شياً مما نزل عليه لكتبكم هذه الآية الكريمة ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديهِ ، وتخشي الناس والله أعقن أن نخشاه﴾ .

ولكنكم أيضاً الآيات التي فيها عتاب له <sup>بالتلويح</sup> مثل قوله تعالى :

﴿عبس ونولى أن جاءه الأعمى﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ما كان لذي أن يكون له أسرى حتى يثخنَ في الأرض ، تربطون عرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيزٌ حكيمٌ . لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذابٌ عظيمٌ﴾ .

فلا بد من توفر صفة (الأمانة) في كل نبي ورسول ، لتظل النفس مطمئنة إلى سلامة الوحي ، وإلى أن كل ما جاءه النبي إنما هو من عند الله العزيز الحكيم وصدق الله حيث يقول : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ بوحى﴾ .

### ثالثاً : التبليغ :

وهذه الصفة خاصة بالرسول الكرام صلوات الله عليهم ويقصد بها أن يبلغ الرسول أحكام الله ، ويبينها الوحي الذي نزل عليهم من السماء ، فلا يكتفوا شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم ، حتى ولو كان في تبليغهم قتلان إبداً عظيم لهم ، أو شر مستطير يلحقهم من الأشرار والعجاج : وقد قال القرآن الكريم في قصة

(نوح) عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضلالةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ ، وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وقال عن (صالح) عليه السلام :

﴿قَتَوْنِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُونَ الْناصِحِينَ﴾ .

وقال نبي (شعيب) عليه السلام :

﴿قَتَوْنِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ .

ومكنا نجد جميعاً المرسل يعلنون بكل صراحة ووضوح أنهم قد بلغوا رسالة الله ، ونصحوا للأمة ، حتى خاتم المرسل (محمد) صلوات الله عليه بأمره ربه بتبليغ الرسالة فيقول مخاطباً له: ﴿يا أيها الرسول بلغْ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعلْ فمأبئك رسالتهُ واللهُ يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ .

فكل رسول مكلف بتبليغ الدعوة والمرسالة ، ولا يمكن لأحد من المرسل أن يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً مما نزل عليه ، لأنه يكون قد خالف أمر الله ، وشان الأمانة التي عهدت إليه ... ولهذا نجد بعض السور أو الآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالى (قل) وهو أمر موجه لتبليغ عليه الصلاة والسلام لبيلاغه لأمة ، فيبلغها الرسول كما نزلت عليه دون زيادة أو نقص ، اقرأ مثلاً قوله تعالى :

﴿قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ..﴾ .

وقوله تعالى :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكافِرُونَ . لا أعبدُ ما تعبدون﴾ .

وقوله تعالى :

﴿قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ الْفلقِ﴾ وقوله تعالى ﴿قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وقد كان



يكفي الرسول أن يبلغ الأوامر الإلهية دون تلك اللفظة التي يحوطلب بها ، ولكنه أمين على الوحي يبلغ رسالة ربه بالحرف الواحد دون تغيير أو تبديل ، أو زيادة أو نقصان ، فلم يقل ( هذه سبيلي أدعو إلى الله ) ولم يقل ( أعود برب الفلق ) أو ( أعود برب الناس ) وإنما ذكر الأمر الذي توجه إليه من العلي القدير ، بنفس الصيغة ونفس الحروف ، وذلك دليل الأمانة القصوى في تبليغ الدعوة والرسالة .

والغرض من ( التبليغ ) أن يقطع الله الحجة على الناس ، ولئلا يبغى لأحد عذر يوم القيامة ، فإن الله تبارك وتعالى أكرم من أن يعذب انساناً قبل أن تبليغه الرسالة وأرحم من أن يعذبه بدون ذنب كما قال تعالى :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .

وكما قال جل ثناؤه :

﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ .

وقد بعث الله جل ثناؤه خاتم المرسلين ليكون للعالمين نذيراً ، وأرسله على فترة من الرسل ليقطع على أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) معاذيرهم فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، وقد ذكر تبارك وتعالى ذلك في كتابه العزيز فقال وهو أصدق القائلين :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شيء قدير ﴾ .

وقد بلغ الرسول الكريم دعوة ربه ، فحين نزل عليه قول العلي الكبير :

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ جهر الرسول بالدعوة ، وقام بتبليغ الرسالة ، فصعد على جبل الصفا ثم جعل ينادي القبائل ويظون قريش : يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب .. حتى اجتمعوا إليه فقال لهم الرسول الكريم : يا بني فهر لو أنني أخبرتكم ان خيلاً يسفح هذا الجبل ، تريد أن تغرب

عليكم هل كنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً قط!! فقال لهم عليه الصلاة والسلام: فأني نكمت تدبير بين يدي عذاب شديد.. فقال له عمه (أبو لهب): تبا لك يا محمد ألمذا جمعتنا، فأذن الله رداً عليه: ﴿تَسْتَبْدُوا أَبِي لَهَبٍ وَنَبِيَّ الْآيَةَ﴾ و...<sup>(١)</sup>

#### رابعاً : الفطانة :

وهي الذكاء والنباهة ، فلم يبعث أحد من الأنبياء إلا وكان على جانب عظيم من النباهة ، والذكاء الخارق ، مع كمال العقل والرشد . استمع إلى قوله تبارك وتعالى في وصف الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن رَّبِّهِ وَقَتْنَا بِهِ عَيْنَيْنِ﴾ .

وانظر إليه في موقف الحاجة بقومه المشركين نجد فيه آيات النبوغ والذكاء ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُمُودًا لَا يَلْمُونَ أَحَدًا لَّهُمْ لَعْنَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُنصَرُونَ﴾ . قالوا: من فعل هذا بأئمتنا إله الجن والأنس؟ قالوا: سمعنا في بلادهم يقول له إبراهيم: قالوا: فأئنا به على أعين الناس لعلمهم بشهيدون . قالوا: أثنت فعلت هذا بأئمتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا عن رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال: أفعدون من دون الله بآياتهم شيئاً ولا يضركم . أفأنت لكم وبعثت تدعون من دون الله . أفلا تعقلون؟ ﴿وَحَقًّا أَنه سَمِعَ الذِّكْرَ وَاسْتَوْعَفَ . يتعجلى في عمل إبراهيم عليه السلام فقد حطم بيده الأصنام ، ثم عتق القادوم في عتق أكبر الأصنام ليقم الحاجة على قومه . فحين قدموه للمحاكمة سألوهم هذا السؤال : من الذي حطم آئمتنا وأقدم على تكسير الأصنام؟ من أنت الذي فعلت ذلك يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم عليه سلام : انبي لم أحضها . ولكن المصم الكبير وإله العظيم هو الذي حطمها لأنه لم يرض أن تعبد معه ، والتدليل على ذلك أنه وضع القادوم في عتقه . وإن

(١) انظر سيرة ابن مشاعر ودور اليقين

لم تصدقوا كلامي فاسألوهم عن ذلك الأمر وسلوه .. وهنا كان قد بلغ إبراهيم إلى هدفه ، فأقام عليهم الحججة بعد أن سفه عقولهم ، وجعلهم يضحكون من أنفسهم ، وهكذا يكون منطق الأنبياء .

وانظر إليه في موقف آخر وهو يجادل الطاغية ( النمرود ) انذني نازع الله في ملكه ، وزعم أنه إله بعد من دون الله ، وأنه الرب المعبود ، كيف كان نبوغ إبراهيم وذكاءه ؟ وكيف دحض خصمه العنيد ، قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ، أن آتاهُ اللهُ الملكُ ، إذ قال إبراهيمُ : ربِّ الذي يحيي ويميتُ ! قال : أنا أحيي وأميتُ ، قال إبراهيمُ : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأتت بها من المغرب ، فيسبِّت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

وهكذا جميع الأنبياء والرسل ، أعطاهم الله العقل والرشد ، فكانوا على أكمل وجوه الذكاء والنبوغ ، فقد خصهم الله تعالى بالذكاء الخارق ، والقطنة والنباهة ، ليستطيعوا إقامة الحججة على أقوامهم ، وقد جرت حكمة الله الأزلية ، أن يختار للرسالة أكمل الناس عقلاً ، وأوفرهم ذكاء ، وأقوامهم حجة ، وبرهاناً ليظهر ضياء الحق ، وتعلو دعوة الله وصدق الله حيث يقول : ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهُ ، سيصيبُ الذينَ أجرموا صغاراً عندَ اللهِ وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يَمْكُرُونَ ﴾ .

وإذا كان البشر يعرِّبهم النقص ، وتضعف قواهم العقلية ، وربما وصل البعض منهم إلى حالة ( الحرف ) عند بلوغ سن الشيخوخة .. فإن الأنبياء الكرام يظلون في القمة العليا من رجاحة العقل ، وقوة التفكير ، مهما امتدت أعمارهم لأن الله تعالى قد أحاطهم بعنايته ، وحفظهم برعايته ، ولا يمكن أن تضعف حواسهم الفكرية وتتعطل مواهبهم العقلية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

### خاصاً : السلامة من العيوب المنفرة :

وهذه الصفة من خصائص الأنبياء الكرام ، فإنه لا يمكن أن تكون فيهم عيوب خلقية أو خلقية ، تنفر الناس من الاجتماع بهم ، أو اتباعهم والسماع لدعوتهم كما أن الأمراض المنفرة كالتبرص والجذام ، والنشوبه الجسدي لا يكون في أحد من الأنبياء ، فهم وان كانوا من البشر ، نصيبهم العوارض التي تصيب البشر ، إلا أن الله عز وجل قد صانهم من العيوب المنفرة ، ومنهم من الأمراض الناشئة ، التي تجعل النفوس تنفر منهم ، وما روي عن (أيوب) عليه السلام من أنه مرض واشتد به المرض حتى تعفن جسده وأصبح السود يخرج من بدنه ، حتى كرهته زوجته ، فإن هذا من الأباطيل والأكاذيب التي نقلت عن (الإسرائيليات) ولا يصح تصديقها أو الاعتقاد بها ، لأنها تتنافى مع صفات الأنبياء ، والقرآن الكريم لم يذكر لنا شيئاً من هذا ، وإنما الذي ذكره أنه قد أصابه الضر في بدنه فدعا ربه - بعد أن اشتد به الكرب والضر - فكشف الله عنه ما أصابه من كرب وبلاء ، قال تعالى :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ . وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى الْعَابِدِينَ ﴾ .

وظاهر من الآية الكريمة أن الضر الذي أصابه كان في جسده وأهله ، وهذا النوع من الضر يلحق البشر ويلحق الأنبياء ، فإن المرض يعزري الأنبياء كما يعزريهم الموت . وليس في ذلك شيء يتقص من قدرهم ، أو يزري بمقامهم .

### سادساً : العصمة :

وسفردها بحثاً خاصاً إن شاء الله لأهميتها والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

## الفصل الثالث

### عصمة الأنبياء

- ١ - تعريف العصمة ومعناها الشرعي
- ٢ - هل العصمة قبل النبوة أو بعدها ؟
- ٣ - شبهات حول عصمة الأنبياء والرسل عظيمنا
- ٤ - عصمة آدم أبي الأنبياء عليه السلام
- ٥ - عصمة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .
- ٦ - عصمة يوسف الصديق عليه السلام .
- ٧ - هل أخطأ الرسول ﷺ .



## عصمة الأنبياء

من المزايا التي امتاز بها الأنبياء على بقية البشر ، بعدهم عن اقتراف المعاصي وعزوفهم عن الشهوات واجتنابهم نكل ما يدخل بالمرؤفة ، أو يهدر الكرامة ، أو يحط من قدر الإنسان .. فهم صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الناس خلقاً ، وأزكاهم عملاً ، وأطهرهم نفساً : وأعطرهم سيرة ، لأنهم « القلوب » للبشر وهم الأسوة الحسنة للإنسانية ، ولذلك أمر الله عز وجل بالافتدائهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والسير على منهاجهم في جميع شئون الحياة قال تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمُ آقْتَدِهِ .. ﴾

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .. ﴾

### تعريف العصمة :

العصمة في اللغة معناها : المنع ، يقال عصمته عن الطعام أي منعه عن تناوله ، وعصمته عن الكذب أي منعه منه . ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ سَاءَ بِي يَوْمَئِذٍ جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ .

الآية أي بمنعني من الغرق .

وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فاستَمَعْتُمْ ﴾ .

أي امتنع امتناعاً شديداً .

وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله .. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » (١) أي منهوا مني دماءهم وأموالهم .

قال القرطبي : وسببت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية .  
وأما في الشرع : فالمعصية هي : حفظ الله لأتبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي . وارتكاب المنكرات والمحرمات .. فالمعصية ثابتة للأتبياء وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها . وميزهم على سائر البشر . فلم تكن لأحد إلا للأتبياء الكرام حيث وهبهم الله هذه النعمة العظيمة . وحفظهم من ارتكاب المعاصي والذنوب . صغيرها وكبيرها .. فلا يمكن أن تقع منهم معصية أو مخالفة لأوامر الله عز وجل بخلاف سائر البشر .

والحكمة من ذلك : أن الله عز وجل . أمر باتباعهم والافتداء بهم . والسبب على نهجهم . فهم « القنوة الحسنة » والاسوة الصالحة للخلق . و ( النموذج الكامل ) للبشرية جمعاء . فلو جاز وقوعهم في المعصية . أو ارتكابهم للموبقات والآثام . لأصبحت المعصية مشروعة . أو أصبحت طاعتهم علينا غير واجبة . وهذا غير سليم . بل هو أمر مستحيل . فالأتبياء هم القادة . وكيف يصح أن يأمر القائد بالفضيلة . وينهى عن الرذيلة . ثم يرتكب هو أنواع الفواحش والمنكرات ؟ ثم إن المعاصي والذنوب ما هي إلا نجاسات معنوية . وهي تشبه القاذورات والنجاسات الحسية . فكيف يجوز نسبتها إلى الأتبياء والرسول الكرام ؟ وقد جاء في الحديث الشريف ما يشير إلى أن المعصية نجاسة باطنية وذلك في قوله ﷺ :

« من أتى منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر فإنه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله » أو كما ورد والمعنى : من يظهر المعصية ويعلمها فلا يد

(١) الحديث رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .



من إقامة الحد عليه .

قالعقل والشرع بلزمان القول (بعصمة النبي ) اي كيف يجوز أن يكون نبياً ويكون سارقاً ، أو قاطع طريق ، أو شارب خمر ، أو زانياً أو غير ذلك من الفاذورات والنجاسات التي تمنع من الاقتداء به : أو من أتباعه ؟! وهل يكون لكلام النبي أثر في النفوس إذا كانت سيرته غير عطرة ، أو كانت حياته ملوثة ببعض الموبقات والآثام إذا فلا بد من أن تكون حياة ( النبي ) حياة كريمة فاضلة : مشرفة بنور الهداية ، معروفة بالعبء والطهارة ، زاهرة بالفضل والنبل والصلاح ، وهذا ما يسمى بـ ( عصمة الأنبياء ) ! .

جاء في كتاب ( العقيدة الإسلامية )<sup>(١)</sup> في باب صفة العصمة ما نصه :  
( وحيث ثبت أن الرسول هو المثل الأعلى في أمته ، الذي يجب الاقتداء به في اعتقاداته ، وأفعاله ، وأقواله ، وأخلاقه ، إذ هو الأسوة الحسنة بشهادة الله له - إلا ما كان من خصائصه بالنص - وجب أن تكون كل اعتقاداته ، وأفعاله ، وأقواله ، وأخلاقه الاختيارية بعد الرسالة موافقة لظاعة الله تعالى ، ووجب أن لا يدخل في شيء من اعتقاداته وأفعاله ، وأقواله ، وأخلاقه معصية لله تعالى ، لأن الله تعالى أمر الأمم بالاعتقاد برسولهم ، فإذا أمكن أن يفعل الرسل بعد الرسالة المعاصي كان معنى الأمر بانتخاذهم أسوة - في حال المعصية جزء من أفعالهم - أمراً بالمعصية وفي هذا تناقض ظاهر ) .

#### عصمة الله لرسوله منذ الطفولة :

وقد حفظ الله تعالى نبينا ﷺ منذ طفولته ، وعصمه من أفعال الجاهلية في صغره وشبابه ، إل أن جاءته النبوة فأكلت عليه النعمة ونمت له ، العصمة ، بتشريفه بتحمل أعباء الرسالة على الوجه الأم الأكمل .

(١) هو كتاب ( لا عين القائل ) لاساتذة ( عبد الرحمن حبيكة ) المدرس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، وهو من الكتب المنسوبة في العقيدة الإسلامية .

قال ( ابن هشام ) في السيرة النبوية :

( قُتِبَ رسول الله ﷺ والله تعالى بكلوهُ وبحفظه وبحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسائله ، حتى بلغ أن كان رجلاً ، وأفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جوراً ، وأعظمهم حنماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تندس الرجال نزهةً وتكرماً . حتى ما كان اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره ، وأمر جاهليته ، أنه قال :

و لقد رأيتني في غفمان من فريش . فنقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تمرى ، وأخذت أزاره فجعلته على رقبته . يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل معهم كلذك وأدبر . إذ تكسني لاكم لكمة وحيمة ثم قال : شد عليك أزارك . قال : فأخذته وشدته على . ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وأزاري علي من بين أصحابي <sup>(١)</sup> .

قال ( السهلي ) في التعليق على هذه القصة : وهذه القصة إنما وردت في الحديث الشريف في حين بنیان الكعبة . وكان رسول الله ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتفسيح الحجارة ، وكان رسول الله ﷺ يحملها على عاتقه وأزاره مشاود عليه . فقال له العباس رضي الله عنه : يا ابن أخي ، لو جعلت أزارك على عاتقك ففعل فبسطت مشياً عليه . ثم قال : أزاري . أزاري . فشد عليه أزاره وقم بحمل الحجارة . وحديث ابن اسحاق أن صح أنه كان في صغره . فصحله عن أن هذا الأمر كان مرتين : مرة في صغره . ومرة في شبابه .

(١) السيرة النبوية الجزء الأول ص ١٩٤

## هل العصمة قبل النبوة أم بعدها ؟

وقد اختلف العلماء في (عصمة الأنبياء) هل هي قبل النبوة أم بعدها ؟ وهل تكون العصمة عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر من الذنوب ؟ فذهب بعضهم إلى أن العصمة ثابتة لهم قبل النبوة ، وبعدها ، وذلك لأن السلوك الشخصي - ولو قبل النبوة - يؤثر على مستقبل الدعوة للنبي ، فلا بد إلا وأن يكون إذا من ذوي السيرة العطرة ، والصفاء النفسي ، حتى لا يكون ثمة مطعن في رسالته ودعوته .

واستدلوا على ذلك بأن الله تبارك وتعالى قد اختار أنبياءه من صفوة البشر ، ورعاهم منذ الصغر على عبته كما قال نوسى عليه السلام ﴿ ولِتَصْنَعَ عَلَى عِبْتِي ﴾ وجعلهم من المنصفين الأخيار ﴿ وإيهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ فلا بد إذا أن يكونوا معصومين ومحفوظين قبل النبوة وبعدها .

وأما الفریق الآخر : فقد ذهبوا إلى أن (عصمة الأنبياء) إنما تكون بعد النبوة ، وتكون من الصغائر والكبائر معاً ، لأن البشر ليسوا بأمورين باتباعهم قبل النبوة ، فالاتباع والافتدائه إنما يكون بعد نزول الوحي عليهم . وبعد تسريقتهم بحمل الرسالة والأمانة ، وأما قبلها فإنما هم كسائر البشر ، ومع ذلك فإن سيرتهم تأتي عليهم الوقوع في المعاصي والآثام ، أو الانجراف في طريق الفاحشة والرذيلة فإنهم ولو كانوا قبل النبوة غير معصومين ، لكنهم محظوظون بالمعانة والعترة . جاء في كتاب (العقيدة الإسلامية وأسماها) ما نصه : ان النبي قبل اصطفاؤه بالنبوة على وجهين :

١ - فهو إما أن يكون لم يكلف بعد مطلقاً بشرع ما : فالعصمة في حقه غير ذات موضوع . لأن المعاصي والمخالفات بعد ورود الشرع والتكليف به ، والمفروض أنه لم يكن . فلا مجال لأبحث العصمة أو عدمها ، لأن النمة خالية من التكليف .

لكن علو فطرة الرسول ، وصفاء نفسه ، وسمو روحه ، وصحة عقله

تقتضي أن يكون أعموداً رفيعاً بين قومه ، في أخلاقه ، ومعاملاته ، وأمانته ،  
وفي بعده عن ارتكاب القبائح ، التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة .

٢ - وأما أن يكون عمداً كثيف بشرع رسول سابق ، كسيدنا لوط عليه  
السلام حينما كان تابلاً - قبل نبوته - لعنه إبراهيم عليه السلام ، وكأنبياء بني  
إسرائيل من بعد موسى فيل أن يوحي إليهم بالنبوة ، وهذه الحالة لم يثبت في  
عصمة النبي فيها دليل قاطع . لا عن الكبائر ، ولا عن الصغائر ؛ لكن سيرة  
الأنبياء التي أثمرت عنهم قبل نبوتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي  
كبائرها وصغائرها .

ولئن وقع منهم شيء من ذلك فزيفوات زائرة لا تطعن فيهم لعنوا فطرتهم ،  
وصغائر قفوسهم ، وسمو أرواحهم وملهمة التي سيكتفون بها فيما بعد ، وإنما  
نفع منهم هذه المفقوات إثباتاً لبشريتهم أمام الخلاق ، لئلا يرفعوهم فوق المستوى  
البشري ، ويحلوهم من صفات الألوهية ما لا يمكن أن يتصفوا به ، فهم عبود  
مخلوقون لله تعالى ، وليظهر الفرق بين أحوالهم قبل النبوة وأحوالهم بعدها<sup>(١)</sup> .  
والصحيح الذي عليه للمعول من أقوال العلماء هو : أن الأنبياء صلوات الله  
وسلامه عليهم معصومون عن المعاصي (الصغائر والكبائر) بعد النبوة باتفاق ،  
وأما قبل النبوة فيحتمل أن نفع منهم بعض المخالفات اليسيرة التي لا تخل بالمرءة  
ولا تفدح بالكرامة والشرف .

قال العلامة (القرطبي) رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن :  
« واختلف العلماء هل وقع من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين -  
صغائر من الذلوع ، بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ، ومن كل  
رديلة فيها شين ونقص اجماً ، فقال جمهور الفقهاء ، أنهم معصومون من  
الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها ، لأننا أمرنا باتباعهم ، في أفعالهم

(١) العمدة الإسلامية للأستاذ حنكة ص ١١٦ .

وآثارهم وسيرهم . أمراً مطلقاً من غير التزام فرينة ، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم . إذ ليس كل فعل من أعمالهم يتميز مقصده من القربة والأباحة ، أو الحظر ، والمعصية .. ولا يصح أن يؤمر المرء بامتنال أمر لعله معصية .

وقال ( أبو اسحق الأسقراني ) من عناء أهل السنة : لا يقع من الأنبياء ذنوب : لأنهم معصومون من الكبائر والصغائر . وذلك مقتضى دليل المعجزة ، وقال بعضهم بوقوع الصغائر منهم ، ولا أصل لهذه المقالة ، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم .

وقال بعض المتأخرين :

انذي ينبغي أن يقال : ان الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ، ونسبها إليهم ، وعاتبهم عليها ، وأخبروا بها عن قفوسهم ، وتصلوا منها ، وأشفقوا منها وتابوا : وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جعلتها ، وان قبل ذلك آحادها : وكل ذلك مما لا يزري بمناصبتهم ، وإنما وقعت على جهة الخطأ والنسيان فهي بالنسبة إلى غيرهم ( حسنات ) وفي حقهم ( سيئات ) ولقد أحسن الجتيد حيث قال : ( حسنات الأبرار سيئات المقربين ) إذ قد يؤخذ الوزير ، بما يثاب عليه الأجير : قال القرطبي : وهذا هو الحق ، فهم صلوات الله وسلامه عليهم ، - وان كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم - فلم يخل ذلك بمناصبتهم ولا قدح في رتبهم ، بل تلافاهم واجتباهم ، وهداهم وزكاهم ، واختارهم واصطفاهم<sup>(١)</sup> صلوات الله عليهم وسلامه .

### هل تكون العصمة لغير الأنبياء ؟

والعصمة لم تثبت لغير الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، إذ كل فرد من البشر معرض للخطأ والانحراف ، والوقوع في المعصية ، إلا أن الله عز وجل حفظ بعض أوليائه ، من الكبائر ، وصانهم عن الراذق ، عن

(١) تفسير القرطبي الجزء الأول ص ٣٠٨ .

ضريق « الحفظ » والتأييد ، وهذا من اللطف الإلهي ، لا من « العصمة » التي خصص الله بها رسله وأنبياءه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ<sup>(١)</sup> مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ .  
فالنور الذي أشارت إليه الآية الكريمة هو المراد باللطف الإلهي ، الذي يكون للأولياء والأتقياء ، أو لتصديقين من الرجال ، وهو من الحفظ والتأييد . لا من العصمة .

وقد كان من الصحابة الكرام من خصه الله بذلك الفضل الإلهي أمثال ( أبي بكر ) و ( عمر ) رضي الله عنهما ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الله قد جعل الخنز على لسان عمر وقلبه ، وقال لعمر ( والذي نفسي بيده ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجعك يا عمر ) .

ودعوى بعض المخالفين بعصمة بعض الأشخاص لا صحة لها ، ولا برهان من كتاب أو سنة ، وإنما هي مجرد أوهام وأحلام ، فما كانت ( العصمة ) لأحد إلا للأنبياء لأن الله جعلهم قلوباً للعالمين<sup>(٢)</sup> كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿١٠٠﴾ .

وكل إنسان - عدا الأنبياء الكرام - معرض للخطأ ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله تعالى :

( ما من إلا من رد ورد عليه ، إلا صاحب هذا القبر ) يعني بذلك النبي ﷺ بسبب العصمة .

---

(١) كفلين الحظ والنصيب ، والمراد بؤتكم مطلقين من الأجر تفسير ( القرطبي ) .  
(٢) انظر رسالة ( المخلوط المرغوبة للمذهب الشيعة الإثني عشرية ) لؤلؤها الفاضل الشيخ عبد الرحمن الخطيب فأما نقية .

## عقيدة أهل الكتاب في الأنبياء :

وإلى جانب هذه الصورة المشرفة ، صورة الكمال الإنساني للأنبياء الكرام ( الأسوة ، والقُدوة ، والامامة ، والهداية للبشرية ) التي يضيفها عليهم القرآن الكريم ، وينعتهم بها ، نجد عقيدة أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) تتجاوز الحد من النبيل من كرامة الأنبياء الأطوار ، فلا يكتفون بنسبة المعصية إليهم ، وعدم الاعتقاد بمعصمتهم ، بل يجعلون منهم ( أبطالاً ) للجرعة و ( قادة ) للقجور والدعارة وارتكاب أعظم الآثام .

نجد في التوراة ( المحرفة طبعاً ) الشيء الكثير من هذه المخازي ، منها أن أحد الأنبياء وهو ( لوط عليه السلام ) شرب الخمر ثم نام مع ابنته ( وطأها بعد أن سكر ) فحملتا منه عن طريق الزنى ، استغفر الله !! أي جريمة أتبع من هذه الجريمة لنكره أن يرتكب النبي جريمة الزنى مع ابنته بعد معاورة الخمر يا لشاعة الأمر ، وفضاعة الاتهام !!

ونحن ننقل النص الذي ورد في التوراة ، لبتين للقارىء عقيدة اليهود في الأنبياء . ومدى الافتراء والبهتان الذي ألصقه اليهود بهم ، مما نقطع ونجزم بأنها أخبار كاذبة على الأنبياء الكرام ، وأنها من التحريف لكتاب الله . جاء في سفر التكوين صفحة ( ١٢٨ ) ما نصه :

و فصعد لوط وسكن الجبل وابتاه معه ، وخاف أن يسكن صاغر ، وأوى إلى كهف هو وابتاه .. فقالت الكبرى منهما للصغرى : ان أبانا قد شاخ ، وليس رجل على الأرض يستطيع أن يدخل علينا : فهلمي نسبه خمرأ ، وقصطج معه ، ونقيم من أيننا خطفأ . فسئنا أباهما خمرأ في تلك الليلة ودخلت الكبرى فاضطجعت مع أييها وهو لا يعلم عند انضجاع ابنته ولا نهوضها .. ولا كان الغد قالت الكبرى للصغرى : هوذا قد اضطجعت البارحة مع أبي فلنسه خمرأ في ليلتنا هذه أيضاً . وادخلي فاضطجعي معه فقيم تسلا من أييها ، فسئنا أباهما خمرأ في تلك الليلة أيضاً . ودخلت الصغرى فاضطجعت مع أييها ،

ولم يعلم عند اجتماعها ، فحملت ابنتا نوط من أبيهما ، وولدت الكبرى ابناً  
ودعت اسمه ( مواب ) وهو أبو انوابيين إلى يومنا هذا . وولدت الصغرى  
أيضاً ودعت اسمه ( عمان ) فهو أبو العمانيين إلى اليوم .

ونجد في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين ص ١٢٨ أن ( يهوذا بن  
يعقوب ) زنا بزوجة ابنه ، وحملت بالزنى منه وولدت نوأمين ( فارص .  
وزارح ) وأن داود وسليمان وعيسى كلهم من أولاد فارص كما هو مصرح به  
في الباب الأول من ( انجيل متى ) .

وأن ( داود ) عليه السلام زنا بامرأة ( أوربا ) قثد جيشه وحملت بالزنى  
منه ، فأهلك زوجها بالسكر وأخذها زوجة له ، كما هو مصرح به في الباب  
الحادي عشر من سفر ( صموئيل ) .

وهناك ما هو أدهى وأمر .. فإن اليهود يزعمون أن ( سليمان ) عليه السلام  
ارتد في آخر عمره ، وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد : وبني المعابد لها كما  
هو في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول .

وباليت شعري ماذا ينفي من حرمة الأنبياء ، وكيف يمكن الافتداء بهم ،  
إذا كان هذا هو تاريخهم .. ( سكر ، وغرقة ، واقتراف بجرائم الزنى ،  
وسفك للدماء ، وعبادة للأوثان ) ؟؟

هذه بعض عقائد اليهود في أنبيائهم : وكلها كذب وزور وبهتان : ونحن  
نقطع ونحزم بأنها كلها وأمثالها باطلة ، وأنها من تحريف اليهود ، لا من التوراة  
التي أنزلها الله على موسى عليه السلام .

وأما ( النصراني ) فأنهم لا يعتقدون بعصمة الأنبياء وذلك بناء على عقيدتهم  
بألوهية السيد ( المسيح ) عليه السلام فهو وحده المعصوم ، وكل البشر - بما  
فيهم الأنبياء - يخطئون ، وليس هناك شفيع ولا مخلص سوى ( المسيح )  
لأن المخطيء لا يخلص المخطئين ، على حد تعبير الإنجيل ..

وعند النصراني صور محزنة لا تغل شناعة عن عقيدة اليهود في الأنبياء وكلها  
نوم بينم باقتراف الآثام وارتكاب الجرائم مما لا يقبله عقل ولا نفل .



يقول المرحوم محمد رشيد رضا في كتابه (الوحي المحمدي) ما نصه :  
إذا كان إرساا الأنايا إلى البشر ، لأجل هدايتهم إلى تركية أنفسهم ، بما تصلح  
به أحوالهم في دنياهم ، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة  
أخرى ، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنايا  
أهلا لأن يقتدي بهم في أعمالهم وسيرتهم ، والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها  
عن ربهم ، ومن ثم قال علماؤنا بوجود ( عصمة الأنايا ) من المعاصي والردائل  
وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر والكبائر ، قبل  
النبوأ وبعدها ، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الحسة والذناة .

وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة ، وكتبهم المقدسة ترمي بعض كبار  
الأنايا بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة ، بل المجرئة على الشرور والمفاسد .  
والنصارى منهم يجمعون معاصي الأنايا دليلا على عقبتهم ، وهي أن المسيح  
هو المعصوم وحده لأنه رب وإله ، ولأنه هو المخلص للناس من انعقاب عمل  
الخطيئة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له ، وأنه لا شنيع ولا مخلص لهم غيره ،  
لأن الخطيئة لا يخلص المخطئين وهو منهم ، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين  
الأنايا ، وكتبهم ، وللعقل . ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها .

بيد أن كتب المهدين ( القديم والجديد ) المقدسة عندهم ، المحرفة في  
اعتقاديا ، لا تشهد لهم برمي جميع الأنايا بالذنوب فضلا عن المعاصي ، التي  
هي أشد من الذنوب ، فإن ( يوحنا المعمدان )<sup>(١)</sup> لم يوصم بخطيئة قط . قيل  
شهدت له أنا جيلهم ، بما يدل على أنه أعظم من المسيح في عصمته ففي الجبل  
( لوقا ) جاء قوله : ( انه يكون عظيما أمام الرب ، وحصرا ومسكرا لا يشرب  
ومن بطن أمه يتلء بروح القدس ) .

وفيه أيضا يقول : ( كانت يد الرب معه ) .

وقال المسيح فيه : ( الحق أقول لكم انه لم يتم بين المولودين من النساء

---

(١) هو يحيى بن زكريا عليهما صلاة والسلام .

اعظم من بوحنا المعمدان (١١).

بل شهدت الأناجيل أن المسيح عليه السلام أمه واخوته ، ولم يسمع لهم بلغائه ، وقد استأذنوا عليه ليكلموه ، جاء في انجيل (لوقا) : فأخبروه قائلين : أمك واخوتك واقفون خارجاً يريدون أن يروك ، فأجاب وقال لهم : أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها .

يقول السيد رشيد رضا :

نعم إن اخوته لم يكونوا يؤمنون به كما هو مصرح به في موضع آخر ، ولكن هل كانت أمه كذلك ؟ وهل يجازيها هذا الجزاء ؟ والله تعالى يوصي بالإحسان بالوالدين حتى المشركين ، ويفضل أم السيد المسيح على نساء العالمين ، واهانة الأم ذنب في جميع الشرائع والآداب .. ونحن نبرئه من كل ذلك<sup>١٢</sup> .

وإخلاصة أن عقيدة المسلمين في الأنبياء هي العقيدة الحقة ، التي جاء بها القرآن الكريم ، وشهد بها واقع حياتهم الطاهرة الشريفة ، وهي التي تتناسب مع مقامهم العالي ، ومترلتهم الرفيعة ، والقون (عصمة الأنبياء) والاعتقاد بطهارتهم ونزاهتهم ، هو ما يتفق مع التصور القرآني المجيدة ، في جعلهم أئمة الدنيا والآخرة ، وحملهم لواء الدعوة والهداية للعالمين وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه :

﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين ﴾ .

ولا بد في الفتوة أن يكون كاملاً ، ولا بد في النبي أن يكون معصوماً .. هذا ما يقتضيه العقل ، ويوجهه الشرع وستعرض في مقال آخر إن شاء الله لدفع بعض الشبهات عن (عصمة الأنبياء) ليظهر الحق . ويتفق ضباطه ، والله ولينا ونعم الوكيل .

(١) انجيل متى :ص ١١ .

(٢) الترمذي المعتمد ص ٢٨ .

## شبهات حول عصمة الأنبياء :

وقد يقول قائل : كيف يكون الأنبياء معصومين ، مع أن القرآن الكريم قد آتيت لبعضهم بعض المخالفات ونسب إلى البعض الآخر منهم الذنب والمعصية فقال في حق آدم : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ .

وقال في حق نوح ﴿ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وقال لسيد المرسلين ﴿ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

وللجواب عن ذلك نقول :

وإن العصمة للأنبياء ثابتة كما دلت على ذلك النصوص الشرعية الكريمة . وكما قضى بذلك المنطق العلمي السليم . إذ كيف يأمر عز وجل البشر باتباعهم والافتداء بهم ، والسير على نهجهم إن لم يكونوا مثالا لنكحال . ونموذجا للفضل والتبيل والظهور ! ولو لم تكن ( العصمة ) من صفاتهم لما كنا مكلفين باتباعهم في جميع الأعمال والأفعال !

أما ما ورد من بعض النصوص الشرعية : التي يدل ظاهرها على وقوع المعاصي والمخالفات من بعض الأنبياء صلوات الله عليهم . فهي محمولة على بعض الوجوه الآتية :

أولاً : أنها ليست معصية وإنما هي فعل خلاف الأولى .

ثانياً : أنها ليست معصية وإنما هي خطأ في الاجتهاد .

ثالثاً : على فرض أنها مخالفة ومعصية فأنها قد وقعت قبل النبوة .

## معصية آدم عليه السلام :

معصية آدم عليه السلام : التي صرح القرآن بها في قوله تعالى ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوَآتُهَا . وَجَانَّتِمَا بِخَصِيْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ دَرَقِ الْجَنَّةِ . وَعَصَى

آدمُ رَبُّهُ فَتَوَى . ثم اجتباها رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١﴾ .

إنما كانت هذه المخالفة والمعصية قبل النبوة بدليل قوله تعالى (ثم اجتباها ربه) والاجتباء هو اصطفاؤه الله له بالرسالة ، فتكون المعصية قد وقعت من آدم عليه السلام قبل النبوة .

وهناك قول آخر أن آدم عليه السلام إنما أكل من الشجرة ناسياً بدليل قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ عَاهِدْنَا إِبْرَاهِيمَ إِذْ بَنَى الْمِذْبَاحَ أَنَّ يَتْلِيَ عَلَيْنَا الْحَقَّ وَنُحْيِي الْمَوْتَى وَنُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْحَبَّ وَالنَّخْلَ وَإِذْ يَأْتِيَنَّكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَّعِيماً وَنُفِثَ فِي قُلُوبِهِ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ إِذْ يُخَوِّطُ عَلَى الصُّورِ وَنُفِثَ فِي قُلُوبِهِ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ إِذْ يُخَوِّطُ عَلَى الصُّورِ وَنُفِثَ فِي قُلُوبِهِ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ إِذْ يُخَوِّطُ عَلَى الصُّورِ﴾ .

وقبل : أن آدم عليه السلام لما نهي عن الأكل من الشجرة بقوله تعالى ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ فمن أن المراد عين هذه الشجرة لا جنسها فأكل من شجرة أخرى من جنسها فمخالفة الأمر ، وكان ذلك باجتهاد منه ، لا عن سابق تعدد واصرار على المخالفة .

وأقرب الأقوال في هذا أن نقول : أن آدم أكل من الشجرة ناسياً ، والنسيان يرفع الإثم عن الفاعل كما قال عليه الصلاة والسلام : «رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وكما قال تعالى : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ .. ولم يكن من آدم تعدد أو عزم منه على المعصية بدليل الآية التي ذكرناها (فسي ولم نجد له عزماً) .. وذلك ما اختاره بعض المفسرين كالقرطبي وابن العربي : أو فقول أن المعصية وقعت منه قبل النبوة وذلك ما اختاره صاحب تفسير المنار .

جاء في تفسير المنار الجزء الأول صفحة (٣٨٠) قوله :

«وأما مسألة عصمة آدم ، فالجري على طريقة السلف يذهب بنا إلى أن العصيان والنبوة من المتشابه ، كما أثر ما ورد في القصة ، مما لا يركن العقل إلى ظاهره ، ولنا أن نقول : أن تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يلزمه عزم النبوة

(١) يقال : عهدت إليه بكذا ، أي أمرته بكذا والمضى : أمرنا آدم بعدم الأكل من الشجرة فسي هذا الأمر ولم نجد له عزمًا على المعصية .

كما قال جل شأنه ( فسي ولم نجد له عزما ) .. والاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة ، وقد يكون الذي وقع من آدم نسبياً ، فسمي تفخيماً لأمره عصياناً .. والنسيان والسهو مما لا ينافي العصمة .

وأما ( ابن العربي ) رحمه الله فقد رجح الأول ، وذهب إلى أن المخالفة وقعت من آدم عليه السلام بسبب النسيان ، فقد جاء في كتاب أحكام القرآن الجزء الثالث صفحة ( ١٢٤٩ ) ما نصه :

« كم قال في تزوية الأنبياء عن الذي لا يلبق بمترلتهم مما ينسب البهولة إليهم -- من وقوعهم في الذنوب عمداً منهم إليها ، واقتحاماً لها مع العلم بها ، وحاشا لله -- فان الأوساط من المسلمين يتورعون عن ذلك فكيف بالكثيرين .. ولكن الباري سبحانه وتعالى بحكمه الناقد ، وفضائه السابق ، أسلم آدم إلى المخالفة ، فوقع فيها متعمداً ناسياً ، فقبل في نعمته ( وعصى آدم ربه ) .. وقيل في بيان عذره ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فسي ولم نجد له عزماً ﴾ وتظيرها : أن يحلف الرجل لا يدخل داراً أبداً ، فيدخلها متعمداً ناسياً لبيته ، أو غططاً في تأويله ، فهو عامد ، ناس ، ومتعمد العمد غير متعلق النسيان .. وجزاء للموتى أن يقول في عبده : عصى تخفيراً وتعذيباً ؛ ويعود عليه بفضله فيقول : نسي تزويماً . ثم قال رحمه الله :

« ولا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك ( أي بعصيان آدم ) إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه ، أو قول نبيه ، فلما أن ابتدئ ذلك من قبل ناسه ، فليس بجائر لنا في آياتنا الأدنين ، المتماثلين لك ، فكيف في آياتنا الأقدم الأعظم الأكرم ، النبي المقدم ، الذي عذره الله : وتاب عليه وغفر له . »

وقال العلامة القرطبي رحمه الله :

( واختلفوا كيف أكل منها مع التوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى ﴿ فتكونا من الغفارين ﴾ ؟ فقال قوم : أكلوا من غير التي أُمير إليها ، فلم يتأولوا النهي واقعاً على جميع جنسها ، وقيل : أكلها ناسياً ، وهو التصحيح لاخبار الله تعالى في كتابه العزيز بذلك حسماً وجزماً فقال ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل »

فنتسي ولم نجد له عزماً ﴿١﴾ .  
ولكن لما كان الأنبياء عليهم السلام ينزهم من التحفظ والتيقظ ، لكثرة معارفهم ، وعثر منازلهم : ما لا يلزم غيرهم ، كان تشاغله عن تذكير النبي تضييماً صار به عاصياً : أي مخالفاً .. قال أبو امامة : « لو أن أحلام بني آدم منذ خلق الله الخلق ، إلى يوم القيامة وضعت في كفة ميزان ، ووضع حطم آدم في كفة أخرى لرجحهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾ (١) .  
إذا يتوضح لنا من أقوال العلماء والمفسرين أن آدم عليه السلام لم يتعمد مخالفة أمر الله عز وجل ، وإنما أكل من الشجرة متأولاً ، بطريق الاجتهاد ، أو ناسياً لأمر الله تبارك وتعالى ، فعاتبه ربه بإخراجه من الجنة وانزاله إلى الأرض وذلك لحكمة إلهية سابقة ، فلا يجوز لنا أن نرميه بالعصيان ، مع أن ما وقع منه لم يكن إلا بسبب النسيان ، ولا أن نسيء الأدب ولا سيما بعد أن نزل القرآن بقوله تعالى ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (٢) !

### عصمة إبراهيم عليه السلام :

وأما بالنسبة لإبراهيم الخليل صلوات الله عليه فقد وردت بعض النصوص من الكتاب والسنة ، ظاهرها يقيد عدم العصمة .. وهذا الظاهر غير مراد لأنه يعارض نصوصاً أخرى ، ولا بد حين الجمع بين هذه النصوص ، من فهمها على الوجه الذي يتفق مع عقيدة المسلم بـ ( عصمة الأنبياء ) الكرام .  
أما النص الأول فهو في سورة الأنعام في قوله تعالى :

﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال : هذا ربي : فلما أفل قال لا أحب الآفلين (١) . فلما رأى النجم بازغاً قال : هذا ربي : فلما أفل قال لتئن لم يهدني ربي لأكونن من الغوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة

(١) تفسير شريفي ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢) سنن : يعني أظنم واشتد غلامه : أفل : يعني غاب ، بازغاً : طالماً .

قال : هذاربي ، هذا أكبر ، فلما أفلتت قال يا قوم : إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴿١﴾ .  
فهذه الآيات الكريمة توهم بظاها أن إبراهيم كان شاكراً في الله ، جاهلاً بمعظته ، لا يدري من هو الإله المستحق للعبادة ! .

وقد يظن بعض الناس أن ( إبراهيم ) عليه السلام كان متأثراً ببيئة فومه ، وأنه في بدء نشأته عبد معهم الكواكب ، كما عبد الشمس والقمر ، وهذا جهل فاضح وخطأ مبين ، لا يصدر إلا عن جهل صفات الأنبياء الكرام ، ولم يفقه معاني القرآن الحكيم ..

فإنه - جل ثناؤه - قد أخبر عن نبيه وخليله ( إبراهيم ) عليه السلام ، بأنه قد أطلعه على ملكوت السموات والأرض ، وأنه كان من المؤمنين الموحدون ، الكاملين في الإيمان واليقين ، وأن الله تعالى قد وجهه كمال الرشد منذ الصغر ، وأعطاه الحجة الدامغة ، التي تفهم ظهر كل معاند ومكابر ، وأنه في مقام الاستدلال وإقامة البرهان على وجود الله الواحد الأحد ، ما كان يغلبه أحد ، استمع إلى صدر الآيات الكريمة ، كيف أن الله عز وجل بسوق البراهين على كمال يقين إبراهيم فيقول جل ثناؤه :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ أَتَتَّخِذُ آلِهَةً أَمَا تَأْتِي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ عَمِينَ . وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ ﴿١﴾ .

فإنه عز وجل أعطى إبراهيم الحجج المقنعة ، والبراهين الساطعة ، التي بها قام الدليل على وجود الصانع الحكيم ، فهو يجادل أباه بقوله ﴿ اتَّخَذَ آلِهَتًا مِثْلَ اللَّهِ ۚ ثُمَّ يَصِفُ قَوْمَهُ بِالضَّلَالَةِ فِي عِبَادَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يَبْصُرُ ، وَلَا يَفْقَهُ عَنْ صَاحِبِهِ شَيْئًا ، فَيَقُولُ : ﴿ إِنْ أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ ﴿٢﴾ .  
ثم يأتي البرهان على كمال يقين إبراهيم بشهادة الله عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۖ ﴿٣﴾ .

والآيات التي جاءت بعدها إنما هي في مقام الاستدلال على وجود الله ،  
وفي تقرير الحججة على قومه ، بحيث ينتزح معهم إلى مستوى إدراكهم وفهمهم ،  
ويتدرج معهم على حسب عقادهم ، فيقول عن النجم هذا ربي ، ثم عن القمر  
ثم عن الشمس ، ليبتل عقيدتهم في عبادة هذه الآلهة المزعومة بالمنطق السليم ،  
وبالحجة والبرهان .. ولهذا حتم الله عز وجل هذه القصة بقوله جل وعلا :  
﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفعُ درجاتٍ من نشاء إن  
ربك حكيمٌ عليمٌ ﴾ .

ولقد ذكر الملامة ( المرعاشري ) كلاماً رائعاً هو في منتهى الجودة والافتقان  
نقل طرقاتاً منه حوز تفسير هذه الآيات الكريمة ، قائم رحمه الله :

( وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام ، والشمس ، والقمر ، والكواكب ،  
فأراد أن ينههم عن الخطأ في دينهم ، ويرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ،  
ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً ، لقبام  
دليل الخلو فيها ، وأن وراءها محدثاً أحدثها ، وصانعاً صنعها ، ومدبراً دبر  
طلوعها وأقوالها ، وانضالها ومسيرها ، وسائر أحوالها .. وقول إبراهيم ( هذا  
ربي ) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل ، فيحكي قوله كما هو ،  
غير متعصب مذهبه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق ، وأنبئ من الشغب ، ثم يكر  
عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة حيث يقول ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ أي لا أحب  
عبادة الأرباب المنقرين عن حال إلى حال ، المنتقلين من مكان إلى مكان  
المحتجبين بسر ، فإن ذلك من صفات الأجرام ، وقوله ﴿ لئن لم يهتدي ربي  
لأكونن من الغر الضالين ﴾ تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهاً - وهو نظير  
الكواكب في الأقول - فهو ضال وان الهداية إلى الحق بنوفيق الله ولطفه ( ١١ ) .

فالقصة التي ساقها القرآن الكريم ، إنما ترمز إلى أسلوب الاقتناع وقسوة  
الحجة ، التي أعطها الله سبحانه وتعالى ، لنبيه وخليفه إبراهيم عليه السلام ،  
وكيف استطاع أن يفهم قومه في إقامة البرهان على وجود الله ، وأن يبرهن  
لهم ضلالهم وخطأهم في عبادة الكواكب والشمس والقمر .... ويظهر أن إبراهيم

(١) تفسير الكتاب الجزء الثاني ص ٤٠ .



عليه السلام قد سلك معهم أيسر الطرق لبلوغ غرضه ، فلم يجابهم بالضلال ، وإنما تدرج معهم فادعى أن (الكوكب) الذي رآه ساطعاً في السماء هو ربه ، وذلك ليستأنسوا بكلامه ، ثم لما غاب الكوكب أنكر إبراهيم أن يكون هذا الكوكب صالحاً لأن يكون رباً ، لأنه متغير متغل ، وذلك علامة الخلوث .. ثم ما زأى (القمر) بارغاً مضياً في السماء ، قال هذا ربي ، فغاب القمر ولم يعد له نور ، أنكر أن يكون رباً مبيوداً ، وهنا لمح إبراهيم إلى ضلالهم ولكن بأسلوب في منتهى الحكمة حيث قال ﴿لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم انضالين﴾ فما عرض إلى التصريح بضلالهم وإنما أنهم نفسه بالضلالة ان عيد هذا الإله المتحرك المتنقل ، الذي تظهر عليه علامات الخلوث ، وقوله (من القوم انضالين) تنميح بضلال من عيد القمر .

ثم لما بزغت الشمس ، وسطعت بأشعتها إلهية على الكون ، وأضاءت لوجود ، قال : هذه شمس ربي فهي أكبر المخلوقات وهي أحق بالعبادة من سائر النجوم والكواكب ، وقان ذلك نيقم الحججة على ضلالهم : فلما غابت الشمس ، وتوارت خلف الأفق ، ولم يعد لها ضياء أر نور .. صرح هنالك بضلال من يعيها أو يعبد تلك المحدثات ، وتبرأ من قومه ومن عبادتهم لها وذلك بعد أن ظهرت الحججة ، وتبلغ الحق ، وينبع من الظهور غاية المقصود .. ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ..﴾ إني قوله تبارك وتعالى ﴿وتنك حججتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنا ربك حكيم عليم﴾ . فظهر أن هذه الأقوال من إبراهيم الخليل لم تكن شكاً في الله ، ولم تكن جهلاً بالخالق جل وعلا .. وإنما كانت من أجل إقامة الحججة على ضلال قومه ، عن طريق البرهان ولاستلال ، وافحامهم بأعظم الحجج الدامعة .

يقول (ابن العربي) في أحكام القرآن :

(وانذي أوتيه إبراهيم عليه السلام من العنم بالحجة ، بظهور دلالة التوحيد ، وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى ، والشك فيه ، والاختيار أن ما جرى

بينه وبين قومه إنما كان احتجاجاً ، ولم يكن اعتقاداً (١) .

فمن ظن بإبراهيم الشك ، أو اعتقد أنه عبد الشمس أو الكواكب ، فقد جانب الحق ، وأخطأ الفهم ، وجهل صفات الأنبياء والمرسلين .. وكيف يكون ذلك والله جل جلاله قد أعطاه العقل وكمال الرشد قبل النبوة ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ !

أما النص الثاني الذي يوهم عدم العصمة فهو قوله تعالى : ﴿ وإذا قال إبراهيمُ ربِّ أُرني كيفَ تُحْيي الموتى ۗ قالَ : أَوَلَمْ نُؤمِّنْ ؟ قالَ : بلى ولكنَّ ليطمئنَّ قلبى . قالَ فخذْ أربعةً من الطيرِ فصُرهنَّ ۗ قالَ : أليكَ ثمَّ اجعلى على كُلِّ جبلٍ منهنَّ جزءاً : ثم ادعهنَّ بِأَتينك سعباً واعلمَنَّ أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ .

فإن هذا النص الكريم قد يفهم منه أن إبراهيم الخليل كان شاكراً في قدرة الله على احياء الموتى .. وهذا الفهم غير سليم ، فمعاذ الله أن يشك إبراهيم في ربه أو في قدرة الله تعالى . وهو أبو الأنبياء الذي وضع أسس التوحيد . وبنى أول بيت لعباده الواحد القيوم .. فأبراهيم عليه السلام إنما سأل عن الكيفية ( كيف يحيى الموتى ) ولم يسأل عن الماهية فلم يقل : هل تفدر يا رب أن يحيى الموتى ، والسؤال عن الكيفية إنما هو بفضد الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية

يقول الشيخ ( أحمد المنير ) في تعليقه على تفسير الكشاف ما نصه :  
( أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله ( كيف يحيى الموتى ) فليس عن شك – والعبادة بالله – في قدرة الله على الأحياء .. ولكنه سؤال عن كيفية الأحياء . ولا يشترط في الإيمان الاحاطة بصورتها . فانما هي طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه .. وبدل على ذلك ورود السؤال بصيغة ( كيف ) وموضوعها السؤال عن الخلال ، وتظير هذا السؤال . أن يقول القائل : كيف يحكم زيد

(١) أحكام القرآن ج ٣ ص ٧٢٢ .

(٢) نصه من إليك : أي تخسبون إليك .

في الناس ؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم ، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته ، ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر ، فيطرق إلى ابراهيم شكاً من هذه الآفة .. وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر الوهم بفوته . « نحن أحق بالشك من ابراهيم ، أي ونحن لم نشك ، فلأن لا يشك ابراهيم أخرى ، رأى .. وأراد بقوله ( أولم تؤمن ؟ ) أن ينطق ابراهيم بقوله : بلى آمنت ، ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى ، ليكون إيمانه مخلصاً نصراً عليه بعبارة يفهمها كل من يسميها فهما لا يلحظه فيه شك »<sup>١١</sup>

ويقول (سيد قطب) عليه رحمة الله في تفسيره الظلال عند هذه الآية الكريمة :

﴿وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ الآية ما نصه :

« انه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية ، وحين يحيى ، هذا التشوف من ابراهيم الأواء ، الحليم ، المؤمن ، الراضي ، الخاشع ، العابد ، القريب .. التحليل .. حين يحيى هذا التشوف من ابراهيم فإنه يكشف عما يختلج أحياناً من الشوق ، والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الألهية في قلوب أقرب المقربين ! انه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره ، وليس طلباً للبرهان أو تقوية للإيمان .. إنما هو أمر آخر ، له مذاق آخر .. انه أمر الشوق الروحي إلى ملابسة السر الإلهي ، في أثناء وقوعه العملي .. ومذاق هذه التجربة في الكيان البشري مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغييب ، ولو كان هو ابراهيم التحليل الذي يقول لربه ، ويقول له ربه ، وليس وراء هذا إيمان ، ولا برهان للإيمان ، ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل ، ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيسروح بها ، وينتفس في جوها ، ويعيش معها ، وهي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان<sup>١٢</sup> » . ١ .

### ما هي الكذبات الثلاث ؟ :

أما ما ورد في السنة النبوية مما يشير ظاهره إلى ( عدم العصمة ) بحق ابراهيم

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٢٥ .

عليه السلام ، وذلك في قوله عليه السلام :

( ثم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات : اثنتين منهن في ذات الله ، قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) .. وقال : بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأته عنها : من هذه ؟ قال أخي .

فأتى فقال لها : ان هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغيبني عليك ، فإن سألتك فأخبريه أنك أختي .. فانك أختي في الإسلام ، ليس عن وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، فأرسل إليها فأتى بها ، وقام ابراهيم يصلي ، فلما دخلت عليه ذهب بتناولها يده ، فأخذ حتى ركض برجله ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق ، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد . فقال : ادعي الله لي ولا أضرك .. فدعت الله فأطلق ، فدعا بعض حجبه فقال : إنك لم تأني بإنسان إنما أتيتني بشيطان ، فأختمها هاجر ، فأنته وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهيم ؟ قالت : رد الله كيد الكافر في نحره ، وأعلم هاجر .. قال أبو هريرة : تلك أمكم يا بني ماء السماء ) « رواه البخاري ومسلم »

فهذا الخديث الشريف ليس فيه ما يدل على عدم العصمة ، لأن النبي ﷺ لم يقصد بهذه الكذبات الثلاث حقيقة معنى الكذب : وإنما قصد أن ابراهيم الخليل أخبر باخبارات توهم الكذب في الصورة وهي ليست بكذب في الحقيقة والواقع فقول ابراهيم لقومه : (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) إنما هو نوع من التهكم والسخرية بهم وبآلئهم المعبودة فأراد بقوله (إني سقيم) المعنى المجازي : أي إني سقيم من عبادتكم هذه الأصنام ، التي لا تسبح ولا تنفع ، ولا تفني عن صاحبها شيئاً .. وكما يكون الإنسان سقيم الجسم يكون سقيم النفس وخاصة إذا رأى قومه في الجهالة والضلالة يتيهون ، ودعاهم إلى الهدى ولكنهم ظلوا في ضلالتهم بعمهون !

وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) لم يكن في الحقيقة كذباً وإنما هو نوع من الحججة الدامغة ، والبرهان الساطع أراد أن يقيم ابراهيم على قومه فحين سأله

من حطم هذه الأصنام ؟ أشار إلى الصم الأكبر ، سخربة وتهكماً بهم وبهذه الأصنام ، ثم لما رأهم متعجبين من كلامه أجابهم بأجواب المسكت ( فاسألوهم ان كانوا ينطقون ) ٢

وأما قوله لزوجته سارة ( انك أخوتي ) فانما قصد به اخوة العقيدة و اخوة الإيمان كما قال تعالى ( انما المؤمنون اخوة ) ولم يقصد به اخوة النسب لأنها زوجته وليست أخته . . وكل هذا إنما هو من التعريض لا من الكذب الذي يؤخذ صاحبه ويأثم فاعله . وقد قال عليه السلام ان في المعارض للملوحه عن الكذب ، أي أن في التعريض ما يمنع المسلم عن الوقوع في الكذب المحرم . فليس إذا في كلام ابراهيم ما يدل على نعمد الكذب الذي يخجل بعصمة الأنبياء وإنما هو نوع من التعريض النباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

### عصمة يوسف عليه السلام :

وفي قصة يوسف الصديق عليه السلام ، التي قصها علينا القرآن الكريم ، صور مشرقة عن نزاهة هذا النبي الكريم وبراعته وعصمته : مع ما أعطاه الله عز وجل من الجمال ، وما كساه من البهاء والجلال ، حتى امتنت به امرأة العزيز - عزيز مصر - فصنعت ما صنعت بقصد إغوائه وإغرائه ولكنه عليه السلام كان أصليب من الحديد ، وأقوى من الجبال ، فلم تؤثر فيه تلك العواصف الهوجاء ، والمكائد المدبرة ، التي اصطنعها النسوة مع امرأة العزيز ، والتي فص علينا القرآن الكريم طرفاً منها كما قال تعالى : ﴿ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً ، إننا كنا نرانا في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن ، وأعدت لهن متكأ ، وآتت كل واحدة منهن سكينة ، وقالت اخرج عليهن ، فلما رأيت أكبرهن وقطعتن أيديهن ، وقلن حساشا لله : ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ .

## القرآن وبهتان :

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض البسطاء السذج ممن ليس لهم قدم راسخ في العلم . قد اغزروا ببعض روايات اسرائيلية باطلة مكذوبة ، لا يصح أن تروى أو تذكر في كتب التفسير ، وقد سبه عليها العلماء الأکباء ، والحفاظ الثقات . لأنها تصادم النصوص القرآنية الكريمة : وتتأني مع ( عصمة الأنبياء ) الأظهر .

من هذه الروايات الباطلة المفتراة على الصديق يوسف عليه السلام . أنه حين راودته امرأة العزيز عن نفسها . وطلبت منه أن يواقعها . استجاب لها واستكان ، وحاول أن يرتكب معها الفاحشة وأنه عليه السلام حل سراويله وقعد بين شعبها الأربع ، وهم أن يواقعها وهي مستلقية على قفاها . ولكنه سمع صوتاً يتاديه ، وتصور له والده يعقوب عليه السلام وهو عاض على أصابعه .. تصور له عن جدار العرقة ، فخرج واستحيا وترك ما كان قد هم عليه من فعل الفاحشة بزوجته عزيز مصر .. وقد نسي هؤلاء الزاعمون أن يوسف الصديق « نبي مكرم ، وأن الله قد حفظه وصانه من رجس المعاصي والنمواحش ، وأي منكر أعظم ، وأبنة فاحشة أكبر من ارتكاب الزنى ، ثم حياة سيده الذي تعهده ورباه ، وأحسن نزله وشواه ۱۹

﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لإمرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا .. ﴾ .

ولم ينس الصديق هذه المعاملة الحسنة من سيده ، بل ذكر امرأة العزيز حين راودته عن نفسها ، بهذا البخيل والاحسان الذي فعله معه سيده ، وأسأده إليه ، فكيف يخونه في شرفه وعرضه ؟

﴿ قال معاذ الله انه ربي ( أي سيدي ومالك أمري ) أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالمون ﴾

ان الزنى جريمة من أبشع الجرائم ، حرمها الأدباني السماوية ، فكيف

يرتكبها نبي من أنبياء الله؟! سبحانه هذا بهتاناً عظيماً . والذي جعل هؤلاء يعذبون خيط عشواء ، في قبول أمثال هذه الأباطيل والأكاذب ، الصورة عن الاسرائيليات ، هو ذلك النص القرآني الكريم ، الذي جاء في أثناء عرض قصة يوسف عليه السلام ، والذي فهمه هؤلاء البسطاء فهماً خاطئاً ، لا يتفق مع عصمة الأنبياء ، ولا يتسجم مع النصوص القرآنية الأخرى .  
 ذلك النص هو قوله تعالى :

﴿ ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .. ﴾ .

فقد فسروا الهم من يوسف على أنه مطاوعة منه لامرأة العزيز ، وعزم على قربانها .. وفسروا البرهان على أنه الصورة التي ظهر بها والده يعقوب عليه السلام وهو يعرض على أنامله حتى ترك يوسف ذلك العمل الفبيح .  
 وهذا التأويل باطل لا يجوز بحال من الأحوال ، فلوجه الآية التي استدكرها فيما بعد ان شاء الله .. وقد نيه كثير من المفسرين إلى أمثال هذه الاسرائيليات ، وبنوا بطلانها لثلاثين بضع بعض المسلمين بها فبظنوا أنها اختيار حفيضة موشوفة ، يقول العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد السفي في تفسيره :

( ولقد هممت به ) هم عزم ( وهم بها ) هم الفتيان مع الامتناع . ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين ، وفيه اشعار بالفرق بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها .. وفسروا البرهان بأنه سمع صوتاً يناديه : اياك واياها مرتين ، ثم سمع في الثالثة : أعرض عنها ، فلم ينجح فيه ( أي لم ينفع فيه ذلك النداء ) حتى مثل له يعقوب عاصياً على أمته الخ قال الشيخ : وهو باطل وبدل على بطلانه قوله ﴿ هي راودني عن نفسي ﴾ ولو كان ذلك منه لما برأ نفسه من ذلك ، وقوله ﴿ ذلك ليعلم أي لم أحسه بالغيب ﴾ ولو كان ذلك نخانه بالغيب ، وقوله ﴿ كذلك لتصرف عنه سوء وانمحشاه ﴾ ولو كان كذلك لم يكن سوء مصروفاً عنه الخ .

أقول : ان الآية الكريمة لها مفهوم دقيق ينبغي ألا يغفل عنه واسع العلم ، دقيق البصر . ذلك أن الهم الذي وقع من امرأة العزيز كان هم سوء . كانت

تدعوه إلى نفسها من أجل عمل الفاحشة ، ومن أجل ذلك راودته عن نفسها بعد أن أحكمت اغلاق الأبواب وحاصرته في ائدار كما قال تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغنقت الأبواب ، وقالت هيت لك ، قال : معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفتن الضالون ﴾ .

أما الهم اندي كان من يوسف الصديق فلم يكن هم سوء ، ولم يكن عزماً على بحبانه أو فاحشة ، وما يخطر بباله عليه السلام شيء مما يتوجه به بعض الجهلاء من ارادة اتسوء أو عمل الفاحشة .. وإنما كان همه أن يدفع العدوان عنه ، أن يدفع عنه هذه المكيدة الخبيثة التي دبرتها له سيدته امرأة العزيز .. ولهذا نجد الصلابة في موقفه ، والمقاومة العنيفة في حديثه ﴿ قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي ﴾ .

فالهم منها غير الهم منه ، همت به طبعاً ، وهم بها دفعاً كما يقول بعض المفسرين .

أو نقول : أن الهم منها وقع فعلاً ، وأما هم يوسف فكان بالطبع ، أي أنه عليه السلام مال إلى ما يميله الفطريته مع الامتناع عن مقارفة السوء ، والإنسان غير مواخذ على ما تشبهه نفسه أو يميل إليه طبعه ما لم يعزم على فعل الشيء .. ولهذا ما فسره به (النمفي) رحمه الله حيث قال ( همت به ) هم عزم ( وهم بها ) هم الطباع مع الامتناع .

ويرى بعض المفسرين أن في الآية تقدماً وتأخيراً وبصيح المعنى : ( لولا أن رأى برهان ربه ) المعنى لولا برهان الله أي عصمته ليوسف لهم بها ولكن عصمة الله تعالى له حالت دون ذلك الهم .

وهناك أقوال أخرى للمفسرين تبرئ ساحتهم عليه السلام مما نسب إليه أهل الكتاب وقبله بعض البسطاء من الاسرائيليات المكذوبة .

### الأدلة على عصمة يوسف عليه السلام :

وهناك وجوه عشرة على عصمة يوسف وبراهنه عليه السلام من تلك التهمة



الشبهة التي نسبتها إليه من لا يعرف قدر النبوة ولا عظمة الرسالة . ولا صفات الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . . ونحن نوجزها فيما يلي :

الوجه الأول : امتناعه عنه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز ووقوفه في وجهها بكل صلاة وعزم ﴿قال معاذ الله الله ربى أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون﴾

الوجه الثاني : فراره عليه السلام من امرأة العزيز بعد أن حاصرته وضيقته عليه الخناق ، وأرادته على نفسها بالنصب والاكراه ، ولو كان يوسف فهم بالفاحشة لما فرمتها ، لأن الذي يريد عمل الفاحشة يقدم ولا يفر قال تعالى ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألقيا سيدها لدى الباب﴾ الآية .

الوجه الثالث : شهادة بعض أقرباء زوجة العزيز ببراءة يوسف حيث أشار بخص نوبه لأنه إذا كان هو الطالب لها وهي الممتنعة فإن نوبه سيشق من أمام وإن كانت هي الطالبة له وهو الممتنع الحارب منها فإن نوبه سيشق من خلف قال تعالى ﴿وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل (أي شق من أمام) فصلقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر (أي شق من خلف) فكذبت وهو من الصادقين . فما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيد كثر ، إن كيدكّن عظيم﴾ .

وقيل إن الذي شهد هو مفضل كان في المهدي أنطقه الله بهذه الحججة الدامغة لتظهر براءة يوسف عليه السلام ، وهو أحد الثلاثة الذين تكلموا في المهدي ، ولا عجب فانه على كل شيء قدير .

الوجه الرابع : تفضيله السجن على الفاحشة ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ .

وهذا من أعظم أبراهيم على برائه عليه السلام إذ كيف يعقل أن يفضل شخص السجن على شيء يرغبه ويتمناه ، ولو أنه استجاب لدعوتها ، وطاوعها على نفسها لما لبث في السجن بضع سنين بسبب تلك التهمة التي ألحقها به .

فدعوى هم يوسف بامرأة العزيز باطل ظاهر البطلان ، يدرك ذلك كل متصف  
درس تاريخ هذا النبي الكريم ، وفهم معاني القرآن العظيم .

الوجه الخامس : ثناء الله عز وجل عليه في مواطن عديدة من السورة كما  
قال تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ .  
وقال تعالى في صدر هذه القصة :

﴿ ولما بلغ أشده آتينا حكماً وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين ، وراودته  
التي هو في بينها عن نفسه .. ﴾ .

فقد أثير الله تعالى عنه بأنه من المحسنين وأنه من عباده المخلصين ، الذين  
اختارهم الله لتبونه ، وأخلصهم لطاعته وعبادته ، وهل يكون ثناء الله تبارك  
وتعالى إلا على من صفت نفسه ، وطهرت سريرته من كل نية سيئة ، وكل  
عمل تبيح ، فكان من الأبطال المقربين ؟ وقد شهد رسول الله ﷺ له أيضاً  
بالصلاح والضي ، وبالطهارة والاستقامة فقال صلوات الله عليه : ( ان الكريم  
ابن الكريم بن الكريم ، يوسف بن يعقوب ، بن اسحق ، بن ابراهيم ) وكفى  
بذلك شرفاً وفضلاً !!

الوجه السادس : اعتراف امرأة العزيز نفسها بمصنعه وعفته أمام جمع  
من نسوة المدينة كما قال تعالى ﴿ فلما رأينته أكبرته وقطعن أيديهن ،  
وقفن حاشا لله ما هنا بشراً ، ان هذا إلا ملك كريم . قالت : فذلكن  
الذي لئنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم . ﴾ الآية .

فهذه شهادة صريحة واضحة على عفة يوسف وبراهته صلبرت من نفس  
امرأة العزيز ، التي أنهت أمام زوجها بعمل الفاحشة ، ولفظ ( استعصم ) يدل  
على الامتناع البليغ ، والحفظ الشديد ، كأنه في عصمة من الأمر وهو يجتهد  
في الاستراة منها ، وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام يرى بما قرر  
به بعض الناس ( المهم والبرهان ) كما أسلفنا بطلانه فيما سبق .

الوجه السابع : ظهور أمارات البراءة على يوسف عليه السلام بالدلائل

الواضحة ، والبراهين الساطعة أمام جميع الشاهدين ، ومع ذلك فقد أقدم عزيز مصر على سجنه إيهاماً للناس وستراً على زوجته قال تعالى : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه حتى حين ﴾  
 قال العلامة النسفي في تفسيره :

( ثم بدا لهم ) أي ظهر لهم والقسم يعود للعزيز وأهله ( من بعد ما رأوا الآيات ) وهي الشواهد على براءة يوسف كقصد القميص ، وقطع الأيدي ، وشهادة الصبي ، وغير ذلك ، ( ليسجننّه ) لابتداء عذر الحلال ، وارتخاء السر على القبل والقال ، وما كان ذلك إلا باستئصال المرأة لزوجها وكان مطاوعاً لها ، وحملها ذلولاً زمامه في يدها ، ( حتى حين ) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون منه .

الوجه الثامن : استجابة الله عز وجل لدعوة يوسف حين طلب من ربه أن يصرف عنه كيدهن ومكرهن الخبيث به ، ولو كان له رغبة في مطاوعة زوجة العزيز لما طلب من الله أن يصرف عنه كيدهن وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنّه هو السميع العليم ﴾ .

الوجه التاسع : عدم قبول يوسف الخروج من السجن حتى تظهر براءته أمام جميع الناس ، وذلك بدل على منتهى شهامته ، وعفته ، ونزاهته ، ولولا ذلك لما فضل البقاء في السجن بعد أن مكث فيه سبع أو تسع سنوات ولاقى فيه الشدائد ، فلم يقبل الخروج من السجن حتى يقر الجميع ببراءته وتنزه ساحتة من تلك التهمة الشنيعة ﴿ وقال الملك انتوني به ، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك ( أي سيدك عزيز مصر ) فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، إن ربي بكيدهن عليهن ﴾ .

الوجه العاشر : وأخيراً الاعتراف الواضح الصريح من النسوة ومن امرأة العزيز التي آتمته بنفسها ، وذلك لا بدع ذرة من شك في براءة يوسف ونزاهته

وعصمته مما نسب إليه وذلك حين جمع العزيز النسوة وسألن عن يوسف الصديق فأجبنه بجواب صريح قاطع :

﴿قال ما خطبكمُن إذ راودتُن يوسفَ عن نفسه ، قلنَ حاشا لله ما علينا عليه من سوء ، قالتُ امرأةُ العزيزِ الآنَ حَصْحَصَ (أي ظهر وبان) الحق ، أنا راودتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلمَ أني لمْ أخشهُ بالغيبِ وأن الله لا يهدي كيدَ الخائنين﴾ .

هذه عشرة وجوه في عصمة الصديق يوسف عليه السلام وبرائه مما نسب إليه من الزور والبهتان ، اقتبسها من القرآن الكريم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

#### ما ورد بشأن نوح عليه السلام :

ومن هذه النصوص الكريمة قول الله تعالى في قصة نوح عليه السلام :

﴿وقادى نوحُ ربه فقالَ ربّ إن ابني من أهبي وإنّ وعدكَ الحقّ ، وأنتَ أحكمُ الحاكمين . قالَ يا نوحُ إنه ليسَ من أهليك ، إنه عملٌ غيرُ صالحٍ ، فلا تَسألنِ ما ليسَ لكَ به علمٌ إني أعيتُك أن تكونَ من الجاهلين﴾

فنوح عليه السلام إنما سأل ربه أن ينجي ولده ، لأن الله عز وجل قد وعده بإنجاء أهله وإهلاك الظالمين ، وولده من أهله ، وكان ابنه قد وعده بالإيمان ، فطلب من الله أن ينجيه من الغرق اعتقاداً منه بأن ولده على دينه ، ولم يعطم بحقيقة كفره إلا بعد أن أظهر الله تعالى ذلك بقوله ﴿لَنْ أُنزِلَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي أنه ليس من أهلك الدين وعدتكم بإنجائهم لأنه غير مؤمن وقد وعدتكم بإنجاء المؤمنين عند ذلك تبرأ نوح من ولده .

ثم إن نوحاً عليه السلام لم يرتكب هنا معصية أو إثماً ، وإنما دعا الله أن ينجي ولده ، وأخذته الشفقة والعاطفة الأبوية ، بكونه بشراً وأباً رحيماً فطلب من الله أن يلهم ولده الإيمان ، لينجو من الغرق ، فأخبره الله تعالى بأنه قد سبقت له الشقاوة وأنه من المهلكين .

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله عند تفسير هذه الآية الكريمة :  
 « وقد كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه ، لأنه كان يناقض ، وإلا لا يحتمل أن يقول : ابني من أهلي ، ويسأله نجاة ، وقد سبق منه انتهى عن سؤال مثله بقوله بجلا وعلا ﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ فكان نوح يسأله على الظاهر الذي عنده ، كما كان أهل النفاق يظهرون لتبينا عليه السلام الموافقة ، ويضمرون الخلاف له ، ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله تعالى عليه ، وقوله (ليس من أهلك) أي من الذين وعدت النجاة لهم ، وهم المؤمنون حقيقة في السر والعلن » .

#### ما ورد بشأن يونس عليه السلام :

ومن النصوص الكريمة قول الله تعالى في قصة يونس عليه السلام :  
 ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغْرَاباً فُظُنَّ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ

(١) انظر تفسير أنصهي الجزء الثاني صفحة ١٩٦-١٩٢ .

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّبِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ .

فإن ظاهر هذه الآية قد يوهم أن (يونس) عليه السلام قد فعل ما أغضب الله عز وجل ، وأنه شك في قدرة الله على الانتقام منه ، وهذا فهم خاطيء وتفسير للآية الكريمة على غير معناها الصحيح ، وقد وقع في هذا الوهم بعض الجهلاء ، فظنوا أن (يونس) عليه السلام قد وقع في المعصية : وخالف أمر الله فذهب مغاضباً لربه ، فابتلعه الحوت بسبب هذا الذنب .

والصحيح الذي ذكره المفسرون في معنى هذه الآية الكريمة أن (يونس) عليه السلام كان قد أضر قومه ، وحذرهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ، فتعادوا في ضلالهم وكفرهم فأوعدهم بالعذاب العاجل ، فلما تأخر عنهم العذاب ، خرج كالستور منهم ليتوارى عن نظارهم ، خشية أن يهزؤوا منه ويسخروا ، ويتهموه بالكذب على الله حيث أنبئهم بتزول العذاب ولم ينزل ، فخرج مغاضباً لقومه ، لا مغاضباً لربه - وحاشاه - عليه أفضل الصلاة والسلام أن يغضب ربه ، أو يعصي له أمراً .. قال الشيخ أبو انبركات عبد الله النسفي في تفسيره :

قوله تعالى ﴿وإذا التوت إذا ذهب مغاضباً﴾ الآية المعنى : أذكر صاحب الحوت ، والتوت الحوت فأضيف إليه ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ أي مراغماً لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بفارفته ، لحرفهم حلول العقاب عليهم عندها .. روي أنه جرم<sup>(١)</sup> بهم لطول ما ذكرهم ، فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فواغهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله ، وبغضاً لنكفر وأهله ، وكان عليه أن يصبر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى بطن الحوت ..<sup>(٢)</sup> فالغاضبة كانت لقومه لا لربه ، والمعانية كانت لعدم الصبر ، والخروج من بين قومه بغير إذن من الله تعالى ، ولهذا أمر الله رسوله الكريم ، أن يصبر

(١) يرميهم : أي ضاق ذرعاً بتكذيبهم له .

(٢) تفسير انتهى الجزء الثالث ص ٨٧ .

على تكذيب المشركين ، وألا يكون ضيق الصدر ، قليل الصبر كما كان شأن  
يونس عليه السلام مع قومه ، حيث ضربه الله تعالى مثلاً فقال عز من قائل :  
﴿فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم  
لولا أن تداركته نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتنبه ربه  
فجعلته من الصالحين﴾ .

وقوله تعالى ( لنبد بالعراء وهو مذموم ) جواب ( لولا ) ومعلوم أن (لولا)  
في اللغة العربية هي حرف امتناع لوجود أي أنها تفيد امتناع الجواب لوجود  
الشرط .. ومعنى الآية الكريمة : لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره  
لنبذ من بطن الحوت ( بالعراء ) أي بالقضاء وهو ( مذموم ) أي معاتب يزد  
لكنه رحم فنبذ غير مذموم .

وأما قوله تعالى في الآية السابقة ( فتن أن لن نقدر عليه ) فهي من القدر  
لا من القدرة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ؛ فقد روى أنه دخل يوماً على  
معاوية ، فقال له معاوية : لقد ضربني أمواج البحر الباردة ففرقت فيها ، فلم  
أجد لنفسي خلاصاً إلا بك ، فقال ابن عباس وما هي يا معاوية ؟ فقرأ الآية  
ثم قال : أو بظن نبي الله أن لا يقدر عليه ربه ؟ فقال ابن عباس : هذا من القدر  
لا من القدرة ، والمعنى : فظن أن لن نصيب عليه بسبب خروجه بغير إذننا قال  
تعالى ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ أي ضيق ، وقال تعالى ﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾  
فقدّر عليه رزقه فيقول ربي أهانني﴾ أي ضيق عليه رزقه ، فزال بذلك الاشكال  
والله أعلم .

### هل اخطأ الرسول ﷺ ؟

والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام - كبقية الرسل الكرام - معصوم  
من الذنوب والآثام ، محفوظ بعناية الله عز وجل ، محاط برعايته ، فلا يمكن  
أن تقع منه مخالفة لأمر الله ، أو يرتكب ذنباً يستحق عليه العقوبة .  
ولكنه ﷺ قد يجتهد فيعمل بخلاف الأفضل والأحسن فيعاتبه ربه .. وليس

هذا من قبيل اللذّب والمعصية ، وإنما هو من قبيل التنبيه إلى فعل الأكل والأفضل  
وان كان بالنسبة لمقام الأنبياء يعتبر فعل خلاف الأفضل خطأ يستحق عليه المؤاخذه  
والعتاب على حد قول بعضهم ( حسنات الأبرار سيئات المقربين ) .

وسنعرض إلى بعض نصوص كريمة ورد فيها العتاب لرسول الله ﷺ ،  
ونبين فيها وجه الخلق وما ورد فيها من العتاب ، كما نعرض لنصوص أخرى  
ظاهرها يفيد وقوع الرسول في المخالفة والمعصية وتوضح معناها على ضوء أقوال  
أئمة التفسير ، وضوء الكتاب والسنة ، فنقول ومن الله نستمد العون :

**النص الأول :** قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى  
يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ، تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ بَرِيدُ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ . لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

**النص الثاني :** قال تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهْمَ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ  
الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

**النص الثالث :** قال تعالى : ﴿ عَجَسَ وَنَوَى أَنْ يَأْتِيَ الْعَمَى ، وَمَا بِدُرَيْكَ  
لَعَلَّهُ يَرْكَبُ أَوْ يَذْكَرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

**النص الرابع :** قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
لَتَفْتُرِي عَلَيْنَا غَيْرَةً ، وَإِذَا لَا تَخَذُونَكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ نُبَشِّرَكَ لَقَدْ كَدَرْتَ  
تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا لَا ذِقْنَاكَ ضَعَفَ الْحَيَاةَ وَضَعَفَ الْمَمَاتِ ، ثُمَّ  
لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ .

**النص الخامس :** قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ  
وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يوحى لَئِكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ بِمَا تَصْلَوْنَ خَبِيرًا ﴾ .

**النص السادس :** قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ



الذين يفرزون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من  
المُستزين ﴿

النص السابع : قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ كِبُرًا عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ  
اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ تَفْقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ، فَتَأْتِيَهُمْ بَابًا ،  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ، فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَالِعِينَ ﴾ .

النص الثامن : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

النص التاسع : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ  
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَبِئْسِمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾

النص العاشر : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْعَمْتَ  
عَلَيْهِ أَسِيبْكَ عَلَيْهِ زَوْجُكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ،  
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَيْحَى أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا  
لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ،  
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

### العتاب في أمرى بلى :

أما الآية الأولى التي فيها عتاب للرسول ﷺ ، والتي نوههم أن الرسول  
الكريم قد خالف أمر الله ، وأنه فعل ما لم يرض به الله ، فهي قوله تعالى ﴿ مَا  
كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يُشْخَرَ فِي الْأَرْضِ ، تَرِيدُونَ عَرَصَ  
الدُّنْيَا؟ وَاللَّهُ بَرِيدُ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ  
لِنَفْسِكُمْ ، فِيمَا أُنذِرْتُمْ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

ولعل بعض الجاهلين يظن أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ارتكب  
ذنبا ، أو فعل جرما ، أو عصى أمرا لرب العالمين ، حتى نزل هذا العتاب الشديد

مع أن الأمر ليس كما يفتنون ، وإنما غاية أن الرسول ﷺ قد استشار بعض الصحابة في (أسرى بدر) ثم اجتهد فحكم بترجيع رأي الأكثرين ، فقبل الفداء من الأسرى ، وكان هذا الاجتهاد منه عليه الصلاة والسلام بخلاف الأفضل والأحسن والأولى ، لأن مصلحة الدعوة ومصلحة الإسلام كانت تقتضي ألا يقبل عليه الصلاة والسلام منهم الفداء ، بل يسفك ويريق منهم الدماء؛ لتضعف شوكة الكفر ، وتبين عزيمة المشركين ، ويكون العز والتصر لعباد الله المؤمنين لا سيما وأن هذه المعركة هي أول حرب تقع بين المؤمنين والمشركين .

ونذكر هنا بعض الروايات لأصحاب التفسير بالمأثور حول نزول هذه الآية الكريمة :

١ - روى الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

« لما كان يوم بدر جيء بالأسارى فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله : قومك ، وأهلك ، استبفهم لعل الله أن يتوب عليهم .  
وقال عمر يا رسول الله : كذبوك ، وأخرجوك ، وقتلتوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم .

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : انظروا وادباً كثير الخطب فأضرموه عليهم ناراً .

فقال العباس وهو يسبح ما يقول : قطعت رحمتك .

فلعل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً فقال أناس : بأخذ يقول أبي بكر رضي الله عنه ، وقال أناس يأخذ برأي عمر رضي الله عنه ، فخرج رسول الله ﷺ فقال : « إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون أثين من اللين . » وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة .

مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم عليه السلام إذ قال : ﴿ فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام إذ

قال : **﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾** ومثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام إذ قال : ( رب لا تذّر علي الأرض من الكافرين ذيئاراً ) ومثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام إذ قال : **﴿ربنا اصمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾** .

ثم قال عليه السلام : أنتم عامة فلا يفلن أحد منكم إلا يقدها أو ضرب عنق فقال عبد الله يا رسول الله : إلا (سهيل بن بيضاء) فإنه سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع علي الحجارة مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ : إلا سهيل بن بيضاء ... فأنزل الله تعالى **﴿ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾** الآية وروى أحمد ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال :

( لما أسروا الأسرى يعني يوم بدر قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو الصم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون فدية لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟

فقال : لا والله يا رسول الله لا أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكنني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علينا من عقيل (أي أخيه) فيضرب عنقه وتمكنني من فلان - فريب لعمر - فأضرب عنقه ومكن فلاناً من فلان فرباه . فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاصدين ببكبان .. قلت يا رسول الله : أخبرني من أي شيء نبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء نباكيت ليكنكما ؟ فقال رسول الله ﷺ وأبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم انقضاء : لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة منه - وأنزل الله عز وجل : **﴿ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾** الآية .

فقد دل هذا الحديث الشريف على أن الذين أشاروا على الرسول ﷺ بأخذ  
القداء كثيرون وإنما ذكر في أكثر الروايات (أبو بكر) رضي الله عنه لأنه  
أول من أشار بذلك فقد استشاره ﷺ أول ما استشار أصحابه ، كما أنه أكبرهم  
مقاماً وأحبهم إلى رسول الله ﷺ .

فهذا العتاب الشديد من الله عز وجل لنتيبه ولأصحابه الأبرار كان بقصد  
التعليم والتنبية إلى الأخذ بالأكل والأفضل والريث في مثل هذه الأمور الدقيقة ،  
فإنه عز وجل يريد هزة الإسلام ورفع شأنه . . وقد قال (ابن عباس) رضي  
الله عنهما في قوله تعالى ﴿لَمَّا كَانَ لُنْبِي أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾  
قال ذلك إنما كان يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا ، واشتد  
سلطانهم أنزل الله في الأسارى (فلما منا بعد وإما قداء) فجعل الله النبي والمؤمنين  
في أمر الأسرى بالخيار : إن شاءوا قتلهم ، وإن شاءوا استعبدهم ، وإن  
شاءوا فادوهم (أي اطلقوا سراحهم مقابل الفداء) وقد أشارت الآية الكريمة  
إلى أن هذا الأمر لما كان عن اجتهاد ومشاورة من الرسول ﷺ لأصحابه وأن  
الله عز وجل سبقت حكمته الأزلية ألا يؤخذ المؤمنون على ما وقع خطأ بطريق  
الاجتهاد ، لذلك أعقبها تعالى بقوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

#### العتاب في الأذن للمنافقين :

أما الآية الكريمة الثانية وهي قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى  
يَتَّبِعُواكَ لَوْ كُنْتَ فَاهِقًا﴾ فهذه الآية الكريمة ليس فيها ما يدل  
على وقوع الذنب منه عليه الصلاة والسلام ، وغاية ما في الأمر أن الله عز وجل  
عاقبه لكونه أذن لبعض المنافقين في ترك الخروج للجهاد ، لما اعتنقوا إليه عن  
عدم الاستطاعة ، فنزل العتاب من الله عز وجل له .

قال سفيان بن عيينة : انظروا إلى هذا اللطف ، بدأ بالعفو قبل أن يعيره  
بالذنب .

وقال عمرو بن ميمون : اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر بهما ، اذنه للمناققين ، وأخذته القديمة من أسارى بدر ، فعاتبه الله كما تسمعون .  
ويرى بعض المفسرين أن الآية الكريمة لا تشير حتى للعتاب فضلاً عن وقوع الذنب ، وذلك أن الله عز وجل وقره ورفع منزلته بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريماً عنده : عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي ؟ ورضي الله عنك ألا زرتني ؟ وهذا ما ذهب إليه الإمام الرازي والبخاري وغيرهما .

وقد أساء ( الزمخشري ) الأدب في تفسيره عند قول الله تعالى لنبيه ﷺ عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ في الآية حيث قال ما نصه :  
( عفا الله عنك ) كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه : أخطأت وبئس ما فعلت و ( لم أذنت لهم ) ؟ بيان لما كفى عنه بالعفو ومعناه مآلذ أذنت لهم في القعود عن المزو حين استأذنتوك واعتلوا لك بعلهم ، وهلا استأنيت بالأذن ( حتى يتبين لك ) من صدق في عذره ممن كذب فيه .  
وقد ذكر صاحب ( تفسير المنار ) كلاماً لطيفاً في منتهى الإبداع والانتفاع فنقل طرفاً منه حيث قال رحمه الله :

و هذا وإن بعض المفسرين - ولا سيما الزمخشري - قد أساءوا الأدب في التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله ﷺ في هذه الآية ، وكان يجب أن يتعلموا منها أعلى الأدب معه صلوات الله وسلامه عليه ، إذ أخبره ربه وموديه بالعفو قبل الذنب وهو منتهى التكريم والالطف ، وبالغ آخرون كالرازي في الطرف الآخر ، فأرادوا أن يشيخوا أن العفو لا يدل على الذنب ، وغايته أن الأذن الذي عاتبه الله عليه هو خلاف الأولى ... ثم قال : وانتدب في النفة ليس مرادفاً للمعصية وإنما هو كل عمل يستتبع ضرراً ، أو فوت مصلحة أو منفعة ، مأخوذ من ذنب الدابة ، واذن المعفو عنه قد استتبع فوت المصلحة المنصوصة في الآية وهي تبيين الصادقين ، والعلم بالكاذبين<sup>(١)</sup> .

(١) تفسير المنار الجزء العاشر صفحة ٤٤١-٤٤٢ .

وقد كان الإذن المعاتب عليه اجتهاداً منه ﷺ فيما لا نص فيه من الوحي ، وهو جائز ووافع من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه ، وإنما العصمة المنفرد عليها خاصة بتبليغ الوحي بيانه والعمل به ، فيستحيل على الرسول أن يكذب أو يخطئ فيما يبلغه عن ربه ، أو يخالفه بالعمل ، وقد صرح علماء الأصول بمجاوز الخطأ في الاجتهاد على الأنبياء عليهم السلام ، وقالوا : ولكن لا يفهم الله على ذلك ، بل يبين لهم الصواب فيه ، وغاية ما فيه هنا أنه مخالف لما يقتضيه الجزم ، وكان من لطف الرب اللطيف الخبير ، برسوله البشير النذير ، أن أخبره بالمفروغ عنه ، قبل بيانه له . . .

**النص الثالث :** وهو قوله تعالى : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ .

فقد تمسك بظاهر هذه الآية من زعم أن المعصية تقع من الأنبياء ، وأن العصمة غير واجبة لهم ، وهذا خطأ في الفهم ، وعدم إدراك للمعنى الصحيح ، ومن سبب نزول الآية يتضح أن الرسول ﷺ لم يرتكب معصية وإنما خالف الأولى فنتبه الله تعالى لئلا الأكل والأفضل ، روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

( بينا رسول الله ﷺ بناحي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، والعباس ابن عبد المطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له « عبد الله بن أم مكتوم » يحشي وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستغريه الذي ﷺ آبه من القرآن ، وقال يا رسول الله : علمني بما علمك الله ، فأعرض عنه رسول الله ، وعبس في وجهه وتولى ، وكره كلامه وأقبل على الآخرين فأنزل الله ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى . . . ﴾ الآيات ، فلمّا نزل فيه ما نزل كرمه رسول الله وكلمه وقال له : ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ وإذا ذهب من عنده قال له هل لك حاجة في شيء ؟ قال ابن جرير : والتعرض يذكر عماء ، لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى ، وكان يجب أن يزيد تعطفاً وترؤفاً ، وتقريراً وترحيباً ) (١) .

(١) انظر تفسير الخليلي .

فأنت ترى من سيث النزول أن الرسول ﷺ كان مشغولاً مع رؤساء قريش ، وكان يحرص على دعوتهم لأنهم إذا أسلموا أسلم بإسلامهم للناس ، وقد جاء هذا الأعمى في وقت كان ﷺ مشغولاً فيه فترك إجابته لما هو - في نظره - أهم وأعظم ، فعاتبه الله على هذا ويثبت له ما هو الأفضل والأحسن . قال الرازي : (القانون بصنور الذنب عن الأنبياء تمسكوا بهذه الآية وقالوا لما عاتبه الله في ذلك الفعل ذلك على أن ذلك الفعل كان معصية ، وهذا بعيد فإننا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب الثمين ، إلا بحسب هذا الاعتبار الواحد وهو أنه يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء وذلك غير لائق بصلاة الرسول وإذا كان كذلك كان ذلك جارياً مجرى ترك الاحتياط وترك الأفضل فلم يكن ذلك ذنباً البتة )<sup>(١)</sup> . وأجاب ابن حزم بقوله : « وأما قوله (عيسى وتولى) الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه بعض عظماء قريش ، ورجا إسلامهم ، وعلم أنه لو أسلم لإسلامه ناس كثيرون وأظهر الدين ، وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه ، فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير ، عمداً لا بخلاف فوته ، وهذا غاية في النظر في الدين والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الأمر . ونهاية التقرب إلى الله ، الذي وفعله اليوم مثلاً فاعمل لأحر : فعاتبه الله تعالى إذ كان الأولى عند الله أن يقبل عن ذلك الأعمى تفاضل البر التفي ، ويترك أولئك المعتادين . »

**النص الرابع :** وهو قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِئُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُنْفَرِيَّ عَيْنًا غَيْرَهَا وَإِذَا لَاتَخَذُوا خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَعَدَّتْ فَرَكْسٌ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴾ الآيات ، فهذه الآيات الكريمة يدل ظاهرها على أن الرسول ﷺ قرب مسابقة المشركين والركون إليهم وهذا ذنب عظيم وخاصة

(١) انظر تفسير الرازي .

في أمر نبليغ الوحي، وهذا الأمر غير وارد أصلاً ، فقد روي في سبب نزول هذه الآية أن قبيلة (نقيف) وكانت تسكن الطائف قالوا للنبي ﷺ : لا ندخل في دينك حتى تعطينا شخصاً نفتح بها على العرب ، فلا يكون علينا زكاة ولا جهاد ولا صلاة ، وأن كل ربا عاينا فهو موضوع وكل ربا لنا فهو محفوظ لنا ، فإن قالت العرب لم فعلت ذلك ؟ فقل إن الله أمرني .. وطمع القوم أن يعطيهم القوم ما طلبوا فأنزل الله هذه الآية ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَمْسُقْنَ يَدَاكَ﴾ الآية ، فانت ترى أن الرسول ﷺ لم يجيهم وإنما عرضوا عليه عروضاً وضعوا في أن يوافقهم الرسول على ذلك، وحاشاه ﷺ عن أن يستجيب لدعوتهم الباطلة ، وأن يسايرهم على أهوائهم الفاسدة . قال (ابن كثير) رحمه الله : يخبر الله تعالى عن أيديهم لرسوله وتبنيته ، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه ، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها

**النص الخامس :** وهو قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تُطِعِ

الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً ، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ . فإن هذا النص الكريم ليس فيه ما يدل على وقوع الذنب من الرسول ﷺ وإنما هو خطاب للأمة توجه إلى القائد والزعيم في صورة الخطاب له ﷺ والمراد به أمته كما يقول الملك لعائد جيشه : لا تتسامح مع العدو ، وقاتلهم حتى يخضعوا لحكمك ويتقادوا لأمرك ، ولا تقتل طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً ، ولا تظهر أمام عدوك الحرف والفرع .. إلى آخر ما يأمر به فهو يخاطب القائد والمراد به الجند ، وبنية الزعيم والمراد به الأمة . والدليل أن المقصود بالخطاب هو الأمة لا شخص الرسول أن الله تعالى ختم الآيات الكريمة بصيغة الجمع ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ولم يقل : بما تعمل ، فهو مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتِ الْمَاءَ فَطَلِقِيهِنَّ وَعَدْنِي﴾ الآية فهي خطاب للأمة في شخص الرسول ﷺ وإذا حملنا الخطاب على الرسول ﷺ فليس ما فيه ما يدل على أن الرسول هم بطاعة الكافرين



والمنافقين ؛ أو فعل معصية حتى أمره الله تعالى بالتقوى ، وإنما غاية ما في الأمر أن الله تعالى حذره من مكر الكافرين ، وخذاع المنافقين ، وأطلعه على خبيثة نفوسهم ليكون الرسول منهم على حذر ، ولئلا يتخدع بمسول كلامهم ، وقد روى أن أبا سفيان ، وعكرمة بن أبي جهل ، وأبا الأعمور السلمي قدموا على النبي ﷺ في المواعدة التي كانت بينه وبينهم ، فقالوا فلنبي ﷺ ارفض ذكر آلهتنا ، وقل إنها تشفع وتنتفع ، وندعك وربك فتشق ذلك على النبي وعلى المؤمنين ، وهم عمر - وكان حاضراً - بقتلهم فنزلت الآية .  
وروى أن أهل مكة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شظراً من أموالهم ، وخوفه المنافقون واليهود بالدينة فأنزل الله ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ الآية .

النص السادس : وهو قوله تعالى : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من المسترئين ﴾ .

فهذه الآية الكريمة ليس فيها ما يدل على شك الرسول ﷺ في الوحي الذي نزل عليه ، وإنما هو من باب (الفرض والتقدير) كما هو عادة العرب في تقدير الشك ليبي عليه ما ينفي احتمال وقوعه كما تقول لا ينك (إن كنت ابني فلا تكن بخيلاً) ومعنى الآية على هذا التقدير : إن وقع منك يا محمد شك - فرضاً وتقديراً - فيما قصصنا عليك من أخبار الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم فاسأل علماء أهل الكتاب الذين يقرءون الكتاب من قبلك ؛ فإنهم على علم من ذلك ، فالفرض وصف الأخبار بالعلم لا وصف النبي ﷺ بالشك والريب ، وهذا قال (ابن عباس) رضي الله عنه : لا والله ما شك رسول الله طرفة عين ، ولا سأل أحداً منهم . وروى أنه لما نزلت هذه الآية قال الرسول الكريم : لا أشك ولا أسأل<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه جويهر وذكره في الباب .

(٢) انظر تفسير الطبري من ١٦٨ الجزء الثاني عشر .

جاء في محاسن التأويل ما نصه :

« لا يفهم من هذه الآية ثبوت شك له صلوات الله عليه ، فإن صدق الشرطية لا يقتضي وقوعها كقولك : إن كانت الخبثة زوجاً كانت منقسمة بمساويين .. والسر في مثلها تكثير الدلائل وتقويتها لترداد قوة اليقين ، وطه آئنة القلب ، وسكون الصدر ، أو السر هو الاستدلال على تحقيق ما قص ، والاستشهاد بما في الكتاب المتقدم ، وأن القرآن مصدق لما فيها ، أو وصف الأخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله صلوات الله عليه تبريضاً بالمشركين .. وقيل الخطاب له ﷺ والمراد غيره على حد قولهم : (إياك أعني ولسمعي يا جارة) والمعنى إن كنت أيها السامع في شك لما نزلنا على نسان نبينا إليك وبرؤيده **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي﴾** (١) »

**النص السابع :** قوله تعالى : **﴿وإن كان كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَعْتَنَ أَن تَبِيعُوا تَفَقَّأَ فِي الْأَرْضِ ، أَوْ سَلَعًا فِي السَّمَاءِ فَتَاتِيهِمْ بَايَةٌ ، وَلَوْ شَاءَ بِجَمْعِهِمْ عَلَى الْمَدِينِ ، فَلَا تَكُونُ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾** فهذه الآية ليس فيها ما يدل على أن الرسول ﷺ افترض ذنباً حتى عاتبه الله تعالى بهذا العتاب ، وإنما غاية ما في الأمر أن الله تعالى أراد أن يخفف عنى ورسوله عناه تكذيب المشركين له ، وأن يظنهم على حقيقة نفوسهم ، فلو جاءهم محمد رسول الله بكل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، قال (ابن عباس) رضي الله عنهما : « إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله أنه لا يؤمن ندعئك إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذمير الأول (٢) » ولهذا قال الله تعالى عقب هذه الآية **﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ، وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾** والمراد بالموتى : الكفار الذين لا يؤمنون ولا يستجيبون لدعوة الحق .

(١) محاسن التأويل لفناني ج ٩ ص ٢٢٩٦ .  
(٢) انظر تفسير ابن كثير ص ١٤١ ج ٢ .

ففي هذه الآية ما لا يخفى من الدلالة على المباغلة في حربه ﷺ على إسلام قومه ، بحيث لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض ، أو من فوق السماء لأن بها رجاء إيمانهم وشفقة عليهم صلوات الله وسلامه عليه وصدق الله حيث يقول ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتتم ، حرصن عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

**النص الثامن :** قوله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ .

ففي هذه الآية تحذير له ﷺ على إجابة كفار قريش في طرد المؤمنين المستضعفين ، وليس فيها ما يدل على أنه طردهم فعلاً ، وإنما هو عرض عرضه المشركون على رسول الله فجاء التشبيه من الله والتحذير من فعله ، وروى ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : مرّ الملا من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب ، وبلال ، وعمار ، وسجّاب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيتنا ؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم تبعك فنزلت هذه الآية ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾<sup>(١)</sup> .

إذا علمت ذلك تبين لك أن الرسول ﷺ لم يطرد هؤلاء الضعفاء ، وإنما هم يلعبونهم عن جلسه حين قدوم أولئك المشركين ، ليتألف قلوبهم فيفقدوهم ذلك إلى الإيمان ، فنهاه الله تعالى عن تنفيذ ذلك لهم وأمره أن يجعل هؤلاء الفقراء المستضعفين جلساءه وأنحصاه كما قال تعالى في سورة الكهف : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره قرطاً) .

(١) انظر محاسن التأويل ص ٢٢٢٤ .

**النص التاسع :** قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ الآية .

قال ( ابن كثير ) : المراد بقوله تعالى ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ) هو صلح الحديبية ، فإنه حصل بسببه خير جزيل ، وأمن الناس ، واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر ، وانتشر العلم النافع والإيمان .

وقال ( ابن القيم ) : كان صلح الحديبية مقدمة وتوطئة بين يدي هذا الفتح العظيم ، أمن الناس به ، وكلم بعضهم بعضاً ، وناظره في الإسلام ، وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة من إظهار دينه والدعوة إليه ، والمناظرة عليه ، ودخل بسببه بشر كثير في الإسلام ، ولهذا سماه الله فتحاً<sup>(١)</sup> .

وأما الذنب المذكور في الآية فالمراد منه ترك الأفضل والأولى قال أبو السعود في تفسيره : قوله تعالى ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ في جميع ما فرط منك من ترك الأولى ، وتسميته ذنباً بالنسبة إلى منصبه الجليل ﷺ ، وجاء في التفسير التواضع : والمراد بما تقدم من الذنب وما تأخر هو ما فرط من النبي ﷺ - وهو المعصوم عن معصية ربه - من خلاف الأولى بالنسبة لمقامه فهو من قبيل حسان الأبرار سيئات المقربين ، وقيل المراد ما هو ذنب في نظره تعالى ، وإن لم يكن في الواقع كذلك ، ولعل الإضافة في قوله ( ذنبك ) تشير إلى هذا المعنى<sup>(٢)</sup> .

**النص العاشر :** قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ الآية . وهنا يحلو لبعض ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض أن يشيروا بعض الشبهات حول زواج النبي ﷺ بزَيْنَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ مَوْلَاهُ وَمَتْنَاهُ ( زيد بن حارثة ) وأن بقوا زوجة من

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم في الكلام على غزوة الحديبية .

(٢) انظر التفسير كواضح المعجازي ص ٣٩ ج ٢٦ .

الزواج المهرجاء حول ( عصمته ) عليه السلام ، فقد زعموا أن عملاً رأى زينب فأحبها  
ثم كتم هذا الحب ، ثم بعد ذلك أظهره ، ورغب في زينب فطلبتها زوجها زيد  
وتزوجها رسول الله ، وزعموا أن العتاب في الآية كان لكتمان حب الرسول  
لزينب .

واقروا بعض القرى الأئمة فزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بيت زيد وهو  
غائب فرأى زينب فوق منها في قلبه شيء فقال : سبحان مقرب القلوب ا  
فسمعت زينب النسيحة فنقلتها إلى زيد فوق في قلبه أن يطلتها حتى يتزوج  
بها الرسول إلى غير ما هنالك من المزاعم الباطلة التي تلفها ( المستشرقون ) ومن  
على شاكلتهم من المسلمين الزيفين ، وخبوا فيها ووضعوا ، وأباحوا لأنفسهم  
الخرص في الأعراض ، والتكلم في حق النبي الكريم ، وتصويره بصورة يرفع  
عنها كثير من الناس ، وكان سندهم في ذلك بعض الروايات الإسرائيلية التي  
دست في كتب التفسير وهي روايات باطلة لم يصح فيها شيء كما قال ( أبو  
بكر بن العربي ) رحمه الله .

وتفصيل الموضوع كما روى ابن أبي حاتم من طريق السدي ولفظه : بلغنا  
أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها ( أميمة بنت عبد المطلب )  
عمة رسول الله ، وكان رسول الله قد أراد أن يزوجه ( زيد بن حارثة ) مولاه  
فكرهت ذلك ، ثم إنهما رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه ، ثم أعزم  
الله عز وجل نبيته صلى الله عليه وآله وسلم بعد أنها من أزواجه ، فكان يستحب أن يأمره بطلاقها ،  
وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
أن يمسك عليه زوجه ، وأن ينفي الله ، وكان يخشى الناس أن يعيوا عليه ويقولوا  
تزوج امرأة تزوج امرأة ابنه ، وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى ﴿ وما كان المؤمن  
ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ .  
وروى عن ( علي بن الحسين ) أنه قال : أعلم الله نبيته صلى الله عليه وآله وسلم أن زينب  
ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له :

اتقوا الله وأمسكوا بحبله متيناً ، عاتبه الله وقال له : أخبرتك أنني مزوجتكما وتخفي في نفسك ما الله مبديه .

فالذي أخفاه رسول الله ﷺ ليس هو ( الحب ) كما زعم المفكرون . وإنما أخفى ما أوحى الله إليه من أمر ( الزواج ) بها لحكمة عظيمة وهي ابطال ( حكم التنبي ) وقد نحى الرسول من كلام المناققين أن يقولوا : إن محمداً تزوج بامرأة انه من النبي حيث كان ( زيد ) رضي الله عنه يدعى ( زيد بن محمد ) .

يقول الشيخ الحجازي في التفسير الواضح :

« ومن الموصف أن يندس في كتب التفسير أقوال تنسب إلى أكابر العلماء والله يعلم أنهم منها براء ، أو هي في الواقع سموم اسرائيلية ، وضعها من أسلم من اليهود عن حسن قصد أو سوء نية ، ومنها ما قيل في تفسير هذه الآيات من نسبة أمور لا تليق بأي رجل عادي ، فضلاً عن أشرف الخلق المشهود له من كافة الناس أنه رجل صادق ذو خلق حميد .

ونظرة بسيطة إلى تاريخ ( زينب ) وظروفها في زواج ( زيد ) يجعلنا نؤمن بأن سرء العشرة التي كانت بين زينب وزيد إنما هو من اختلافهما اختلافاً يبتأ في الحالة الاجتماعية ، فزينب شريفة ، وزيد كان بالأمن عبداً ، وقد أراد الله امتحانها بزواج زيد لتعظيم مبدأ العصبية القبلية ، والشرف الجاهلي ، وجعل الشرف في ( الإسلام والتقوى ) فخفضت زينب مكرهة ، وأسلمت لزيد جسدها دون روحها فكان الألم والضيق .

ومحمد هذا كان يعرف زينب من الصغر لأنها ابنة عمته فمن كان يمنعها منه ؟ وكيف يقدم إنسان امرأة لشخص وهي ( بكر ) حتى إذا تزوجها وصارت زنيباً ( رغبت فيها ) ؟

لا يا قوم : تعقلوا ما تقولون ، وتفهموا الحق لوجه الحق تدركوه بلا تلبيس ولا تشويش . وانظر إليهم وهم يقولون : إن الذي أخفاه محمد هو حبه لزينب ولهذا عوتب وهل يعاتب الشخص لأنه لم يجاهر بحبه لامرأة جاره ؟

ونكن الحق هو أن هذا الزواج كان امتحاناً في أوله لزینب وأخيها حيث أمركها على قبول زيد ، وفي النهاية كان امتحاناً فاسياً للنبي ﷺ حيث يؤمر به ويعلم نهايته ، وزینب تحت مولاه زيد ، والحكمة كما نطق القرآن هو تعظيم مبدأ كان معمولاً به ومشهوراً عند العرب هو (نحریم زواج امرأة الابن من النبي) كتحريمها إذا كان الابن من النسب ﴿لَكَيْلًا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ .

فالذي كان يكتمه النبي ﷺ في نفسه تأذيه من هذا الزواج ، وتراخيه في إنفاذ أمر الله به ، وخوفه من نظظ الناس وبخاصة المنافقين عندما يجدون نظام النبي قد انهار بعدما ألفوه ، ولهذا فقط عوب عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup> أقول إن الآية صريحة في هذا الشأن ، فقد ذكرت الآية أن الله سيظهر ما أخفاه الرسول ﴿ونخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ فماذا أظهر الله تعالى ؟ هل أظهر حب الرسول لزینب ؟ كلا ؛ إنما الذي أظهره هو إرادة الرسول الزواج بها لأن الله قد نوحى إليه بأنها ستكون زوجته ؛ وهذا صرح الباري جل وعلا بهذا الشيء أخفاه الرسول في نفسه ففان تعالى ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ .

وهكذا تبطل مزاعم المقتربين أمام الحجج الدامغة ؛ والبراهين الساطعة التي تدل على عصمة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

(١) التفسير الواضح ج ٢٢ ص ١٢ .





## الفصل الرابع قصص الانبياء

- ١ - اخكمة من قصص الانبياء .
- ٢ - أغراض القصة في القرآن .
- ٣ - لماذا تكررت قصص القرآن .
- ٤ - نموذج عن تكرار القصة في القرآن .



## قصص الأنبياء :

تاريخ الأنبياء تاريخ العظمة والجلال ، وحياتهم حياة الكفاح والنضال ، وما يستطيع البشر - مهما أوتوا من قوة - أن يدركوا شأنهم ، أو يصلوا إلى ما وصلوا إليه من سمو في النفس ، وكما في الخلق ، وزهد في الدنيا ، ونضحية في سبيل الله ، من أجل إعلاء كلمة الله ، وتبليغ دعوته ، ونشر رسالة الحق - رسالة الهدى والخير والدين . إن تاريخهم سلسلة من حياة طويلة مريرة ، وكفاح دائم مستمر ، ضد أعداء الحق وأعداء الله ، وأعداء الإنسانية ، في كل زمانٍ وحينٍ ! .

إنه تاريخ مشرف ، مليء بأنواع البطولات ، وألوان الصبر والشجاعة المقدسة التي قل أن تجد مثلها في تاريخ زعيم أو عظيم ، أو قائد أو مصلح ، لأنهم صُنِعُوا على عين الله ، فقد كانت حياتهم مليئة بالجهاد ضد الباطل ، والصمود وراء الحق ، والصبر عند الشدائد ، وتحمل الأذى في سبيل الله ، فقد منحهم الله تبارك وتعالى من العزائم والمهم ، ما يعجز عنه الأُمُوياء من الرجال ، ولا تتحمله الراسيات من الجمال ، فكانوا - بحق - مضخة الأزمان ، وأهلاً لقيادة الأمم والشعوب . فقد ضلت البشرية طريق الخير والسعادة ، وخيم عليها ظلام الجهل

واشفاوة ، فنداركها الله العلي القدير ببعثة الرسل الكرام ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين  
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ 11

### الحكمة من قصص الأنبياء :

ليست الغاية من ذكر قصص الأنبياء إلا أن يتخذ الدعاء والمصلحون من سيرتهم العظة نبراساً يستضيئون بضياؤه ، ويبتدون بهديه ، وأن يسيروا على نهجهم فيجعلوهم قدوتهم في جميع التصرفات والأعمال ، وأن يكون أمامهم (المثل الأعلى) من حياة هؤلاء الرسل الكرام ، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .. وليس الغرض من ذكر القصص في القرآن ، النسبية ، أو الترفية ، عن النفس ، وإنما الغرض العظة ، والعبرة ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الآية . كما أشارت الآية الأخرى إلى ضرورة الاستفادة من قصص القرآن ، بالتفكير والتدبر ، والسير على منهاج الأنبياء والمرسلين ﴿فَاتَّصِرْ الْقَوْمَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وخاصة بالنسبة إلى مقام الدعاء فإن الغرض من ذكر قصص الأنبياء لهم تبيينهم على الدعوة ، وتقوية عزائمهم ، بإطلاعهم على سيرة الأنبياء الأعلام وما تحملوه من أذى في سبيل الله ، كما قال تعالى لسيد الخلق محمد ﷺ : ﴿وَكَلا نَفْسٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرِّسَالِ مَا نُذِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

### أغراض القصة في القرآن :

- للقرآن الكريم في ذكر القصة أغراض عديدة وجليلة نوجزها فيما يلي :
- أولاً : إثبات الوحي والرسالة .
  - ثانياً : الإشارة إلى وحدة الأديان السماوية .
  - ثالثاً : بيان الغرض من دعوة الرسل .
  - رابعاً : موقف الأمم من الأنبياء الكرام .

خامساً : الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان .

سادساً النصر للرسول والملاك للمكذبين .

سابعاً : بيان قسرة الله تعالى على الخوارق .

ثامناً : عاقبة الخير والصلاح وعاقبة الشر والفساد .

هذه أهم أغراض ( القصة في القرآن ) وهناك أغراض أخرى غير هذه الأغراض لا يمكن استقصاؤها .. ويجدر بنا ههنا أن نقول طرفاً مما كتبه شهيد الإسلام ( سيد قطب ) في كتابه : التصوير الفني في القرآن ، حيث قال رحمه الله تحت عنوان ( القصة في القرآن ) : ( سيقت القصة في القرآن ، لتحقيق أغراض دينية بحث ، وقد تناولت هذه الأغراض عدداً وفيراً ، يصعب استقصاؤها لأنه يكاد يشرب إلى جميع الأغراض القرآنية .. فإثبات الوحي ، وإثبات وحدانية الله ، وتوحد الأديان في أساسها ، ومظاهر القدرة الإلهية ، وعاقبة الخير والشر ، والصبر والجزع ، والشكر والبطر ، وكثير غيرها من الأغراض الدينية ، والمرامي الخلقية ، قد تناولته القصة وكانت أداة إليه ، فلذا نحن استعرضنا أغراض القصة القرآنية فلما ثبت أهم هذه الأغراض وأوضحها وترك استقصاءها وتبجها (١) .

ولنبداً بتفصيل ما أجملتناه من أغراض القصة في القرآن :

أولاً : ( اثبات الوحي والرسالة ) .

لقد كان من أغراض القصة في القرآن ( اثبات الوحي والرسالة ) أي أن هذا الدين الذي جاء به الرسل الكرام إنما هو يوحى من الله تبارك وتعالى ، وأنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز الحكيم ، وخاصة بالنسبة إلى أمر محمد ﷺ فقد بين القرآن الكريم أن هذا القصص إنما هو يوحى الله ، ومحمد ﷺ أمر لا يكتب ولا يقرأ ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَنصُرُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخْطَوْنَ بَيْتِيكُمْ ، إِذْ أَلْزَمْتُمُ الْمُبْطِلِينَ ﴾ ولم يقل عن الرسول ، أنه كان يجلس إلى أحبار اليهود ، أو رهبان النصارى ، فحين جاء بهذا القصص الرائع ، عن

(١) التصوير الفني في القرآن لميد قطب .

الأنبياء قبله ، وعن الأسم والخلائق ، وما وقع لهم وما حل بهم ، وبعض القصص جاء في دقة وإسهاب ؛ كقصص إبراهيم ، ويوسف ، وموسى ، وعيسى - فمجىء القصص بهذه الدقة المتناهية، وورودها في القرآن بهذا البيان المحكم ، أعظم دليل على أنه وحى يوحى من عند الحكيم الخبير ، وقد أشارت كثير من الآيات القرآنية إلى هذا الغرض ، إشارة واضحة جلية ، في مقدمات بعض القصص أو في ذيوها ، مثل : قوله تعالى ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ . وقوله تعالى ﴿ نَلِّكُم مِّنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُهَا أَنْتُمْ وَلَا قَوْمُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ هَذَا ، فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُصْتَقِينَ ﴾ .

ثانياً : الإشارة إلى وحدة الأديان السماوية .

ومن أغراض القصة بيان أن الدين كله من عند الله ، من عهد نوح عليه السلام ، إلى عهد محمد ﷺ .. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة ، والله الواحد الأحد هو رب الجميع .. فكثيراً ما وردت قصص الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة ، معروضة بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة الواضحة ، لضرب لذلك مثلاً ما جاء في سورة الأنبياء في قوله تعالى :

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرْنَا لِلْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ . وقوله تعالى ﴿ وَلَوْطاً آتَيْنَاهُ بَيْتَكُمْ وَعِلْمًا ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ السُّوءَ ﴾ .

ثم بعد ذكر الأنبياء (نوح ، وأيوب ، وإسماعيل ، وإدريس ، وزكريا) وبعد ذكر رسالتهم ودعوتهم تأتي تلك الحقيقة الناصحة التي أكدها القرآن الكريم ألا وهي وحدة الإله ، ووحدة الأمة فيقول جل ثناؤه :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ وذلك هو الغرض الأصيل من الاستعراض الطويل .

ثالثاً : بيان الغرض من دعوة الرسل .

وكان من أغراض القصة كذلك ، بيان أن الدين كله واحد المذهب والأساس ونوعاً لهذا كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، يركزون على هدف واحد ، وغاية واحدة ، ألا وهي الاعتقاد ( بوحديانية الله ) وكانت نرد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك مكررة فيها العقيدة الأساسية ( الإيمان بالله الواحد ) الذي هو الغرض الأساسي من دعوة الرسل على نحو ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .  
﴿وإلى عادِ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .. الآية .  
﴿وإلى ثمودِ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .. الآية .  
﴿وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .. الآية .

فهذا التوحيد لأصول العقيدة يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان ، وترد قصصهم مجتمعة في هذا السياق لتأكيد ذلك الغرض الخاص .

رابعاً : موقف الأمم من الأنبياء الكرام .

ومن الأغراض أيضاً في قصص القرآن الإشارة إلى موقف الأمم من الأنبياء الكرام فقد كان موقفاً متشابهاً .. فما من نبي دعا قومه إلى الله إلا وقع في وجهه المجرمون موقف العناد والاستكبار ، وموقف التكذيب واليهود كما قال تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ فقد احدثت في قصص الأنبياء صبغة الدعوة كما احدثت من أقوامهم صبغة التكذيب .. استمع إلى قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَ لَنَا غَمٌّ فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بما تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ وفي قصة ( هود ) عليه السلام يحكي القرآن لنا موقف قومه :

﴿قَالُوا يَا هَرُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَحْنُ بِبِنَارِكِي آلِهِنَا  
عَن قَوْلِكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ  
آلِهِنَا بِسُوءٍ ..﴾ الآية .

وفي قصة (صالح) مع قومه (ثمود) بقول القرآن حكاية عن قومه :  
﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ، أَتَنْهَانَا  
أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾  
وهكذا بقية الأنبياء الكرام نجد أن موقف أقوامهم لا يختلف عن موقف  
الأمم السابقين في الجحجوح والتكذيب والاستهزاء بدعوة الرسل الكرام وصدق  
الله حيث يقول : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ .

مخامساً : (الترايط الوثيق بين الشرائع والأديان) .

ومن الأغراض في القصة القرآنية بيان الترايط الوثيق بين الأديان السماوية  
فليس بينها تعارض أو تضاد ، بل إنها جميعاً تستقي من نبع واحد ، وكل  
نبي إنما يأتي برسالة منسفة ومكملة لرسالة النبي الذي سبقه ، ويدعو إلى الإيمان  
برسالته ، والاعتقاد بصدق ما جاء به من عند الله تعالى ، ذلك لأن مصدر  
التشريع واحد هو (الله رب العالمين) فليس هناك ما يدعو إلى النزاع والخصام كما  
قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا  
فِيهِ ..﴾ الآية . ثم الترايط بوجه خاص بين دين أبي الأنبياء (إبراهيم) ودين  
خاتم الرسل (محمد) وكذلك بين دين محمد ، وأديان بني إسرائيل .. استمع  
إلى قوله تعالى :

﴿إِنْ هَدَا لَقَمِي الصَّحُفِ الْأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وإلى  
قوله تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ  
إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ..﴾ الآية .



﴿ إن أولى الناس إبراهيم لكثير أتبعوه ﴾ ، وهذا النبي ، والذين آمنوا .  
 والله يحب المتقين ﴿ . وقد أخذ البيهقي جل وعلا العهد والميثاق على جميع الأنبياء  
 أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتبعوه ويكونوا من أنصاره - إن أدركوا عهده وحياته  
 وهذا يدل على الترابط بين جميع الأديان السماوية . قال تعالى ﴿ وإذا أخذ  
 الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما  
 معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم  
 علي ذلكم إصري (١) ؟ قالوا : أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من  
 الشاهدين ﴾ .

سادساً : ( النصر للرسول والهلاك للمكذبين ) .

ومن أغراض القصة أيضاً بيان أن النصر في النهاية للرسول الكرام ، وأن  
 الهلاك واندمار للأمم المكذبة ، وفي ذلك تقوية للأنبياء ، ونظيـب لحاظهم ،  
 حيث يقر الله أعينهم في الدنيا بإهلاك أقوامهم المكذبة ، ويانتصار مبدئهم  
 واعتزاز دعوتهم ، ونغيبهم على أعداء الدين .

سابعاً : بيان قدرة الله تعالى على الخوارق .

ومن أغراض القصة في القرآن الكريم ( بيان قدرة الله على الخوارق ) فقد  
 ذكرت قصة خلق آدم عليه السلام ، وقصة ولادة عيسى بن مريم ، وذلك  
 للدلالة على قدرة الله الباهرة التي تقول لنشيء كن فيكون . فأدم عليه السلام  
 ولد بلون أب وبلون أم ، وعيسى عليه السلام ولد من أم دون أب ، وحواء  
 ولدت من ضلع آدم ، وكل ذلك دليل القدرة الباهرة على الخوارق العجيبة .  
 استمع إلى قوله تعالى في شأن عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿ إن متكلم عيسى  
 عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كُن فَيَكُونُ ﴾ .  
 وكذلك قصة ( إبراهيم عليه السلام ) والظير الذي ذبح ثم عادت له الحياة .  
 وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وقد أماته الله سنة عام ثم  
 أحياه ، كل هذه التفصيص وأمثالها مما يثبت على قدرة الله تعالى العجيبة في خلق

(١) الإصر : العهد المرتق المراد .

العادات ، وإظهار الحوارق المعجبية في هذا الكون البديع .

لأغراض : عاقبة الخير والصلاح ، وعاقبة الشر والفساد .

ومن أغراض القصة في القرآن الكريم (بيان عاقبة الخير ، وعاقبة الشر)

كقصة النبي آدم (قابيل وهايل) المذكورة في سورة المائدة في قوله تعالى : ﴿وَأَنكَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يَتَقَبَّلُ مِنَ الْآخَرِ ، قَالَ : لأَقْبَلَنَّكَ ، قَالَ : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وكيف اعتدى (قابيل) على أخيه فأقدم على قتله ، إلى آخر ما في القصة من مغزى دقيق حول العدل الإلهي المطلق . ومثل قصة سيد مأرب ، وقصة صاحب الجنة ، وقصة أصحاب الأخيود ، وقصة أهل القرية الآمنة التي كتمت بأنعم الله ، وكل هذه القصص وردت لبيان عاقبة الخير ، وعاقبة الشر . . إلى آخر هذه الأغراض الوعظية التي كانت تساق لها القصص بأروع أسلوب لتؤدي غايتها ، ونفي بمخزها (١) . استمع إلى قوله تعالى :

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وتذكر ذلك الجزء العادل ، الذي أخذ الله به القوم المجرمين : ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ . فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَن أَخْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْظِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

لماذا تكررت قصص القرآن ؟

قص الله علينا من قصص الأنبياء والمرسلين ما فيه عظة وذكري ، وأرشدنا إلى مواطن العظة والعبرة في حياة كل رسول ، لتعندي بهم في سيرتهم العظيمة ،

(١) التصوير الخفي في القرآن ليد تطب .

وأخلاقهم الطاهرة ، وليكونوا مصابيح نضيء للناس طرق السعادة والفلاح ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ وقد ذكرت قصص الأنبياء في سور عديدة : فجاءت مكررة - حسب الظاهر - ولكن هذا التكرار له حكمته اليليفة ، وإشارته النقيفة ، فإنه يدل على ( إعجاز القرآن الكريم ) وعلى أنه حقاً كتاب منزل من عند الله .. فإن أبلغ البلاغ وأفصح الفصحاء يستحيل عليه إذا كتب قصة مرة واحدة ، أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على متانة الأسلوب ، وفصاحة الألفاظ ، وبلاغة التعبير ، ولا بد أن يرى الفرق بين الأسلوبين واضحاً كل الوضوح .. أما القرآن الكريم فقد تفنن في سرد القصص بنفس تلك الفصاحة والبيان : والروعة والانقان ، فجاءت القصة فيه مكررة معبرة عن معنى واحد ، ولكن بألفاظ أخرى وعبارات مختلفة ، فسبحان القادر على كل شيء ، الذي أنزل كتابه المعجز تبياناً لكل شيء : وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .

### نموذج عن تكرار القصة في القرآن :

ولتأخذ نموذجاً على تكرار القصة في القرآن الكريم ( بمعنى واحد ) و ( أسلوب مختلف ) مع بقاء الروعة في التعبير ، ومتانة الأسلوب وذلك في قصة آدم و عليه السلام فقد ذكرت قصته في مواطن شتى ، وبأساليب متنوعة ، فختار منها موضعين فقط لرى الأسلوب الرائع في كل من السورتين الكريمتين

أولاً : فان الله تعالى في سورة الأعراف :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ، وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا

مِنَ الْمُقَالِدِينَ . وَقَامَسَهُمَا إِنِّي لَكُمْ لِمَنِ التَّاصِحِينَ . فَذَلَاهُمَا  
 يَغْرُورُ فَمَا ذَاكَ الشَّجَرَةُ بَدَأَتْ تَهُمَا سَوَاءً تَوُوعًا ، وَطَلِيقًا يَخْصِفَانِ  
 عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ  
 الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ؟ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا  
 أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا نَنكَرَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٠﴾  
 ثانيًا : وقال تعالى في سورة طه :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِسُلَيْمَانَ اسْجُدْ لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى .  
 فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَتَزَوَّجْنَاكَ فِيهَا بِخُزَيْجَتِكَ مِنْ  
 الْجَنَّةِ فَتَشْتَمِي . إِنَّ لَكَ الْآلَةَ نَجْوَى فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنْتَ لَا تَنْظِمُ فِيهَا  
 وَلَا تَضْحَى . فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ : هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى  
 شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَنْعُكَ لَا يَبْلَى ؟ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوَاءً تَهُمَا  
 وَطَلِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ : وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ  
 فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٠١﴾ . وعلى هذا النموذج من  
 الروعة والإيقان ذكرت قصص الأنبياء وحوادث الأمم مكررة في القرآن  
 لتدل على قدرة الإله العلي الحكيم .

## الفصل الخامس

### آدم كما صورته القرآن

- ١ - خلق آدم عليه الصلاة والسلام .
- ٢ - العبرة من خلق آدم - عليه السلام .
- ٣ - آدم عليه السلام أبو البشر .
- ٤ - الأداة على أنه أول المخلوقات .
- ٥ - هل نظرية داروين e تعارض القرآن .
- ٦ - الرد على نظرية داروين وإثبات بطلانها .
- ٧ - المراحل التي مر بها خلق آدم عليه السلام .
- ٨ - قصة قابيل وهابيل ابني آدم .



## آدم كما صورته القرآن

### خلق آدم عليه السلام :

قصة آدم عليه السلام هي قصة البشرية بأسرها ، وحياته حياة هذا الوجود بأكمله ، منذ أن أَرَادَ اللهُ - جَلَّتْ عِظَمَتُهُ - لهذه الدنيا أن تُعْمَرَ ، ولهذا الوجود أن يَتَظَهَرَ ، وهذه الحياة أن تُكْتَمَلَ وترْتَدِّدَ أن يَظْهَرَ هذا الإنسان .. !  
إنها قصة الحياة كاملة من بدايتها إلى نهايتها ، قصة الوجود بأجمعه منذ أن ظهرت هذه الكتل البشرية على ظهر هذا الكوكب الأرضي ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون . قصة الأحقاب الطويلة ، والأجيال الكثيرة التي مرّت على هذا العالم فعاشت فيه ثمّ رحلت عنه ، مخلفة وراءها هذه المظاهر والآثار البشرية .. ولسان حالها يقول :

تلك آثارنا تسدلّ علينا فانظروا بعنا إلى الآسار

### العبرة من خلق آدم :

لم يكن خلق آدم من تراب ، ثم تناسل ذريته من بعده أمراً عادياً طبيعياً .. إنما هو أمر هام ، وخلق عظيم ، فيه تجلّت مظاهر القُدرة الربّانية ، والعظمة الإلهية التي نقول لشئ ، « كُنْ فَيَكُونُ » .. إنه منتهى الإبداع ، والإعجاز ،

فإن أهل الأرض جميعاً لو اجتمعوا على خلق ذئابة أو بعوضة لما ظاعروا فكيف بإنسان له عقل وسمع وبصر وإدراك !! فتبارك الله أحسن الخالقين ، إنها القدرة الإلهية ، الفائقة التي تخلق من العدم وجوداً ، وتجعل من الضعيف قوة ومن السكون حركة ، ومن الجماد حياة وروحاً ، فإذا التراب يتحرك ، وإذا الطين يتكلم ، وإذا الجماد بشر سوي ، في أجمل صورة وأحسن تقويم ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب : ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ .

هذا هو آدم ، وهذه هي ذريته ، بل هذه قصته وقصة الخليقة أجمعين .. مخلوق يخلفه الله من طين ، ثم يخلق ذريته من نطفة من ماء مهين ، ويستخلف هذه الذرية في الأرض ، ويملكها الوجود ، ويعمل هذا الإنسان خليفة عن الله ، فإذا بهذا المخلوق الضعيف يستعمل على ربه ، ويريد أن ينازعه في ملكه ، ويتجرأ على عصيان أوامر الله . أليس عجيباً أن ينكر وجود الله من لم يكن بالأمس شيئاً مذكوراً !! أليس عجيباً أن يكفر بنعم الله من وجوده برهان على وجود الله !! وصدق الله حيث يقول : ﴿ قُلْ لَئِنِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ؟ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؟ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَمَّانَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ يا عجيباً من ينكر وجود الله ، وكل ذرة في الكون ناطقة بوجوده !! يا عجيباً من يكذب بآيات الله ، وكل حركة في الوجود شاهدة بوحديته وعظيم قدرته !

يا عجيباً من يغمض عينه حتى لا يرى نور الشمس الساطع ، ويصم أذنه حتى لا يسمع صوت الكون الرائع !  
وحقاً كما قال الله ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . والله در الفائق حيث يقول :

فيا عجيباً كيف يعصى الإله	أم كيف يحجده الجاحد ؟
وإنه في كل تحريكه	وتسكينه أبداً شهادد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد



أفليس قصة آدم و قصة عجيبة ؟ ... أفليس وجود هذا الإنسان في هذا الكون يستدعي منه التبصّر والانتباه ؟ أفليس خلفه من تراب وطين يستنم منه الإيمان واليقين ؟ فليُنظر الإنسان ممّ خلق ؟ خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب إنه عنى رجعه لقادر . !

### آدم أول البشر .

حدثنا القرآن الكريم عن خلق آدم ، عليه السلام ، وأخبرنا أنه أول مخلوق من البشر ظهر على سطح الأرض في هذا الوجود ، فهو إذاً أبو الخلائق ، وأصل هذا العالم ، وإليه ينتمي جميع سكان الأرض ، وليس قبله مخلوق من النوع الإنساني على الإطلاق ، أما من غير البشر فقد كان هناك ملائكة قبله ، وكذلك من الجن مخلوقات قبله ، ولهذا ما اقتضت حكمة الله الأزلية خلق هذا الإنسان ، أخبر الباري جلّ وعلا الملائكة بذلك وأخبرهم بأنه سيكون من ذريته أشخاص يصفون الدماء ويصفون في الأرض ، فتعجبوا وسألوا عن الحكمة الإلهية في خلق هذا الإنسان ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ؟ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ! ! قَانَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .  
قال العلامة ( القرطبي ) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن :

وقد علمنا قطعاً أن الملائكة لا تعلم إلا ما علمها الله ، ولا تسبق بالقول ، لأن قوله تعالى : ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ خرج على جهة المدح لهم فكيف قالوا ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ ؟ والجواب : أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء ، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء ، فبعث الله إليهم في جنود من الملائكة فقتلهم وألحقهم بالبحار وروؤس الجبال فجاء قولهم ﴿ أتجعل فيها ؟ ﴾ على جهة الاستفهام المحض ، هل هذا الخليفة على طريقة من تقدّم من الجن أم لا ؟ وقيل : إن

الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الأرض ويسفكون السماء ، فقالوا لذلك هذه المقالة ، إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه ؟ أو التعجب من عصيان من يستخلفه الله في أرضه .. انتهى كلام القرطبي بنصرف ..

وعلى هذا ينبغي أن نفهم أن سؤال الملائكة لم يكن اعتراضاً على خلق الله أو على مشيئته وإرادته وإنما كان بفرض الاستفسار عن الحكمة لأن الملائكة لا يعصون أمر الله ولا يمكن أن يتصور منهم المخالفة والإباء .

### الأدلة على أن آدم أول البشر :

لقد جاءت النصوص القرآنية مؤيدة أن آدم عليه السلام هو أول المخلوقات ، وأنه لم يكن قبله أحد من هذا النوع البشري .. وكذلك الكتب السماوية كلها قد أجمعت على هذا ؛ وبذلك تضاهرت الأخبار عن جميع أهل الملل والأديان بأن آدم هو الخليفة ، وأنه أول مخلوق من البشر على الإطلاق أما الأدلة في القرآن الكريم فكثيرة نكتفي بذكر بعضها وهي كما يلي :

أولاً : تكرر النداء للبشر بنسبتهم إلى أبيهم آدم عليه السلام ، مثل قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا .. ﴾ الآية .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِيكُم وَرِيشًا ، وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ .. ﴾ الآية .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .. الآية .

ثانياً : أخبر الله سبحانه وتعالى بأن البشر جميعاً هم من أصل واحد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً .. ﴾ الآية .

وقال تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، ثم جعل منها زوجها . ﴿ الآية .  
 وليس المراد من النفس الواحدة إلا آدم ، كما أن المراد من قوله ( زوجها )  
 ليس إلا ( حواء ) لأنها أصل الخليفة ، وقد بينت الآية الكريمة أن الله قد بث  
 أي نشر ونحى منها الرجال والنساء : الكثيرين فمنهما نوالد البشر وتناملوا  
 وكثروا ، ثم ففرقوا في الأرض ..

ثالثاً : ذكر الله تعالى أن كل مخلوق خلق من « أبوين » بطريق التزاوج  
 إلا ( آدم ) فقد خلقه الله بيده من طين ، ثم نفخ فيه من روحه ، فأدم لم يخلق  
 من أبوين إنما جاء نموذجاً فرداً كما قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي  
 خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَلَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي  
 فَقَعَوْا لَهَا سَاجِدِينَ﴾ وقال تعالى في قصة امتناع إبليس عن السجود :  
 ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ، أَسْتَكْبَرْتَ  
 أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ؟﴾ وقال تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ،  
 وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ  
 مَاءٍ مَهِينٍ﴾ . السُّلَالَةُ : من السَّل وهو استخراج الشيء من الشيء ، يقال :  
 سللت الشعر من العجين ، فالنطفة سلالة لأنها تسئل من الظاهر ، فأفاده القرطبي ،  
 رابعاً : التصريح بذكر « آدم » وأنه أبو البشر وذلك كما في حديث  
 ( الشفاعة ) المروي في الصحيحين وفيه أن الناس يلتمسون من يشفع لهم من  
 حول يوم الزحام فيذهبون إلى آدم يسألونه الشفاعة فيقولون له : ( يا آدم أنت  
 أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ،  
 وأسكنتك جنة ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا نشفع لنا عند ربك ؟ فيقول : نفسي  
 نفسي إذهبوا إلى خيري .. ) الحديث .

### هل نظرية ( داروين ) تعارض القرآن ؟

ومن هذه النصوص الكريمة التي ذكرناها - من الكتاب والسنة - بتبين  
 لنا بجلاء ووضوح بطلان نظرية ( داروين ) التي تجعل أصل البشر ليس هو  
 « آدم » وإنما تفرع الناس على زعمه .. من سلالات أخرى ، وانحطروا من

أصل آخر يختلف عن أصل آدم .. إنه يعتقد بأن الإنسان بدأت حياته بمرثومة صغيرة . ظهرت على سطح الماء ثم تحولت إلى حيوان صغير : ثم تدرج هذا الحيوان فأصبح ضفدعاً ، فسمكة ، فقرداً ، ثم نرقى هذا القرد وتحدان فصار إنساناً . فالإنسان في نظره قرد متبدل ، وقد استطاع ذلك القرد بعقربته ونيوذه أن يتطور ويتغير فيصبح انساناً ذكياً بعد أن كان فرداً غيياً .. وهكذا جعل ( داروين ) نسبنا متصلاً بالحيوان وعشيرتنا منحدره من الضفادع والقردة : وجدداً هو ( الشيمائزي ) لأنه أقرب القردة شيئاً بالإنسان .. هذه هي خلاصة نظرية ( داروين ) التي نسمى ( نظرية لنشوء والتطور ) وهي تناقض صريح القرآن : وتعارض جميع ما جاءت به الكتب السماوية من أن آدم عليه السلام هو أبو البشر ، ومنه تناسل جميع الخلق ، وأنه هو الأب الأكبر . ولعل هذه النظرية الخرفاء تنطبق على ( داروين ) نفسه ، وأتباعه المفتنعين بمكرته المؤمنين بنظرته ، المتحسين لها ، فهم .. وحدهم - القردة ، أما بقية البشر فمن آدم انحدروا ، وإليه ينتسبون .. وهل هناك إنسان عاقل يرضى أن يكون من فصيلة ( الغوربلا ) و ( انشيمائزي ) وسائر أنواع القردة ، ويتبرأ من نسبه إلى آدم عليه السلام ؟ اللهم إلا أن يكون ( داروياً ) أحمق سفیه الرأي والعقل ، فاقد الإدراك والشعور ثم كيف يكون الأصل البشري منحدرًا من القردة والله تبارك وتعالى قد كرم هذا النوع البشري فقال وهو أصدق القائلين :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الصَّيِّبَاتِ وَنَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَقْضِيلاً ﴾ . ويقول جل ثناؤه ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فهل من تكريم الله لبني آدم أن يجعلهم من صنف القردة ؟ وهل من نفضيهم إليهم أن يلحق نسبهم بالقردة أو يجعلهم من فصيلة الشيمائزي والغوربلا ؟ وإذا قلنا لأتباع داروين : يا بني القردة والحنازير ، فهل سيروضون عنا أم سيفضون ؟؟

( رب إن الهدى هداك وآياتك حق تهدي بها من تشاء )

وإذا كانت نظرية (التطور) صحيحة ، فلماذا لم يفتور سائر القردة  
وبشملنا ونحن نعيش في عصر التطور والتمدن ؟!

### خطأ نظرية داروين من الناحية العلمية :

لقد نسف الدكتور (حليم عطية) مذهب (داروين) وأبطل نظرية (الشو  
والتطور) في كتابه الرائع الذي ألقه تحت عنوان (تصدع مذهب داروين ،  
والإثبات العلمي لعقيدة الخلق) ونحن نقل بعض فقرات منه ، تذكرة لمن  
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال في كتابه المذكور : ( كيف يمكن لمخلوق ضعيف الجسم ، وضعيف  
العقل أن يعيش وحوله الأسد والذئب والنمر ، وغيرها من الحيوانات  
المفترسة ؟ ولو حدث شيء من التطور والارتقاء - حسب ما يدعي داروين -  
لزم أن تتطور القردة الموجودة في زماننا ، وترقى كما ترقى أسلافها من قبل ،  
وكما تمدنوا فأصبحوا بشراً بعد أن كانوا قردة ؟ وعلى زعم داروين هل يمكن  
أن يصير البرغوث ( فيلاً ) وأن تنقلب السملة ( نعجة ) ويصبح المر ( أسداً )  
بمرّ القرون وكرّ الدهور ؟!

### الغرض الحقيقي عن نظرية داروين :

بقي أن نعرف أن هذه النظرية « الخرقاء » عميقة الجذور ، فهي تهدف  
إلى غرض معين هو (انكار وجود الخالق جلّ وعلا) ، فإن (داروين)  
اليهودي الخبيث يعتقد بالألّ خالق لهذا الوجود ، ولا صانع لهذا العالم ، وأن  
( الطبيعة ) هي التي أوجدت هذا العالم ، وخلقت هذا الإنسان ، فهو إذاً دهري  
ملحد ، منكر للأديان السماوية ، واليهودية التي ينتمي إليها ، كافر بكل القيم  
الروحية التي جاءت بها الشرائع السماوية .. ولا عجب أن يأتي بمثل هذا المراء  
والافتراء ، فتلك هي طبيعة اليهود في القديم والحديث ، فكل دعوة للإلحاد  
أو للإفساد نجد ورائها يداً يهودية خبيثة ، كما أن (كارل ماركس) مؤسس

المبدأ الشيوعي يهودي الأصل ، وكذلك ( فرويد ) الإباحي الفاجر يهودي العرق والدم .. وكل هؤلاء الخيلاء هم من نلامذة إبليس ومن أعوان الدجال ، يتعاونون ضد الشرائع والأديان ، ويعملون ليل نهار ليذروا يهود الإباحية والإلحاد وصدق الله حيث قال ﴿ ويوسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ .

#### انخداع بعض المثقفين بهذه النظرية :

وتعمل بعض المثقفين ، ممن لم يتمكنوا من العلم ، ولم يحصلوا منه إلا على قشور لا تسد ولا تفي من جوع ، يعتقدون بصحة هذه النظرية المعجزة ، ويتخذون برأيها الفلسفي ويعتبرونها نظرية مسلمة لا تحتاج إلى نقاش أو جدال لأنها نظرية مشهورة 11

ونحن نسارع القول إلى هؤلاء بأن هذه النظرية هي مجرد ( افتراضيات ) و ( أهام ) وأنها لم تصل إلى الدرجة العلمية المقطوع بصحتها ، وشهرة هذه النظرية لا تجعلها نظرية صحيحة مقبولة في منطق العلم والمفكر ، وإبليس واليمين له شهرة عظيمة ، فهل معنى هذا أنه على سداد و صواب . ونقول لهؤلاء المفتونين ، بالأراء الغربية : إن كثيرين من علماء الغرب أنفسهم قد استنصفوا هذه النظرية ، وأبطلوها بالحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، ومن أظهر ما ألف نورد على هذه النظرية المنسطائية كتاب « العلم يدعو للإيمان » مؤلفه الكبير ( كريس موريسون ) رئيس المجمع العلمي في أمريكا . وكتاب « الله يتجلى في عصر العلم » المترجم إلى اللغة العربية ، وهو بأقلام مجموعة من كبار علماء الطبيعة من الأساتذة المختصين ، وكلا الكتابين يهدف إلى إثبات وجود المدبر الصانع الحكيم ، ويرد على القائلين بنظرية التطور أو القائلين بأن « الطبيعة » هي التي أوجدت هذا الكون ، وهذه الحياة . كما ظهر كتاب جديد تحت عنوان ( الإسلام ونظرية داروين ) مؤلفه الأستاذ الفاضل والكاتب البارز السيد ( محمد أحمد باشمير ) يستحسن الرجوع إليه في هذا الموضوع فإنه قد جمع فأوعى ، وأتى بأراء كثيرة لكبار العلماء الغربيين في نقض هذه النظرية الفاسدة .

ونقول من جهة أخرى : إننا نحن المسلمين نعتقد بأنّ كل ما مخالف القرآن الكريم المقطوع بصحته وصدقه ، فإنه باطل مردود على قائله ، لا يمكن أن يقبله مسلم مهما كان حال قائله ومهما بلغ من الرقي والعلم ، فكيف بهذه النظرية الخرقاء التي لا تستند على دليل أو برهان ؟

### رأي وجيه للأستاذ النجار :

ويستحسن أن نقل هنا رأياً وجيهاً للأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء) فقد نقل فيه عن بعض علماء الألمان رأياً على تقيض رأي (داروين) تماماً خلاصته : أن القرد إنسان متفهم ، وليس الإنسان قرداً متبرجاً ثم قال : وعلى الجملة فما دام الأمر نظرية مطروحة على مشرحة البحث والتنقيب فإنها لا تكون حجة لأحد أبداً .

ثم قال : (هوا أن الطبيعة قد غضبت على هذه الأرض فهزتها هزاً عنيفاً بغير شفقة وزلزلتها زلزلاً شديداً ، فدكت فيها كل بناء شامخ ، وأنهار فيها كل صرح باذخ ، وألحقت القصور بالأكواخ ، وأزالت معالم الدنيا وجورها ومصانعها وقصورها ، وحادت الأرض كما كانت قبل أن يسكنها هذا الجبل من بني الإنسان ، فهل يتصور أن الغوريلا ، والشمبانزي وسائر الفصيلة القردية تهبّ لصمران الأرض كما عمرها الإنسان ، ويكون فيها المصلحون الدببون والمخترعون والمبتدعون ، ويقوم فيها أمثال «سقراط» و«أفلاطون» ويقوم بينهم العلماء فيرسون الكرة الأرضية ، وبخترعون الآلات الهندسية ، وبأنون بالعجائب فيوجدون الراديو والتلفزيون ، والطائرات والفواصات . إنني كلما فكرت في ذلك جزمت بأن ذلك محال ، وقطعت بأن (القرد) سيبقى فرداً على مدى الدهر ، وأن القردة لا تلد إلا قردة<sup>(١)</sup> .

(١) قصص القرآن لتجار .

## المراحل التي مرَّ بها خلق آدم :

أولاً : ( المرحلة الترابية ) : لقد كان أساس تكوين آدم عليه السلام ، ومصدر نشأته إنما هو التراب ، فحين تعلّمت إرادة الله جل جلاله في خلق آدم أمر الملائكة أن يجمعوا تراباً من أنحاء الأرض ، ومن ألوان التربة العديدة ، فجمعوا فكان هذا التراب هو الأساس في تكوين آدم عليه السلام ، وما يدل عليه قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ وجاء في الحديث الصحيح : ( إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر ، والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والمسهل والحزن وبين ذلك ) .

ثانياً : ( المرحلة الطينية ) : أخذ هذا التراب ثم جيل بالماء فأصبح طيناً لازباً ( أي مناسكاً ) يلتصق ببعضه ببعض ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ . ثم بقي آدم مدة طويلة من الزمن في الصورة الطينية تقدر بـ ٤٠ أربعين عاماً حتى جفّ وبيس فأصبح له صوت يشبه الفخار إذا نقر باليد وهو المراد من لفظ ( الصلصال ) كما قال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجنّ من نار ﴾ .

ثالثاً : ( المرحلة التكوينية ) : ثم توجهت إرادة العلي الكبير لجعل هذا الطين بشراً سوياً ، وإنساناً سميحاً بصيراً ، فنفخ فيه من روحه ، فإذا هو إنسان كريم وخلق عظيم في أحسن صورة وأكمل تقويم ، وهذه المرحلة هي آخر المراحل في خلق آدم عليه السلام ، وهي التي تسمى المرحلة التكوينية ، وقد وردت بعض الآثار تدل على أن آدم بقي في المرحلة التكوينية أي قبل نفخ الروح مدة طويلة تقدر بأربعين ٤٠ سنة ولعل الآية الكريمة في سورة الدهر تشير إلى هذه المدة التي بقي فيها آدم وهي قوله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ . والمراد بالإنسان هنا إنما هو آدم ، عليه السلام .

خبرية آدم : أما خبرية آدم وبقيّة البشر فقد كان خلقهم عن طريق التناسل



والتزاوج ، وقد مروا بأدوار في الخلق تختلف عن الأدوار التي مرَّ بها آدم ، وهي : النطفة ، العلقة ، المضغة ثم مرحلة نفخ الروح ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نبتنا فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ﴾

### سجود الملائكة لآدم عليه السلام :

بعد أن نفخ الله تبارك وتعالى الروح في آدم ، أمر الملائكة بالسجود له ، وكان ذلك السجود سجود ( تحبة وتكريم ) لا سجود ( عبادة ) لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر أحداً بالترجى بالعبادة إل سواه ، ويرى بعض المفسرين أن السجود إنما كان في حقيقته لله عز وجل ولم يكن لآدم ، وإنما كان آدم ( كالأقابلة ) بالنسبة للمصلي ، فالمصلي يتوجه إلى القبلة وصلاته وسجوده لله رب العالمين ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لآدم حيث جعله الله ( قبلة ) للملائكة الأظهر . ولقد كان ذلك الأمر الإلهي احتفالاً بتمام ( تكوين آدم ) وفي هذا إظهار لعلو شأنه ، كما أن فيه تكريماً لهذا النوع البشري حيث أسجد الملائكة لأبيهم آدم عليه السلام وقد خصَّ الله آدم بأربعة مزايا ، هي آية الفضل وعنوان الشرف الرفيع وهي :

أولاً : خلقه الله بيده .

ثانياً : نفخ فيه من روحه .

ثالثاً : أمر الملائكة بالسجود له .

رابعاً : علّمه أسماء كل الأشياء .

قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وجاء في الحديث الشريف ما يؤيد هذه المزايا والأوصاف الجليلة في قصة ( موسى مع آدم ) حين قال له : ( يا آدم أنت أبو البشر ، الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمك أسماء كل شيء ، ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة .. ) الحديث . ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجّوا جميعاً امتثالاً لأمر الله

إلا (إبليس) فقد امتنع عن السجود واستكبر وكان من الكافرين ، وادعى أنه أفضل من آدم وأشرف منه فكيف يسجد الفاضل لنفسه ؟ وقال قوله الحبيبة ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ .

### هل إبليس من الملائكة :

ظاهر النصوص الكريمة يشير إلى أن « إبليس » كان من الملائكة بدليل الاستثناء في قوله تعالى ( فسجنوا إلا إبليس ) وإلى هذا الرأي ذهب بعض العلماء وقالوا : إنه لو لم يكن ( إبليس ) من الملائكة لما كلف بالسجود لآدم ، ووجبتهم في ذلك والاستثناء المذكور في الآية الكريمة . وذهب المحققون من العلماء إلى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، استدلوها ببضعة أدلة توجزها فيما يلي :  
أولاً : لو كان ( إبليس ) من الملائكة لما عصى أمر الله ، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله كما ورد في القرآن : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾ .

ثانياً : الملائكة من نور ، وإبليس من نار ، وهو يقول عن نفسه بصريح عبارة القرآن : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فلو كان من الملائكة لقان خلقتني من نور وخلقته من طين . وفي الحديث الصحيح ( خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ) .

ثالثاً : ورد نص صريح في سورة الكهف يدل على أن إبليس كان من الجن ، وأنه امتنع عن السجود لآدم فسقه وضلله ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ الآية .  
وتأويل بعض المفسرين أن لفظ ( الجن ) هنا يراد به طائفة من الملائكة يسمون الجن تأويل بعيد ، والذي تطمئن إليه التفسير ، ويرتجح له الوجدان ، أن إبليس العين لم يكن من الملائكة وإنما كان من الجن وأنشيطين ، وذلك لأن

الملائكة لا تتناكح ولا تتناسل ، والله تعالى قد أخبر عن إبليس بأن له ذرية فقال ﴿ استخلونه وذريته أولياء من دوني ﴾ ولو كان من الملائكة لما كان له ذرية ونسل ، وقد قال (الحسن البصري) رحمه الله :

« لم يكن إبليس من الملائكة طرف عين ، وإنما هو من الجن » . وقد ذكر (ابن كثير) في كتابه (البداية والنهاية) عن بعض العلماء أنه قال : ( كان إبليس من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليهم جنداً من الملائكة فقتلهم وأجلوهم إلى جزائر البحار ، وكان إبليس بمن أسر فأخذته الملائكة إلى السماء فكان هناك ، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه فطرده الله من رحمته ) . والله تعالى أعلم .

#### خلق حواء :

بعد أن خلق الله تعالى آدم أسكنه الجنة فكان يمشي فيها وحيداً فريداً ليس معه زوج ولا أنيس ، فنام نومة ثم استيقظ فإذا عند رأسه امرأة خلقها الله له لتسكن إليها نفسه تسمى (حواء) وسميت بهذا الاسم لأنها خلقت من حمي ، ويروي عن ابن عباس أنها خلقت من أحد أضلاع آدم وهو قائم دون أن يحس بال ألم واستدل بقوله تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ الآية والله تعالى أعلم هل كان خلقها استقلالاً أم بواسطة آدم ، وتدل ظواهر الآيات الكريمة على أن الجنة التي أسكن فيها ( آدم وحواء ) عليهما السلام هي جنة الخلد التي في السماء ، وهذا رأي الجمهور من علماء أهل السنة ، وذهب المعتزلة والقدرية إلى أن الجنة ليست جنة الخلد وإنما هي جنة في الأرض وهي ( أرض عدن ) وشبهتهم أنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليها إبليس ، ولما وقعت فيها معصية آدم لأنها جنة القدس .

#### أدلة الجمهور على أن الجنة هي جنة الخلد :

استدل الجمهور على أن الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام هي

جنة الخلد بيضة أدلة أهمها :

- ١ - أن الله سبحانه قد عرف الجنة فقال ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾  
وأل التعريف للمهود في الذهن وهي جنة الخلد .
- ب - أمره تعالى بهبوط آدم بدل على أنها في السماء لأن الهبوط يدن على  
العلو والارتفاع ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ﴾
- ج - وصف الله تعالى الجنة بأوصاف تدل على أنها جنة الخلد ﴿ إن لك  
الاتّيجوع فيها ولا تحرى وأنتك لا تظمأ ولا تفسح ﴾ .
- د - ما ورد في حديث الشفاعة أن الناس يأنون آدم فيقولون : ( يا أبانا  
استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم .. ) الحديث .  
وباختصار فقد حكى ( القرطبي ) في تفسيره أن أهل السنة مجمعون على  
أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم عليه السلام .

تحرير إبليس بآدم عليه السلام :

وبعد أن سكن آدم وحواء الجنة أباح الله تبارك وتعالى لهما جميع أشجارها  
وتمازها إلا شجرة واحدة نهاهما عنها ابتلاءً منه جلّ وعلا ، ولم يذكر القرآن  
الكريم هذه الشجرة ما هي أو ما اسمها؟ فلا حاجة إلى الخوض فيها بغير بيّنة  
ولا برهان قال ( ابن كثير ) : ( وقد أهبهم الله ذكر الشجرة وتعيينها ، ولو  
كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا ) « انظر البداية والنهاية » .

وقد حذّر الله تعالى آدم وحواء من كيد إبليس اللعين ، ولكنهما نسبا ذلك  
سبباً بعد أن أقسم لهما إبليس الأيمان المغلظة بأنه ناصح لهما ، وأنهما إذا أكلا  
من هذه الشجرة فسبخلدان في الجنة وقال ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة  
إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾  
فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ( عورتهما ) ثم أهبطا إلى الأرض بسبب  
المخالفة وقد قال بعض المفسرين : إن آدم أكل من الشجرة متأولاً ، اعتقاداً  
منه أن الله تعالى نهاه عن شجرة يعينها فأكل من جنسها غير تلك الشجرة ،

والصحيح أنه أكل من الشجرة ناسياً الوعيد الإلهي وبدل عليه قوله تعالى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ انظر الفرطحي .

### قصة قابيل وهايل ابني آدم :

ذكر المؤرخون وأهل العلم أن آدم عليه السلام رزق من حواء أولاداً كثيرين وأنها وضعت له عشرين بطناً في كل بطن ( ذكر وانثى ) فكان آدم بزوج كل ذكر من بطن بالأنثى من البطن الأخرى ، ولا يزوج الذكر بالأنثى من بطن واحدة فأراد ( هايل ) أن يتزوج بأخت ( قابيل ) وكانت أخت قابيل أحسن فأراد ( قابيل ) أن يستأثر بها على أخيه ، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى وقال : أنا أحق بأختي ، فأمرهما أن يقرباً قرباناً فمن تقبل قربانه أخذ تلك الأخت ، فترتب ( هايل ) جذعة سمينه - وكان صاحب غم - فقدم أجود ما عنده ، وقدم ( قابيل ) حزمة من زرع رديء - وكان صاحب زرع - فقدم أسوأ ما عنده ، فنزلت نار فأكلت قربان ( هايل ) وتركت قربان ( قابيل ) فغضب عند ذلك قابيل وقال : لأقتلنك حتى لا تتكح أختي ، فقال له ( هايل ) إنما يتقبل الله من المتقين .. وكانت نهاية القصة أن أقدم قابيل على قتل أخيه هايل فقتله فأصبح من الغامضين قال تعالى ﴿وانزل عليهم نياً ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال : لأقتلنك ؟ قال : إنما يتقبل الله من المتقين. لن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بساط يدك إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين .. الخ . وجاء في الحديث الشريف ( لا تقتل نفس ظالماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سنّ القتل ) .

### الحكمة من استخلاف آدم في الأرض :

ولا استخلاف آدم في الأرض حكمة جبلة أشارت إليها الآيات الكريمة في قصة خلق آدم عليه السلام .. هذه الحكمة نرّمز إلى علم الله الواسع ، وإرادته الأزلية الحكيمة ، في عمارة الأرض بفقرة آدم وبنيه ، فلو لم يخلق الله تعالى

هذه المخلوقات لما عصرت الأرض ، ولما كانت هناك شعوب وأمم ، وخلائق وأجيال ، وهذا ما غاب عن تعلم الملائكة الأظهار ، ولم يُدرِكوا حكمته الدقيقة حتى جلا الله تعالى لهم الأمر وأطلعهم على الأسرار في استخلاف هذا المخلوق الجليد ، ذي الشأن العجيب ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ؟ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء :

« ولا يخفى أن استخلاف آدم في الأرض ، يشتمل على معنى سام من الحكمة الإلهية ، التي خفيت عن الملائكة .. فإن الله تعالى لو استخلف الملائكة في الأرض ، لما عرفت أسرار هذا الكون ، وما أودع فيه من الخواص والعلوم الغريبة ، فإن الملائكة ليسوا بحاجة إلى شيء مما في الأرض ، إذ هم على وصف يخالف وصف الإنسان ، فما كانت السفن تُصنع ، ولا الأرض لتررع ، ولا تعرف خواص الأشياء والمركبات الكيماوية ، ولا القوائد الطبيعية والافلكية ولا المستحدثات الطبيّة ، ولا الطبائع النفسية ، ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التي تنهي السنون ولا يترك الإنسان لعلم منها نهاية .. فسبحانه وتعالى من عزيز حكيم (١) » .

### هل آدم من الأنبياء ؟ :

من المقطوع به أن آدم عليه السلام من الأنبياء ، وهو رأي جمهور العلماء لم يخالف فيه أحد ، وإنما الخلاف هل هو رسول أم لا ؟ ولئن أرسل ؟ أما الأدلة على نبوته فقد وردت في الكتاب والسنة .. ولكنها في القرآن الكريم لم تكن صريحة ، فلم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء الكرام كإبراهيم ، وإسماعيل ، وموسى ، وعيسى ، وغيرهم

(١) انظر كتاب قصص الأنبياء ص ٦ .

من الأنبياء ، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة ، وشرع له في ذلك الخطاب ، فأمره ونهاه ، وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولا ، وهذا هو معنى النبوة كما أسلفنا .

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه ، فيرى بعض العلماء أنه رسول وأنه أرسل إلى فرشته ، ويرى الآخرون أنه لم يكن رسولا وإنما كان نبيا ، ويستدل هؤلاء بحديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له : أنت أول رسل الله إلى الأرض ، علو كان آدم رسولا لما ساء هذا القول ، والقاتلون برسالة آدم يقولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان ، والله أعلم بحقيقة الأمر ، والرأي الأرجح أنه من الرسل . أما الأدلة على نبوته فهي :  
أولا - قوله تعالى :

﴿ إنا إله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ ويظهر من الآية أن المراد الاصطفاء بالنبوة والرسالة .

ثانيا - قوله تعالى : ﴿ قلنا اصطفا منها جميعا ، فلما يأنبئكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . ففي هذه الآية وعد من الله تعالى بالهدى ، وإشعار بالرسالة .

ثالثا - قوله تعالى : ﴿ ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى ﴾ .  
والظاهر أن اجتبا الله له وتوبه الله عليه ، إنما هو اصطفاء الله إياه بالنبوة والرسالة . وقد ورد في السنة النبوية ما يدل على نبوته صراحة وذلك في حديثين :  
الأول : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :  
( أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ) . رواه الترمذي .

الثاني : عن أبي خو الغفاري رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم ، قلت يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : نعم نبي مكلم ، قلت يا رسول الله : كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة

عشر جملاً غفيراً ) رواه أحمد .

لهذه الأدلة ترى علماء المسلمين متفقين على نبوته لم يخالف في ذلك أحد  
والله تعالى أعلم .

### شبهة حول نبوة آدم :

وقد يقال : إذا كان آدم من الأنبياء فكيف عصى أمر الله ، والأنبياء  
معصومون عن المعصية ؟ والجواب أن هذا البحث قد تقدم معنا مفصلاً في  
باب ( عصمة الأنبياء ) ونحن نوجزه الآن في كلمات :

أولاً : إن ذلك حصل نسياناً منه : لا قصداً وعمداً بدليل قوله تعالى :  
﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ وهذا ما اختاره  
القرطبي .

ثانياً : إن آدم عليه السلام قد تأول في أكله من الشجرة : لأنه ظن أن  
المراد من قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ عين تلك الشجرة فأكل  
من شجرة أخرى من جنسها فوقع في المخالفة .

ثالثاً : أن أكله من الشجرة كان قبل لنبوة المستلزمة للعصمة من المعصية ،  
فلم يكن نبياً حين أكل منها بدليل قوله تعالى ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾

### ما الفرق بين الملائكة والجن ؟

يعرف علماء التوحيد الملائكة بما يلي :

الملائكة : أجسام نورانية لطيفة ، قادرة على التمثل والتشكل بأية صورة  
أرادوا ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، وأنهم محبوبون على العبادة والطاعة  
﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وأنهم لا يتناسلون ولا يتناكحون  
ولهم قدرة خارقة ، ولا تحكم عليهم الصورة .

وأما الجن : فهم أجسام نارية سفلية ، مخلوقون من مارج من نار ( أي  
من أخلط نار صافية ) وأنهم قادرين على التشكل بأية صورة أرادوا ، وأنهم



يتناسلون ولهم ذرية . وفيهم الذكر والأنثى ، وهم مكلفون كالإنسان ، وفيهم المؤمن والكافر ، وأن الصورة تحكم عليهم .  
ومن هذا التعريف يتضح لنا بجلاء أن بين خلق الملائكة وبين خلق الجن تفاوتاً واضحاً ، وتبايناً ظاهراً في أصل الجبلة والحلقة .

فالملائكة مخلوقون من نور ، والجن مخلوقون من نار ، يدل لذلك قول النبي ﷺ ( خلقتم الملائكة من نور ، وخلق الجن من نار ) وخلق آدم مما وصف لكم ) رواه مسلم . وقوله تعالى : ﴿ والجن خلقنا من قبل من نار السموم ﴾ .

والملائكة ليس لهم نسل ولا ذرية ، بخلاف الجن فإنهم يتناسلون ويتكاثرون ولهم ذرية كما قال تعالى عن إبليس : ﴿ أفتتخذونه ذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلاً ﴾ . فالملائكة يخلفهم الله تعالى خلقاً جديداً مبتدئاً لأنه ليس فيهم ذكر أو أنثى حتى يحصل التناسل ، أما الجن ففيهم الذكر والأنثى ويقع بينهم التناسل والتناسل كما هو الحال بين البشر .

والملائكة قادرون على التمثل بأمثال الأشياء ، و ( التشكل ) بالأشكال الجسمانية المحسوسة ، فقد ثبت ذلك في النصوص العديدة من الكتاب والسنة ، قال تعالى عن جبريل عليه السلام ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ . وقال تعالى عن صفوة إبراهيم من الملائكة الأبرار :

﴿ هل أتاك حديثٌ ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلامٌ قومٌ منكرون ﴾ فقد دخلوا عليه في صورة رجال ، وحين قدم لهم الطعام امتنعوا عن الأكل ، فأوجس منهم خيفة فأخبروه أنهم ليسوا بشراً ، إنما هم ملائكة أرسلهم الله لإهلاك المكذبين من قوم لوط .

وحين قدم الملائكة على نبي الله ( لوط ) عليه السلام جامعوه على صورة شباب مرد جسار ، مما جعل السفهاء يطمعون بفعل الفاحشة بهم ، حيث جاموا يتسابقون إلى لوط عليه السلام كما قال تعالى ﴿ وانه قومٌ يهرعون إليه ،

ومن قبلُ كانوا يعلمون البينات ، قال : يا قوم هؤلاء بناتي هن أظهُرُ  
لكنكم ، فانتقوا اللهَ ولا تُخزوني في ضيفي أليس منكم رجلٌ وشيد ؟ ﴿  
فالملائكة إذا قامرون على التصور والتشكل بأي صورة شاءوا ، وقد ثبت في  
الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ،  
إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر  
السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فسأل رسول الله ﷺ عن الإيمان ، والإسلام ،  
والإحسان ، وعن الساعة فأجابه الرسول عنها بالتفصيل ، وأخيراً سأله الرسول  
أصحابه : أتدرون من أسائل ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل  
أتاكم يعلمكم دينكم .

والجن أيضاً قادرون على التمثل والتشكل بأي صورة شاءوا ، فقد اجتمعوا  
برسول الله ﷺ في صورة نفر من الرجال ، وسمعوا القرآن ، ثم رجعوا إلى  
قومهم مندوبين ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ  
القرآن . ﴾ الآية .

فهم يشبهون الملائكة من هذه الناحية ، وهي قدرة ( التمثل والتشكل )  
بأي صورة شاءوا . ولكنهم يختلفون عن الملائكة في أنهم تحكم عليهم الصورة  
بينما الملائكة لا تحكم عليهم الصورة ، بمعنى أن الجن لو تصور وتشكل في  
صورة إنسان أو طير ، وصوب إنسان سهماً نحوه فإن الجن يموت كما لو قتله  
إنسان بسيف أو رمح ، فيجري عليه حكم الصورة ، بخلاف الملك فإنه لو  
تصور بصورة ما فإن هذه الصورة لا تحكم عليه ، فلا يقتل الملك إذا ما سدد  
إنسان سهماً نحوه أو جني عليه بجمابة ، فلا يناله شيء من الأذى فيما لو تشكل  
بصورة إنسان أو غيره . ثم إن الملائكة يختلفون عن الجن في أنهم لا يأكلون  
ولا يشربون ، وليس فيهم نزوع إلى الشر ، وليس عندهم استعداد للمحبة ،  
بل خلقوا على الامتقانة ، وجبلوا على العبادة والطاعة كما قال تعالى ﴿ يسبحون  
الليل والنهار لا يفترون ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
ما يؤمرون ﴾ . وأما الجن فبعضهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، فهم كالإنسان  
في هذه الناحية كما قال تعالى عن إبليس ﴿ كان من الجن فسق عن أمر ربه ﴾

وقال تعالى غمراً عنهم في سورة الجن ﴿ وَأَنَا مِّنَ الْمَسْلُومِينَ ، وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ،  
فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ وهم  
مكلفون كسائر البشر بالتكاليف الشرعية قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ . ولهم رسل وأنبياء يبلغونهم  
أوامر الله ونواهيه كما قال تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ  
مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُتَرَوْنَ كُتُبَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا . . . ﴾ الآية . فقوله  
تعالى ( منكم ) يدل على أن هناك رسلاً من الإنس ، ورسلاً من الجن ، وأما  
رسالة محمد ﷺ فهي لجميع الخلق انهم وجنتهم كما قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

والجن مخلوقون قبل الإنس يدل لذلك قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خُلُقُنَا مِنْ  
قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ﴾ الحمأ : الطين الأسود المتغير . والمسنون : المصنوع .  
والسوموم : الريح الحارة القاتلة . والجن يرون البشر بينما البشر لا يرونهم يدل  
لذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ  
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . ثم إن ( الملائكة ) يختلفون عن الجن في أن لهم قدرة  
عجيبة خارقة ، فهم يستطيعون أن يتعلموا الجبال ، ويفرغوا البحار ، ويقبلوا  
الأرض بأهلها ، كما فعل الملائكة بقوم لوط ( فجعلنا عاليها سافلها ) وكما اقتلع  
جبريل عليه السلام جبل الطور ورفعه فوق بني اسرائيل كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ  
نُفِثْنَا الْجِبِلَّ فَوَثَّمَهُمْ كَأَنَّهُ غَلَقٌ . . . ﴾ الآية .

وللملائكة أجنحة ، فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة  
أو أكثر كما قال تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رِسَالًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ  
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وفي الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ رأى جبريل في صورته الحقيقية  
له شمتة جناح قد سد الأفق .

## الفرق بين الشياطين والجن :

والشياطين فرقة من الجن ، وهم المردة العصاة ، ورئيسهم إبليس اللعين عليه لعنة الله ، فكل متمرد من الجن يسمى ( شيطاناً ) .. كما أن كل عاصٍ من الإنس يسمى ( فاسقاً ) وكل جاحد يسمى ( كافراً ) فكل شيطان جنّي ، وليس كل جنّي شيطاناً ، قال تعالى ( ويتبع كل شيطان مريد ) والله الموفق .

## العبرة من قصة آدم عليه السلام :

ونستخلص من قصة آدم أب البشر بعض العظات والعبر وأهمها ما يلي :  
أولاً : أن الله سبحانه وتعالى قد كرم هذا النوع البشري حين خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة ، وجعله خليفة في الأرض وهذا تكريم لآدم وذريته .

ثانياً : أن الله تعالى قادر على كل شيء فقد يجعل من الأمر الحقير أمراً هاماً وعظيماً فقد خلق آدم من تراب ثم جعله بشراً سوياً ، وأفاض عليه من أسراره وقدرته وبدائع حكمته ما جعله أهلاً للاستخلاف في الأرض ، كما علمه أسماء كل الأشياء مما عجزت عنه الملائكة الأظهار .

ثالثاً : إن على الإنسان أن يحترز مكائدهم الشيطان فقد كان السبب في خروج أينا آدم من الجنة وعداونه قديمة لنا منذ ظهور آدم ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخلوه عدوا﴾ فلا ينبغي أن نتخدع بوساوس إبليس اللعين فهو حرب علينا إلى يوم الدين.  
رابعاً : إن الإنسان مجبول على الخطأ معرض للنسيان ، لأنه خلق من ضعف وما وقعت مخالفة آدم لأمر الله إلا بسبب ذلك الضعف البشري حيث استجاب لنداء اللعين إبليس ونسي أمر الله .

خامساً : على الإنسان ألا يقنط من رحمة الله ، ولا يأس من عفوه فيما إذا وقع في خطيئة وحصلت منه سقطلة أو ألم بذنب فقد علمنا الله كيف نتوب إليه ، وكيف نتخلص من الذنوب والآثام ( نقلت من ربه كلمات فتاوى

عليه إنا هو الترابُ الرحيمُ .

### وفاة آدم عليه السلام :

وفاة آدم عليه السلام : وقد حاش آدم على ما ورد في بعض الآثار ١٠٠٠ ألف عام ثم مات بعد ذلك ودفن على المشهور في الهند عند الجبل الذي أهبط فيه ، وقيل بجبل (أبي قبيس) بمكة المكرمة ، ولما حضرته الوفاة جاءتته ملائكة من السماء بكفن وحنوط من الجنة وبعد أن غسلوه وكفنوه حضروا له وأخذوه ، وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره فوضعه فيه ثم حثوا عليه التراب وغالوا : يا بني آدم هذه سنتكم .. رحم الله أبانا آدم وأسكنه فسيح جنته وجمعنا معه في دار الخلد آمين . والحمد لله رب العالمين .





## الفصل الخامس

### ١ - «أولو العزم من الرسل»

- ١ - نوح عليه السلام .
- ٢ - إبراهيم الخليل عليه السلام .
- ٣ - موسى عليه السلام .
- ٤ - عيسى بن مريم عليه السلام .
- ٥ - محمد خاتم النبيين عليه السلام .





## « اولو العزم من الرسل »

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً بنى فومه فلقى فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ .

نسبه : هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أدنوخ . أبيه ادريس . فإدريس جده الأكبر . وينتهي نسبه إلى « شِيث » عليه السلام ابن آدم أبي البشر ، وبينه وبين آدم ما يزيد على ألف عام . ورواية النوراة تذكر أن بينهما ( ١٠٥٦ ) عاماً .  
رواية البخاري : روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :  
( كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ) .

قال ابن كثير في ( البداية والنهاية ) ما نصه : فإن كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فيبينهما ألف سنة لا محالة ، لكن لا ينبغي أن يكون أكثر باعتبار ما قيّد به ابن عباس من الإسلام . إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام ، لكن حديث ( أبي نعام ) يدل على الخصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كانوا كلهم على الإسلام . وحديث أبي أمامة رواه ( ابن حبان ) في صحيحه وهو : أن رجلاً قال يا رسول الله : أربي كان آدم ؟ قال : نعم مكلّم . قال : كم كان بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون . قال ( ابن كثير ) : وحديث ابن عباس يرد على من رجم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قنبل وبنيه عبدوا النار .

## ذكر نوح في القرآن

ذكر نوح عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم .  
وذكرت قصته مفصلة في القرآن في كثير من السور الكريمة ، منها : الأعراف  
وهود ، والمؤمنون ، والشعراء ، والقمر . وذكّرت له سورة خاصة تسمى  
(سورة نوح) وكلها تشير إلى بعثته ورسالته وطريق دعوته ، وإلى ما لاقاه من  
قومه من جحود وعصيان : وإلى صبره لطول على الأذى ، وإلى العذاب الذي  
حلّ بالمكذّبين وهو الفرق ، وإلى نجاة من آمن به على ما يأتي بيانه عند تفصيل  
قصته عليه الصلاة والسلام .

## نوح أول رسول إلى الأرض

يذكر المؤرخون أن نوحاً عليه السلام هو أول رسول بعثه الله سبحانه إلى  
أهل الأرض ، وقد أمره ربه أن ينزل قومه ويحدّهم عذاب الله ، فكان نوح  
أول نذير وأول رسول كما قال سبحانه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ  
قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، ويستدلون على ذلك بالحديث  
المروي في الصحيحين وهو حديث الشفاعة ، وفيه أن النبي ﷺ قال :

(يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فينظرهم الناظر ، ويسمعهم  
الناظر ، وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطبقون ولا  
يحملون ، فيقول الناس ألا نرون ما أنتم عليه ، ألا تنظرون من بشع لكم ؟  
فيقول بعضهم لبعض : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر ،  
خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة  
ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول آدم عليه السلام :  
إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعثه مثله وأنه  
نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي : نفسي : اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح  
فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض  
وقد سمّاك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا

تشفع لنا إلى ربك عز وجل فيقول : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، نفسي ، نفسي ، ... الخ الحديث . متفق عليه .

وهذا الذي ذكروا من ان نوحاً عليه السلام هو أول الرسل إلى أهل الأرض هو الصحيح الذي عليه الأكترون ولكن ليس معنى ذلك انه لم يسبقه بعثة أحد من الأنبياء قبله : قشيت وأدريس وآدم أنبياء وكلهم قد بعثوا قبله ولكنهم لم يكونوا رسلاً فهو بهذا الاعتبار أول رسول وليس أول نبي ، ومعلوم ان هناك فرقاً بين النبوة والرسالة : فالرسول هو الذي أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، وأما النبي فهو الذي أوحى إليه بشرع ولكن لم يؤمر بتبليغه ، والله أعلم .

### المدة التي عاشها نوح

عاش نوح عليه السلام طويلاً وعمراً كثيراً . وكان أطول الأنبياء عمراً وأكثرهم جهاداً فقد حمّل من الأذى ما لم ينحمله أحد من الرسل ، فدعا قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وأقام فيهم ( ٩٥٠ ) تسعمائة وخمسين عاماً يذمهم ويعظهم ، ويدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ولكنه لم يلق من قومه إلا كل تكذيب واضطهاد ، وصدود واعراض ، فقد كانت قلوبهم أشد من الحجارة ، وعقولهم أصلب من الحديد . ومع طول المدة التي أقامها بينهم لم يؤمن برسالته إلا قليل كما قال تعالى : ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ . وقد ذكر بعض المفسرين أن عدد الذين آمنوا معه كانوا عشرة وهم الذين ركبوا معه في السفينة ، وذكر آخرون أنهم كانوا أربعين ، والرواية الصحيحة التي وردت عن ابن عباس أنهم كانوا ( ٨٠ ) ثمانين نفساً معهم نساؤهم ، وهذا أكثر أقوال المفسرين للذين آمنوا معه وهم الذين نجوا من الغرق ، ومنه يظهر مدى المشقة التي نالها نوح عليه السلام في هذا الكفاح المرير ، والأهوال التي نالها في هذه الفترة الطويلة التي عاشها من عمره ، وهي سلسلة من حياة فاسية مليئة بالكفاح والثقلان ، والعذاب والبلاء لا يقدر على تحملها أبشر إلا أولو الصبر من الأنبياء

وهذا كان (نوح) عليه الصلاة والسلام من أولي العزم الذين ذكرهم الله في قوله لسيد الخلق ﷺ: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ وأمره بالسير على نهجهم وهم خمسة (نوح : وإبراهيم ، وموسى . وعيسى : ومحمد ) صلوات الله عليهم أجمعين . .

وفد ذكر بعض المؤرخين ان نوحاً عليه السلام تلاعبه الله إلى قومه كان عمره (٥٠) خمسين سنة ومكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة ثم عاش بعد هلاك قومه (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون عمره على ذلك ألفاً وثلاثمائة وخمسين سنة (١٣٥٠) ، وهذا الرأي قد يكون متفقاً على التوراة كما هو عادة ما بلغ فيه كفة الأخبار التي تذكرها التوراة مما لا يمكن لأطلسيان التام إليه ، والذي نضع به ما ذكره القرآن الكريم ﴿فلت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ فهذا قطعي للدلالة ثبت ثبوت اليقين ولست بحاجة إلى غيره من الأخبار .

### قوم نوح يعبدون الأصنام

تشير الآيات الكريمة في قصة نوح عليه السلام أنه بعث إلى قوم فد أشركوا بالله وعبدوا الأوثان والأصنام واتخذوا آلهة من دون الله ، اعتصموا أنها تصرف وتنفع وينصر وتسمع وأنها تستطيع ان تجلب لهم الخير وتدفع عنهم السوء وتغني عنهم من دون الله . وهم أول قوم عبدوا الأصنام وأشركوا بالله وهذا بعث الله سبحانه إليهم نوحاً عليه السلام بالإنذار والتخويف كما قال تعالى : ﴿انا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبلي أن يأتيتهم عذاب أليم . قال يا قوم بني لكم قديراً مبيناً . أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . . .﴾ الآية . وقد كان الناس قبل قوم نوح على دين الفطرة يعبدون الله لا يشركون به شيئاً ولا يعرفون أوثاناً أو أصناماً وكانوا مؤمنين مقربين بوحداية الله فهذا لم يبعث لهم رسولا ينذرههم ويحذرهم ، وأول رسول بعث بالإنذار والتخويف هو نوح عليه السلام أرسل إلى قوم يدعون ( بني راسب ) كانوا قد رسخوا في الضلال وازدادوا في العناد ، وعتوا عتواً كبيراً ، فجاءهم بالدلائل الواضحات ،



أراد قوم نوح ان يذكروا أعمالهم الصالحة فاتخذوا لهم تماثيل زعموا منهم أنهم بذلك لا ينسون ذكراهم ويتأسون بهم في صالح الأعمال ومع مضي الأزمان عادت هذه الأوثان .

روي في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لأُم سلمة وأم حبيبة لما رأتا الكنيسة التي بأرض الحيشة وذكرنا من حسناتها ونصاير فيها جميلة قال (اولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة ، اولئك شرار الخلق عند الله عز وجل ) .

وروي البخاري عن ابن عباس عند تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرنا آفتنكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً﴾ . قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ان انصبوا إلى مجانسهم التي كانوا يجلسون فيها انصباباً وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تُعْبَد حتى إذا هلك أولئك وتسخ أي (تقادم) العلم عادت . قال (ابن عباس) وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد

أقول : ومن أجل ذلك جاءت الشريعة الإسلامية الفراء تحظر التصوير بالبدن لكل ذي روح وتحرم اتخاذ التماثيل أياً كان الغرض منها . فقد روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : ( ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم : أحبوا ما خفتم ) . وورد أيضاً فيه : ( ان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا تماثيل ولا جنُب ) . وجاء أيضاً قوله ﷺ : ( من صور صورة عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافع ) ورواه البخاري .

وكل ذلك سداً للذرائع وصيانة للعقيدة حتى لا يقع الناس في الوثنية كما وقع قوم نوح ثم انتقل الشر والفساد إلى غيرهم .

### صبر نوح على تكذيب قومه له

لقد كان جهاد نوح عليه السلام وصبره على إيذاء قومه بما لا طاقة لأحد

على تحمله ولا قدرة له عليه . فقد كان جهاده جهاد الأبطال ، وصبره صبر الجبال ، أودى ، وعذب ، واضطهد وهو لم يكف عن تبليغ دعوة الله لمدة تقارب ألف عام ، ولم يضعف عن إبداء النصيح والتذكير ابتغاء مرضاة الله . وقد استعمل المشركون معه صنوف الاستهزاء والبلاء ليصلوه عن دعوته فلم يبدوا منه إلا كلى صبر وثبات . أنهموه بأنواع الاتهامات ، واغفروا عليه أنواع الاقترامات فما زاده ذلك إلا إيماناً وتسلماً ، وصبراً وجهاداً ، فكان من الأنبياء المقربين ومن أولي العزم الصابرين .

### أنواع الاتهامات لنوح عليه السلام :

- ١ - أنهم عليه السلام بالسفه والضلال . قال تعالى : ﴿ قَالِ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَشَرَّاكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .
- ٢ - واتهم أيضاً بالجنون وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ كَذَّبَتْ قَبِيلُهُمْ قَوْمَ نُوحٍ فَنَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْذُوبٌ وَأَزْدُجِرٌ ﴾ . وأخبر القرآن عن لسانهم : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ الآية .
- ٣ - واتهم بكثرة الجدل وبالاقترام عن الله وفي ذلك يقول القرآن الكريم حكاية عنهم : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأُثْبِتْ بِمَا تَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .
- ٤ - وهدد عليه السلام بالرجم قال تعالى : ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ بِأَن نُّوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ .
- ٥ - وقابلوه بالسخرية والتهكم قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَا إِنَّا نَسْخَرُونَ مِنْهُ لَئِنَّا لَنَسْخَرُونَ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ .

وهكذا تفننوا في إيذانه واتهامه ليفلتوا من عزمه : وهذه الاقترامات والاتهامات سلاح يستعمله الصخرة في كل وقت وحين في وجه كل نبي كريم أو داعية مصلح ، وهو ليس خاصاً بقوم نوح فقد قال المشركون لسيد الخلق

محمد ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ تَجْتُنَّوْنَ ﴾ وقالوا أيضاً : ﴿ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ وقالوا كذلك : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ وهكذا يستعمل الأشرار والمجاز هذا السلاح في وجه كل نبي وداعية . فينبغي ان يتنبه الدعاة والمصلحون إلى هذا النوع من الحرب الباردة .

### دعوة نوح عليه السلام لقومه

حياة نوح عليه السلام حياة شاقة مريرة ، ومحنته مع قومه محنة شديدة أليمة فقد أقام بينهم قروناً ودهوراً فلم ير إلا آذانا صماً ، وقلوباً غنفاً ، وعقولا متحجرة . لقد كانت نفوسهم أيبس من الصخر وأفئدتهم أقسى من الحديد . لم ينعهم نصح أو تذكير ، ولم يزرهم وعيد أو تحذير . وكلما ازداد لهم نصحاً ازدادوا له عناداً ، وكلما ذكرهم بالله زادوا ضللاً وفساداً ، وظلوا في طريق الضلال سائرين : لا يلتفتون إلى دعوة نوح ، ولا يباليون بتحذيره وإنذاره ، وقد أقام بينهم تسعمائة وخمسين عاماً داعياً ، مذكراً ، ذاصحاً ، وسلك جميع الطرق الحكيمة لانقاذهم من الضلال ، وابعادهم عن عبادة الأصنام والأوثان فلم يفلح معهم أبداً ، وكانت دعوته لهم ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، ومع كل ذلك لم تلن قلوبهم ، بل قابلوا الاحسان بالإساءة ، والنظف بالثبلة . ومالوا عليه بالضرب والأذى ، وهو لا يفتأ يقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . روى المفسرون ان نوحاً عليه السلام كان يأتي قومه فيدعوهم إلى الله فيجتمعون عليه ويضربونه بالضرب المبرح ويخسفونه حتى يمتد على ثم يثبونه في حفير ويرمون به في الطريق ويقولون انه سيموت بعد هذا اليوم . فبهذا الله سبحانه إليه قوته فيرجع إليهم ويدعوهم إلى الله فيعلموه . جعل ذلك وشكراً بقي يودى ويذاب وهو مع ذلك صابر لا يدعو على قومه بالعذاب وإنما كان يؤمل فيهم أو في أبنائهم الخير والصلاح ، ويقول لعلى الله يخرج من أصلابهم من يستجيب لدعوتي ويؤمن بالله ولكن مع هذه المدة الطويلة لم يؤمن معه إلا



الغليل منهم وكان كلما انقضى جيل جاء من بعده أُنحِث وأُمن فقاد كانوا يوصون أبناءهم بعدم الإيمان به وكان الوالد يقول لولده إذا بلغ وعقل : يا بني احذر هذا لا يغرثك عن دينك وأهلك . ولهذا دعى عليهم نوح بعد أن بشس من إيمانهم فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَتَكَ وَلَا يَكِيدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَثِيرًا ﴾ فكان بعد ذلك الطوفان .

روي عن ابن مسعود أنه قال : ( كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَمِنْهُ قَوْمُهُ حَتَّى أَدْمُوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَّ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) .

### نوح يصنع الفلك

ما بشس نوح عليه السلام من إيمان قومه بعد هذه الفترة الطويلة من الزمان ، وأوحى الله سبحانه إليه بأنه لن يؤمن من قومه بعد هؤلاء المؤمنين أحد كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ قَدَّمَ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، عند ذلك التجأ إلى الله بالدعاء على قومه بالهلاك والدمار فاستجاب الله دعاءه وأعلمه بأنه سيهلكهم بالطوفان فلا يبشقي منهم أحداً ، وأوحى إليه أن يصنع الفلك ( السفينة ) ليركب فيها هو وجماعته المؤمنون ، ولم يكن لنوح ولا لغيره معرفة بصنع الفلك ولذلك أوحى الله إليه صنعها وعلمه كيف يبني . ان تكون كما قال تعالى : ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ . وإنما أمره بعدم مراجعته في شأنهم لأن عذاب الله إذا جاء فلا يرد عن القوم المجرمين ولعنه قد تلذكه رقة عند معاينة العذاب النازل بهم فإنه ليس الخبر كالمباني .

وأخذ نوح عليه السلام يصنع السفينة تحت أمر الله ووحيه ، وجعل قومه يمزقون عليه قهزأون عليه ويسخرون ويقولون له : يا نوح قد كنت بالأمس نبياً واليوم قد صرت نجاراً ، ويستمعون عنده وهم يضحكون وهو جاد عليه السلام في عمه فكان يجيبهم بقوله : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ﴾

كَمَا تَسْخَرُونَ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ مَنْ بَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ  
عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ولما انتهى من صنعها أمره الله سبحانه أن يجعل معه أهله وجماعة  
المؤمنين وأن يجعل فيها من الحيوانات من كل صنف زوجين (ذكر وأنثى) اثنين ،  
ومن سائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها ، ثم جعل له علامة وهو  
( نوران التنور ) ، والمراد به على رأي جمهور المفسرين وجه الأرض أي ان تنبع  
الأرض من سائر أرجائها فذلك وقت ركوب السفينة مع المؤمنين بعد ذلك سيكون  
الطوفان والغرق لجميع سكان الأرض ولا ينجو من الغرق إلا ركاب السفينة ،  
فلما ظهرت العلامة ركبوا في السفينة وأرسل الله من السماء مطراً لم تهده الأرض  
قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب ، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها  
وسائر أرجائها كما قال تعالى في سورة القمر : ﴿ فندعاريه أني مغلوبٌ  
فاتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً  
فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجري  
بأعيننا جزاء لمن كان كفيراً ﴾ وارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة  
عشر ذراعاً ، وعم جميع الأرض طولها وعرضها ، سهلها وحزنها ، جبالها  
وقفارها ، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ،  
فقد غمرهم الماء ، وجرهم الطوفان ، ولم ينج إلا ركاب السفينة ، ولهذا يسمى  
نوح عليه السلام (أبا البشر) الثاني لأن جميع أهل الأرض بعد الطوفان هم  
من نسل أهل السفينة الذين كانوا مع نوح ، حتى ابن نوح الذي لم يؤمن بالله  
ولم يركب مع أبيه في السفينة كان من المالكين ، اقرأ هذا النص الكريم : ﴿ وقال  
اركبوا فيها باسم الله متجربيا ومُرْسَاها إن ربي لغفور رحيم . وهي تجري  
بهم في موج كالجبال وتنادي نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب  
معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمي من الماء ،  
فان لا عصم اليوم من أمر الله إلا من رجم وحال بينهما الموج فكان  
بين الغرقين ، وقبل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيضي الماء  
وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً لقوم الظالمين ﴾ .

## أولاد نوح عليه السلام :

كان لنوح عليه السلام أربعة أولاد هم ( سام ، وحام ، ويافث ، وكنعان ) أما كنعان فقد هلك مع الغالبيين لأنه كان من الكافرين وأبى أن يركب مع أبيه في السفينة وقال سأوي إلى جبل يعصمي من الماء فلم ينج من الغرق مع أنه صعد إلى أعلى جبل هناك ولم يكتب الله له العادة حتى يستجيب للدعاء والده حين نذاه بقوله : يا بني اركب معنا بل ظن أنه سينجو بصعوده الجبل فباه بالخيبة والفشل ، وحين دعا نوح ربه أن ينجي ولده هذا وقال : ﴿ رَبِّ انِّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنِّ وَعْدُكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ عاتبه الله سبحانه بقوله : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِفِينَ ﴾ . وأما أولاده الثلاثة فتجروا وجاء من نسلهم أهل الأرض ، فكل اختلاف ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة لأن الله تعالى قال : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ، فسام هو أبو العرب ، وحام هو أبو الخيش ، ويافث هو أبو الروم ، وقد ورد في ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة منها ما رواه أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : ( سام أبو العرب وحام أبو الخيش ويافث أبو الروم ) ، وروى البزار في مسنده أن النبي ﷺ قال : ( ولد لنوح سام وحام ويافث ، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد ليافث بأجوج ومأجوج ) الخ .

## (انتهاء الطوفان بعد هلاك الكافرين)

وبعد أن غرق أهل الأرض ولم يبق على وجهها من الكافرين أحد أمر الله السماء أن تكف عن المطر ، وأمر الأرض أن تبتلع المياه التي غمرتها وان تعود الحياة كما كانت على ظهر الأرض ، وكانت السفينة قد وصلت إلى جبل يسمى ( الجودي ) وهو جبل عظيم إلى جانب دجلة ( عند الموصل ) في العراق وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي

وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودي وقيل بعداً للثور  
الظالمين .

### هبوط أهل السفينة بعد نجاتهم إلى الأرض :

وحين استقرت السفينة ببابل والجودي ، أمر الله نوحاً ومن معه ان ينزلوا  
منها بسلام وأمان وبركات من العزيز الرحمن ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا  
وَبَرَكَاتٍ عَظِيمَةٍ وَعَلَىٰ أَمْرٍ مِّنْ مَّعْنَاكَ﴾ وكان نزولهم من السفينة (يوم عاشوراء)  
من المحرم بعد أن بقوا فيها (١٥٠) يوماً فصام نوح ذلك اليوم شكراً لله وأمر  
من معه من المؤمنين أن يصوموه ، وقد توارث بنو اسرائيل صيام ذلك اليوم ،  
وجاء الإسلام فأقر صيامه . روي أن النبي ﷺ لما قدم المدينة المنورة رأى اليهود  
نصوم يوم عاشوراء فقال : وما هذا ؟ قالوا : يوم صالح ، هذا يوم نجى الله  
تعالى فيه نبي اسرائيل من عندهم فصامه موسى ، فقال ﷺ أنا أحق بموسى  
منكم فصامه وأمر بصيامه . رواه الشيخان . واخرج لرمذي عن النبي ﷺ  
أنه قال : ( صيام يوم عاشوراء أتى احتساب عن الله ان يكفر السنة التي قبله ) .  
الفترة التي ألاموها في السفينة : ذكرنا فيما سبق ن مدة بقائهم في السفينة  
كانت مائة وخمسين يوماً وهذه الرواية منقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما  
فيه قال كما ذكره ( ابن كثير ) في البداية والنهاية ( كان مع نوح في السفينة ثمانون  
رجلاً معهم أهلهم ، وأنهم مكثوا في السفينة مائة وخمسين يوماً ، وان الله وجه  
السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه ) .  
وقد توفي نوح عليه السلام بعد ان مكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة  
قبل الطوفان وعاش بعده مدة الله أعلم بها . وعلى رأي ابن عباس يكون مقدار  
حياته (١٧٨٠) سنة وهي أطول حياة عاشها إنسان وقد دفن بقرب المسجد الحرام  
بمكة المكرمة على الرجوع من الأقوام رحمة الله واسعة ومن خصائصه  
أنه أول نبي من أنبياء الشريعة ، وأطول الأنبياء عمراً ، وشيخ المرسلين ، وأنه  
أول نذير عن الشرك ، وأول داع إلى الله ، وقد سمى الله عبداً شكوراً ، وجعله  
بعد محمد في الثاني .

## ٢ - إبراهيم عليه السلام

### حياته عليه السلام :

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم ، إنه كان صديقاً نبياً﴾ .  
إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء وهو البغد الأكبر لرسول الله ﷺ إذ أنه من ولد اسماعيل ، واسماعيل هو ابن إبراهيم ، فيكون إبراهيم هو الجد الأعلى لرسول الله ﷺ ، وقد خص الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام بخصائص ومزايا فريدة ، فجعله أباً للأنبياء ، وإماماً للأنبياء ، وقدموه للمصلين ، واختاره من بين الرسل والأنبياء بالخُلقة والاصطفاء ، فهو ( خليل الرحمن ) ومنه تناسل الأنبياء وتتابعوا عقب الأجيال ، فجميع أنبياء بني إسرائيل من نسله لأنهم من أولاد ( يعقوب بن اسحق ) واسحق هو ابن إبراهيم ، فمن إبراهيم تنفرح شجرة النبوة ، حتى نختم الرسل صلوات الله عليه من نسله لأنه من ولد اسماعيل قال تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .  
وقد ابتلى الخليل عليه السلام بأنواع من الابتلاء ، وامتنحن بضر وب من الامتحان فصبر ، وكان في إيمانه مثل الجبال الرواسخ ، لم يتزعزع ولم يضطرب ولم يدخل إليه وهن أو ضعف ، وكان أشد هذه المحن عليه حين أمر بذبح ولده ( اسماعيل ) ، ولكنه كان مثلاً للعبودية والطاعة ، والإذعان لأوامر الله ، ولهذا جعله الله قسوة للأنبياء ، بل جعله أمة بمفرده قال تعالى ﴿إن إبراهيم كان أمةً فآمننا الله حنيفاً ، ولم يك من المشركين﴾ .  
ولا عجب أن نرى الثناء العظيم من الله تعالى عليه فهو أب الأنبياء ، وإمام الأنبياء ، ورمز الإيمان ، ابتلى فصبر ، وانتصر فشكر ، فكان عبداً وانياً ولذلك اختاره الله خليلاً ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ .

## نسب إبراهيم عليه السلام :

هو إبراهيم بن تارح ، بن فاحور ، بن ساروغ ... وينتهي نسبه إلى ( سام ابن نوح ) وبينه وبين نوح عليه السلام مدة تزيد على ألف عام ، وهذا النسب هو الذي ذكره المؤرخون نقلاً عن التوراة وأن اسم أبيه هو ( تارح ) . وأما القرآن الكريم فقد ذكر أن اسم أبيه هو ( آزر ) وهذا هو الصحيح الذي يعول عليه . وأما ما ذكره المؤرخون بناءً على ما في التوراة ، فإنّ من المقطوع به عند المسلمين أن التوراة والانجيل قد دخل لئليهما تحريف كبير فلم يعد مجال ثوثوق بما فيهما من النصوص ، ومن العجب أن بعض المفسرين ساروا في ركاب المؤرخين فادعوا أن اسم أب إبراهيم هو تارح وزعموا أن آزر هو عمه ، ولعل الذي دفعهم إلى هذا تنزيه ساحة إبراهيم عليه السلام أن يكون - وهو أب الأنبياء - من ولد مشرك واستعظموا الأمر ، مع أن الأمر ليس فيه ما يخل بمقام إبراهيم أو ينقص من قدره ، فإنّ الهداية بيد الله ، يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو أعلم باليهتدين ، فزوجة ( فرعون ) مؤمنة ، وولد ( نوح ) كافر ، ولم ينقص ذلك من قدر أحدٍ من الأنبياء شيئاً .

وقد أخبرنا المعصوم عليه السلام أن ولد إبراهيم هو ( آزر ) وذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : ( يتلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قبرة وعبرة ) (أي سواد وغبار) فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول له أبوه : فالיום لا أعصيك .. فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني ألا تسخرني يوم يعثون ، وأي خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقول إبراهيم : انظر ما تحت رجلك ، فينظر فإذا هو بدبح منقطع ، فيؤخذ بفوائمه فيلقى في النار .. فهذا الحديث نصّ على أن نسبه آزر وهو الحق الذي لا يعبد عنه .

قال ( ابن كثير ) رحمه الله ما نصه :

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة؟﴾ الآية. وهذا يدل على

(١) انظر صحيح البخاري .

أن اسم أبي إبراهيم ( آزر ) وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه ( نارح ) وأهل الكتاب يقولون ( نارخ ) بالخاء المعجمة فقبيل إنه لُغَبِي بضم كان يعده اسمه آزر ، وقال ( ابن جرير ) : والصواب أن اسمه آزر كما ذكر القرآن ، ولعل له اسمان علمان أو أحدهما لُغَبِي . والآخر علم ، وهذا الذي قاله محتمل والله أعلم<sup>١١١</sup> .

### كنية إبراهيم عليه السلام :

كنية إبراهيم عليه السلام : روى ( ابن عساکر ) عن عكرمة أنه قال : كان إبراهيم عليه السلام يكنى ( أبا الضيفان ) أقول : ولعل هذه التكنية إنما جاءت من كثرة ضيوفه فقد كان إبراهيم عليه السلام كريماً مضيافاً ، لا يتزل به أحد إلا أحسن ضيافته وأكرم نزله ، وكان سخياً النفس بذبح لضيوفه الشاء والنعم ، وقد ذكر ابن جرير عن السدي أنه قال : ( كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ويضيفهم .. ) الخ . وقد ذكر القرآن الكريم قصته مع ضيوفه ( الملائكة ) حين جاءوا لإهلاك قوم ( لوط ) فمروا على إبراهيم في طريقهم فيبشروه بغلام ، فلما رأهم ظنهم من البشر فأسرع إلى أهله فذبح لهم عجلًا ثم شواه وقدمه لهم فلم يأكلوا . فوقع في نفسه الريبة منهم ، وأخذ ينظر إليهم بغرابة وحذر . حتى أخبروه أنهم من الملائكة . قال تعالى ﴿ هَلْ أُنَالِكُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَأَرَادَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَأَجَاءَ يُعَجِّلُ سَمِينًا . فَنَرَاهُ لِيهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُمُونَ فَوَجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا : لَا تَخَفْ وَيَسْرُوهُ غُلَامٌ عَلَيْهِمْ سَكِينٌ فَبَدَأَ بِهَذَا الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ صُورَةَ نَاطِقَةٍ عَنِ كَرَمِ ( إبراهيم ) الخليل حين كان يذبح لضيوفه الإبل والبقر مع أنه لا يعرفهم ولكنها أخلاق العظماء وصفات الكرماء ، ولقد اقتبس العرب هذه الخصلة الحميدة من ( إسماعيل ) بن إبراهيم النبي عرف بابنود والكرم : ( ومن يشابهه أبه فما ظلم ) .

(١) انظر البداية والنهاية الجزء الأول ص ١٤٢ .

## ولادة إبراهيم عليه السلام :

يذكر بعض المؤرخين أن إبراهيم عليه السلام ولد بغوطة دمشق في قرية يقال لها (برزة) في جبل (فاسبون) والصحيح المشهور عند أهل السير والنوابع أنه ولد (ببابل) وهي أرض الكلدانيين في العراق . قال (ابن كثير) بعد أن ذكر الرواية الأولى : والصحيح أنه ولد بـ (بابل) وإنما نسب إليه هذا المقام (بغوي) ولادته بغوطة دمشق) لأنه صلى فيه إذ جاء مبعثاً لابن أخيه (لوط) عليه السلام<sup>١١</sup> ...

ولد إبراهيم عليه السلام بعد أن بلغ والده من العمر ٧٥ سنة ، وكان هو الولد الأكبر لآزر ، وقد جاء من بعده أخواه (ناحور) و (هاران) وولد (خازان) (لوط) عليه السلام فهو ابن أخ إبراهيم ، وأهل الكتاب يقولون إن إبراهيم هو الولد الأوسط ، وإن (هاران) مات في حينة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين بعنون أرض بابل ، والصحيح الأول .

وقد تزوج إبراهيم عليه السلام حين شب وكبر بامرأة تدعى (سارة) وكانت سارة عاقراً لا تنب ، وهاجر إبراهيم عليه السلام مع والده وزوجته فخرجوا من أرض الكلدانيين (أرض العراق) إلى أرض الكنعانيين وهي (بلاد المقدس) فقاموا (بحرّان) وهي بلدة قريبة من الشام ، وكان أهلها يعبدون الكواكب السبعة وكان أهل الشام وأهل الجزيرة - كما يروي ابن كثير - على هذه العقيدة الضائعة يستغيثون القطب الشمالي ، ويعبدون الكواكب السبعة ، ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة (هيكل) فكوكب فيها ، وكانوا يعملون لها أعباداً وقرابين ، وهكذا كان أهل (حرّان) يعبدون الكواكب والأصنام ، وكل من كان على وجه الأوض - في ذلك الزمان - كانوا كفاراً سوى إبراهيم عليه السلام وامراته (سارة) وابن أخيه (لوط) عليهم السلام ،

(١) انظر البنية والنهاية لابن كثير .



وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور، وأبطل ذلك الضلال : حيث بعثه الله بالحجة الدامغة والبرهان القاطع ، وآتاه رشده منذ الصغر ، فكان قويّ العزيمة ، ثاقب النظر ، يجادل قومه وينظرهم فيقيم عليهم الحججة ويدمغهم بالبرهان الذي أبداه الله تعالى به فلا يستطيعون له رداً .

### دعوة ابراهيم لأبيه آزر :

قص " علينا القرآن الكريم دعوة ( ابراهيم ) عليه السلام لأبيه ، فقد كان أبوه مشركاً عن بعد الأصنام ، وأحق الناس بإخلاص النصيحة له إنما هو أبوه ، ولهذا لم يأت الخليل جهداً في تذكير أبيه ونصحه ، وتحذيره من عذاب الله ، وقد كان ابراهيم في دعوته لأبيه مثالاً غولداً البار الذي لا يريد إلا الخير بأقرب الناس إليه ، فلم يفس عليه في الكلام ، ولم يعتقه أو يزعجه ، بل إنه خاطبه بكل أدب ووقار وجادله بأنصف عبارة وأحسن إشارة ، فبين له في محاورته ومجادلته بطلان ما هو عليه من عبادة أوثان وأصنام ، لا نضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، ولا تفني عن صاحبها شيئاً ، وذكره بأن هذه الأصنام إذا لم تستطع أن تدفع الضير عن نفسها ولا أن تجلب الخير والنفع إليها فكيف تستطيع أن تدفعه عن غيرها ، أو كيف تستطيع أن تحقق لعابدها ما يرجوه منها مع أنها تفقد القدرة والقوة على عمل شيء من الأشياء ؟ وهكذا مضى ابراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه بالحكمة والمنعظة الحسنة في أدب ووقار ، ولكن أباه لم يستجب لهذا النصيح ، ولم يعتبر بمنطق الحججة والبرهان بل أصر على الضلال والعتاد ، وهدّد ولده بالقتل والضرب فيما إذا عاد إلى ذكر آلهته المزعومة بالسوء أو الشرّ إفرأ قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ واذكروا في الكتاب ابراهيمَ إنه كان صديقاً نبياً . ذُقال لأبيه : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغتني عنك شيئاً ؟ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتني فأتبعني أهدتك صراطاً سويّاً . يا أبت لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن عصباً . يا أبت إني أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً .

فإنَّ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَمِّيِّ يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجِمَنَّكَ وَاهْجُرَنِي مَلِيًّا . قَالَ  
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ، إِنَّهُ كَانَ فِي حَقِّي كَذِبًا .

وقد استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه ، كما وعده فطلب له من ربه المغفرة  
والرضوان ، ﴿ وَاسْتَغْفِرُ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ وكان هذا الاستغفار طمعاً  
من إبراهيم في إيمان أبيه ، ولكنه حين ظهر أنه إصرار أبيه على الشرك الوثنية ،  
وعداوته المتأصلة لدين الله ، عند ذلك تبرأ إبراهيم من أبيه وقطع صلته به ،  
﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا إِيَّاهُ : فَلَمَّا تَبَيَّنَ  
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ .

وفي هذا درس يُلَبِّحُ لأهل العقيدة والإيمان ، ليفتنلوا بالرسول الكرام ، ويسبروا  
على نهجهم الكامل وسيرتهم العطرة : فإبراهيم يتبرأ من أبيه ونوح يتبرأ من  
أبيه ، وهذا هو كمال الإيمان ، فليس هناك صلة أقدر أو أعظم من أشعة الدين  
لأن رابطة الدين فوق رابطة النسب ، وهذه هي المثل الكاملة في دعوة أنبياء  
الله ، استمع إلى قوله تعالى ﴿ تَدَّ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ  
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا  
بِكُمْ وَبَلَدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ .  
أفليس في هذا برهاناً واضحاً على صدق إيمان الخليل عليه السلام ؟ لو ليس  
في تبرئه من أبيه وعجازه بالعداء ، ما ثبت انقطاع الصلة بين الرائد وولده حينما  
تعدم روابط الإيمان ؟؟ ولكن لا عجب فإنه إبراهيم الخليل أبو الأنبياء الذي  
ضرب أروع الأمثلة في صدق العقيدة وصدق الإيمان ولذلك استحق أن يكون  
خليل الرحمن .

### نشأته بين قومه :

نشأ ( إبراهيم ) عليه السلام وسط بيئة فاسدة يحكمها منك طاغية ، مستبد  
برأيه اسمه ( النمرود بن كنان ) قبض على زمام الملك في ( بابل ) وكان أهلها  
يتعمون برغد العيش ، وظلال الأمن ، غير أنهم كانوا يتخيطون في ظلام داس

من الشرك والوثنية ، ينحتون الأصنام بأيديهم ثم يجعلونها أرباباً من دون الله .  
ولما رأى ( النمرود ) نفسه حاكماً مطلقاً ، تحيط به قوة الملك والسلطان ،  
والقوم حولته يتخبطون في الجهالات ، أقام نفسه ( إلهاً ) ودعا الناس إلى عبادته ،  
لأن عبادتهم للأصنام وجهلهم بصفات الإله سوّعت له هذه الدعوى الباطلة .  
فالأصنام لا تسمع ولا تبصر ، ولا تملك لهم فعلاً ولا ضرباً ، وهوينطق ، ويفكر  
وبدرك ويحس ويشعر ، ويفيض عليهم الخير ، ويدفع عنهم الشر ، فلم لا  
يكون إلهاً ؟ فهو أحق بالعبادة من هذه الأحجار التي عبثوها واتخذوها آلهة  
من دون الله .

نشأ إبراهيم عليه السلام في هذا المحيط ، وآناه الله الرشد ، وهداه إلى  
الحق ، فعرف بصائب رأيه وثائب فكره ، أن الله تعالى واحد أحد ، لم يلد  
ولم يولد ، وأنه مهيمن على الكون ، مسيطر على العالم ، وأدرك أن هذه الأصنام  
التي يعبدونها ، والتماثيل التي ينحتونها لا تعني عنهم من الله شيئاً ، لذلك عزم  
على تخليص قومه من هذا الشرك وإنقاذهم من تلك الجاهلية العمياء .

كان إبراهيم مفعم القلب بالإيمان بربه ، متملئاً بالثقة واليقين بوعد الله بالتصبر  
له ، موقناً بما أوحى الله تعالى إليه من أمر الغيب ، وأمر الإيمان ، ولكنه أراد  
أن يزداد بصيرة وثقة وبقيناً بقدرة الله عز وجل ، فطلب من ربه أن يريه الآية  
البيّنة على البعث ، وأن يطلعه على النشور ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى  
بعد موتهم ، ويبعثهم بعد فناء أجسامهم ، فخاطبه ربه بقوله ﴿ أَوَلَمْ نُوَلِّمْ ؟ ﴾  
قال : بلى ولكن ليططمئن قلبي ﴿ .

لقد آمن إبراهيم وصدق ، ولكن نالت نفسه للبيان ، وامتدت عينه للمشاهدة  
ليرى عجائب قدرة الله ، ويبصر دقائق خلقه وتصويره ، ويططمئن قلبه ويزداد  
يقينه ، فأجاب الله سؤاله ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير ويضمها إليه ،  
ليعرف أجزاءها ، ويتأمل خلقها ، ثم يذبحها فيجعلها أجزاء : ويفرقها أشلاء ،  
ويجعل على كل جبل منها جزءاً ، ثم يندفعها من الأجزاء ، ثم يدعوهم  
إليه فيأتيه سعيّاً ياذن الله .. فلما فعل صار كل جزء يضم إلى مثله ، وعادت

الأشلاء كل في مكانه ، وسرعان ما سررت فيها بالحياة ، وسعت إليه بقدرته  
الله وهو يرى آياته البينة في الخلق والإبداع ، سبحانه إذا أراد أمراً فإنا يقول  
نه كمن فيكون ، اقرأ قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْحَنِي كَيْفَ نَجِيءُ الْمَلُوكَ إِذْ أُنزِلَ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ ذَرِينٍ كَذَّبْتُمْ بِهِ فَبَدَّلَ اللَّهُ قَلْبِي : قَالَ : وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي : قَالَ : فَمَخَذَ أُورِشَلِيمَ مِنْ أَنْضَجٍ فَفَسَّرَهُنَّ  
إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ، ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُنَيَّ سَعِيًّا ،  
وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .﴾

### مناظرة إبراهيم لقومه:

كان إبراهيم عليه السلام دائماً في الدعوة إلى الله ، لا يفتأ يذكر قومه وعشيرته  
بالرجوع إلى الله ، دعا أباه إلى الإيمان فأبى عليه ، ثم دعا قومه فتنكروا لدعوته  
وسخروا من رسالته ، ولكنه كان رحيماً رقيقاً ، وبراً نقياً ، فلم يشأ أن يتركهم  
في ضلالهم بعمهون ، بل عزم أن يحو منهم تلك العقائد الباطلة ، ويردهم إلى  
رشدهم ونور الله منهم أذى كبير ، أو تمرضت حياته لمخطر .

لقد كان إبراهيم ذكياً صائب الرأي ، وقد علم أن (الحجة) و (البرهان)  
اللفظي وإن وضحا وضوح الصبح لا يثبتان نباتاً حسناً في هذه الأرض الجرز ،  
مالم يقارنهما الحس والبصر ، لذلك فقد أراد أن يشارك أبصار القوم مع بصائرهم  
وأن يقرن حواسهم مع أفئدتهم ، لعلهم يرجعون عن غيبتهم ، ويدركون  
بأنفسهم تقاهة ما هم عليه من عبادة حجارة لا تنفع ولا تسمع ، ولا تنفي عن  
صاحبها شيئاً .

كان لقومه يوم عيد كبير ، يخرجون فيه خارج المدينة ، يقضون الأيام  
في التسلية والترؤيع عن النفس ، فلما خرجوا لعيدهم طلبوا إليه أن يرافقهم ،  
فأبى أن يصحبهم ، وعزم على أن يهدم صرح آلهتهم ، فنظاها بالسقم ولم  
يكن به علة ، ولكنه كان سقيم النفس من عبادتهم - ولما خلا له أخو مسح  
أصنامهم ، صار يلطمها بيده ، ويركلها برجله ، ثم تناول فأساً وهوى عليها

بكتسرها ، حتى جعلها (جنداً) قطعاً صغيرة محطمة ، متناثرة هنا وهناك ، وترك صنماً كبيراً لم يكسره ليقيم الحجج به عليهم : فعلق في عنقه الفأس الذي كان قد حطّم به تلك الأصنام .

رجع قومه من عيدهم وسرعان ما هرعوا نحو المعبد - كما دأبوا - ليقدموا فروض الولاء والطاعة لأصنامهم ، ولكنهم ذُهِلوا وبهتوا من هون ما رأوا . . . لقد رأوا ألهتهم ركناً وهشياً ، متناثرة في أطراف المعبد ، يعلوها النذل والصغار فتادوا بصوت واحد : اهترت له جنيات الأرض **﴿من فعل﴾** هذا بألفتنا إنه لمن الظالمين **﴿﴾** .

وسكت الجميع هنيهة وهم في غمرة الذهول والحشرع : أمام هذه الآلة المحطّمة ، ثم انطلق صوت من بين أظهرهم يذكّرهم بتوعد إبراهيم لأصنامهم **﴿قالوا سمعنا قبي يذكّرهم﴾** يقال **﴿قبي﴾** إبراهيم **﴿﴾** فلا بد أن يكون هو إداً المحطّم للأصنام . اعترزوا على أن يوقعوا به أشدّ العذاب ، وأن يجمعوه عبرة لمن يعتبر ، جزاء ما صنعت يدها ، فتادوا بأن يأتيوا به على أعين الناس : ليشهدوا عليه بمقالته ، ويروا ما يحل به من شديد العقاب .

ولاشك أن اجتماع القوم في صعيد واحد ، كانت (أمنية) لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، ليقيم لهم الحجج جميعاً على بطلان ما يعتقدون ، ويريهم البرهان على فساد ما هم عليه عاكفون . فقاطرت الوفود ، وتكاثرت الجموع ، كلّ يرغب في القصاص منه ، ويود رؤية عذابه وعذابه إرضاءً لنفوسهم المتعطشة إلى الثأر منه ، ثمّ جاؤوا به وسط هذا الجمع الزاخر واجتألوا محاكمته على رؤوس الأشهاد .

### المحاكمة :

تقدّم إبراهيم للمحاكمة ، وهنا شخصت الأبصار لسماع الجواب والفتاوى وعرضت عليه تلك الأسئلة : **﴿أأنت فعلت هذا بألفتنا يا إبراهيم﴾** ؟  
لقد كان إبراهيم حكيماً داهية ، سار بهم في إخدال إلى ناحية أخرى ،

ليبلغ مقصده ويبلغ رسالته ، مهما كانت النتائج .. وجرهم بطريق الحكمة إلى جواب لم يفصوه ، ليلزمهم الحجة لعلمهم يرجعون إلى صوابهم فقال : ﴿بَلْ قَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْشِقُونَ﴾ .

صغهم بهذه الحجة الدامنة ، التي نبهتهم من غفلتهم ، وأيقظتهم من غفوتهم ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقالوا ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ لقد تركتموها لا حافظ لها ولا رقيب عندها فحطمتها من لا يؤمن بها .. ثم أدركتهم الحيرة وعقدت ألسنتهم فأطرقوا مفكرين ، ثم توجهوا بالكلام مع إبراهيم :

﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَـؤُلَاءِ يَنْشِقُونَ !﴾ لقد عرفت يا إبراهيم أن هذه الأصنام لا ترد سؤالا ، ولا تسمع كلاما ، فكيف تأمرنا بسؤالها وهي حجارة صماء جامدة . فلما أقرؤا بحجز الآلهة ، وقصورها عن معرفة ما يجري حولها ، وجرودها من الفكرة على دفع العلوان ، وصدت كبد المعتدين .. حينئذ ظهرت حجة إبراهيم واضحة ، ورأى الفرصة سانحة لإلزامهم بالمنطق السوي السليم ، فأخذ بيكتهم على جهلهم ، ويوبخهم على ثباتهم على باطلهم بعد وضوح الحق وسطوعه كالشمس في رابعة النهار :

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟ أُولَئِكَ كَفَرُوا جَاءُواكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَقْبَلُوا نِعْمَ الْكُفْرُ﴾ .

فلما غلبوا على أمرهم ، وعافوا اقتضاح حالمهم ، ولم تبق لهم حجة أو شبهة يكابرون بها ، عمدوا إلى القوة يسرون بها هزيمتهم ، ويخفون باطلهم فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ .

إبراهيم يلقى في النار :

أرادوا أن يحرقوه عقاباً له ، ولكن كيف يحرقونه ؟ لا بد أن يصلوه ناراً حامية تعادل لظى الحقد المتأجج في صدورهم من جراء انتهاك حرمة آلهتهم المزعومة ، وتحطيمها دون مبالاة .

شرعوا يجمعون الحطب من هنا وهناك ، وجعلوا ذلك قرباناً لأهلهم ، وبرا بمعبوداتهم حتى إن المرأة كانت إذا مرضت نذرت إن عوفيت أن تجمعن حطباً خرف إبراهيم . مكثوا مدة يجمعون الحطب حتى تراكت أعوده ، وضائق المكان بما جمعوا ، فأشعلوا النار فيها فاضطربت وتأججت ، وعلا فيها واطلع ضوءها ثم قبدوه ورموا به فيها ، ولكنه كان في رعاية الله وكلاءه ، فلم تحرق منه النار إلا الوثاق ، وجاءه النداء الرباني ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

وهكذا ظهرت آية الله الكبرى في حفظ عبده ورسوله ( إبراهيم ) الخليل عليه صلوات الله وردة الله كيدهم في محورهم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين .

اقرأ هذه الآية الكريمة في سورة الأنبياء :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَانِيْلُ الَّتِي آنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَا هَآ عَابِدِينَ . قَالَ : لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قَالُوا : أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ آنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ؟ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ . فَجِئْتَهُمْ جَدًّا ذَا إِلا كَبِيرٍ أَهْمٌ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا : مِن فَعَل هَذَا بَالِهْنَا إِنَّهُ لَمِنَ الْفَآئِلِينَ . قَالُوا : سَمِعْنَا فِي يَدِّ كُرْهُمُ بِقَالِ لَهُ إِبْرَاهِيمَ . قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَنَّتْ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ قَالَ : بَلْ قَعْتَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَسْطِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَعْنَةً مَّا هُوَ لَاءُ بِسَطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ آتَىٰ لَكُمْ وَلَمْ تَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ .

## زواج ابراهيم عليه السلام :

لما شبَّ ابراهيم وكبر تزوج بامرأة تسمى (سارة) وكانت سارة امرأة عقيماً لا تلد ، ولذلك تزوج معها (هاجر) أم اسماعيل عليه السلام ثم رزقه الله على الكبر ولدأ من (سارة) يسمى (اسحق) وذلك بعد أن بشرتها الملائكة به فصكَّت وجهها وقالت ﴿ يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾<sup>(١)</sup> فأجابتها الملائكة ﴿ اُنْمِجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؟ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ : إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ .

وهكذا رزق الله ابراهيم الخليل ولدأ من سارة على الكبر فكان ذلك آية على قنوة الله تبارك وتعالى واستجابة لدعوة الخليل عليه السلام ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعين واسحق إنَّ ربي لتسمعُ الدُّعاء ﴾ . وقد هاجر ابراهيم مع والده وزوجته فخرجوا من أرض (الكلدانين) إلى أرض (الكنعانيين) وهي بلاد بيت المقدس ، فأقاموا قريباً منها في منطقة تسمى (حرَّان) وفيها توفي والد ابراهيم وعمره حين الوفاة ٢٥٠ عاماً . وكان أهل (حرَّان) يعبدون الكواكب السبعة فكانوا من انصافته وقد انشجرت بينهم الوثنية وعبادة الأفلاك . قال (ابن كثير) في تاريخه :

والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من القمار والمقال ، ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكلاً لكوكب منها ، ويعملون لها أعياداً وقرابين وهكذا كان كل أهل حرَّان يعبدون الكواكب والأصنام ، وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً سوى ابراهيم الخليل وامرأته ، وابن أخيه لوط عليهم السلام ، وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال ، فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره ، ، وابنته رسولا ، وانخذه خليلاً في كبره قال تعالى ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشداً من قبل وكنتَ به عاقباً ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) نهاية وتنهاية لابن كثير .



## مناظرة ابراهيم الخليل للنمرود :

عاش ابراهيم الخليل في زمن عصيب ، كان الناس فيه على حياة الشرك وقمة الضلال ، وقد ظهر في زمانه ذلك الملك الجبار المنمرد ، الذي ادعى لنفسه الربوبية ، ونازع الله في عظمته وسلطانه ، فادعى أنه الإله من دون الله ، وهذا الجبار يسمى ( النمرود بن كنعان ) وكان أحد ملوك الدنيا الأربعة . فإنه قد ملك الدنيا - فيما ذكروا - أربعة : مؤمنان ، وكافران .. أما المؤمنان فهما ( ذو القرنين ) الذي ذكره القرآن في سورة الكهف ، و ( سليمان بن داود ) عليهما السلام . وأما الكافرين فهما ( النمرود ) و ( بختنصر ) وأما غيرهم فلم يملك الدنيا وإنما ملك بلداً أو بلاداً منها مثل ( فرعون ) فقد كان يملك أرض مصر ..

وقد ذكر المؤرخون أن ( النمرود ) هذا قد استمر في ملكه ٤٠٠ سنة وكان قد طغى وبنى ، وتكبر وتجبّر ، وادعى لنفسه الربوبية فناظره الخليل عليه السلام ، فسفه عقده وأبطل حججه وأنقصه الحجج . وكانت أول مناظرة معه أنه حينما دخل عليه الخليل سأله ( النمرود ) : من ربك يا إبراهيم ؟ وهل لك رب غيري ؟ فاجابه الخليل بكلام المعقل والإجماع قال : ﴿ ربّي الذي يُحيي ويميت ﴾ أي إنه الإله العظيم القادر . الذي يحيي الإنسان من العدم ثم يميت ثم يعنه فهو على كل شيء قدير ، فالإحياء والإماتة مظهر من مظاهر قدرة الله ، ولكنّ النمرود السفیه الأحمق صححك منه ساخراً وعارضه بقوله : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ أي أنني أستطيع أن أفعل ما يفعله إلهك ، فإن له وكيف ؟ قال انتظر فدعى حاجبه فقال له اذهب فائتني برجلين من السجن قد استوجبا القتل ( أي حكم عليهما بالإعدام ) فذهب الحاجب فأتى له برجلين فوقفا بين يديه فأمر بالجلاد أن يضرب عنق أحدهما فضربه فمات ، فقال النمرود هذا أمت وأمر بإطلاق سراح الثاني فأطلق فقال : وهذا أحييته .. وهكذا بمنتهى السخف والخمافة أراد أن يظهر قدرته على ( الإحياء والإماتة ) التان هما من خصائص قدرة الله ومن صفاته الأزلية ، بهذه الطريقة السخيفة الهزلية ، أعدم انساناً فأداته ، وعنى

عن آخر فأحياء ، وذلك هو منتهى الجهل والغباء .. فلما رأى الخليل عليه السلام حقارته وقلة عقله ، وغباء تفكيره انتقل معه إلى أمر لا يمكنه اللجاج فيه والجدل لأنه أمر قاطع ، بقصم ظهر المكابر ، وبلجم كل معاند فكان له الخليل ﴿ إن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأتت بها من المغرب ﴾ وهنا الحجمة الدامغة التي لا تنفع معها المجادلة والمكابرة ، لأنها أمر بين : إن كنت حقاً إلهاً تستطيع أن تفعل كل شيء ، فغير نظام الكون ، وغير نظام الحياة ، أطلع الشمس من المغرب وهنا انقطع الجدل وبهت الذي كفر .. قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال : أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتت بها من المغرب : فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وهكذا جلجل صوت الحق وخفت صوت الباطل ( فالحق أبلج والباطل جالج ) .

وقد ذكر ( السدي ) أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم والنمرود يوم خروجه من النار ولم يكن اجتمع به يومئذ ، فكانت بينهما هذه المناظرة .

### رحلة إبراهيم إلى مصر :

عمّ القحط وشمل الخدب بلاد الشام وفلسطين كلها ، فرحل إبراهيم عليه السلام إلى مصر ، تصحبه زوجته ( سارة ) وكانت سارة ذات جمال باهر ، فوشى بها أحد بطفانة نسوة بني الملك وكان رجلاً جباراً ، وهو أحد ملوك العرب الثعالبق واسمه ( ستان بن علوان ) وكان من عادة هذا الطاغية الجبار أنه لا يسمع برجل عنده امرأة جميلة إلا وأخذها منه اغتصاباً ، فلما نزل إبراهيم أرض مصر أراد هذا الفاجر أن يعتدي على ( سارة ) زوج إبراهيم ويستأثر بها لنفسه ، فدعاه وسأله عما يرتبطها به من قرابة ، فقال له إبراهيم هي ( أخي ) وقصد بذلك أخوة الدين ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ فأمر به فأخرج ، فأتى ( سارة ) فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإني سألك فأخبريه أنك أخي - فإنك أخي في الإسلام - ليس على وجه الأرض مؤمن غيري

وعريك : فأرسل إليها الملك الجبار فأتي بها فلما دخلت عليه فتن بجهافا فسأها عن إبراهيم فأخبرته أنها أخته ، ولكن الفاجر أورد بها السوء فمدّ يده إليها يريد أن يجذبها نحوه فبست يده فلم يعد يستطيع حراكها ، واضطرب حتى كاد يصق من شدة الهول والنزع ، فقال لها : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق ، فلما عاد إلى حالته الأولى حدثه نفسه الغر بها مرة ثانية ، فأخذ مثل الأولى أو أشد ، فطلب منها أن تدعو الله له على أن يطلق سراحها ولا يبسها بسوء ، فدعت الله فعاد كما كان ، فدعا بعض حججه فقال : ذلك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان ، فأمر بها أن تطلق ، وأخدمها جارية من جواربه تسعى ( هاجر ) وكان إبراهيم من وقت ذهابها إلى الملك قام يصلي لله عز وجل ويسأله أن يدفع عن أهله السوء ، فلما قبلت أوماً إليها إبراهيم بيده بألفاظت : ردّ الله كيد الكافر في نحره وأخدمني هاجر<sup>(١)</sup> : قال أبو هريرة فنزلت أمكم يا بني ماء السماء ، فغصصها الله وحصانها أكراماً لحنبله عليه السلام .

#### ولادة إسماعيل عليه السلام :

هاجر سيدتنا إبراهيم من مصر إلى فلسطين ومعه زوجته ( سارة ) وأمنها ( هاجر ) وكانت سارة عقيماً لا تلد ، وكان يحزنها أن ترى زوجها وحيداً ليس له ولد ، وقد أصبحت هي على حال لا يرجي أن تأتي بعده بوليد ، لأنها قد تجاوزت سنّ السبعين ، وبلغت من الكبر عبثاً ، فأشارت على زوجها أن يدخل بأمنها بعد أن وهبتها له ، لعلّ الله يرزقه منها غلاماً زكياً تشرق به حياتهما ويكون عوناً لأبيه على تحمل مشاق الحياة ، فاستجاب إبراهيم لرأيها وخضع لإشارتها فلما تزوج ( هاجر ) أنجبت له غلاماً زكياً هو سيدتنا ( إسماعيل ) عليه السلام الذي كان من نسله خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهناك انتمشت نفس إبراهيم بعد أن رزقه الله هذا الغلام على كبر من السن حيث كان قد بلغ من العمر ٨٦ سنة .. ولعلّ ( سارة ) فدمشركت

(١) قصة رواها البخاري ومسلم وهي في كتب تصحيح

إبراهيم في سروره ، ولكن الغيرة لم تلبث أن دبت إلى قلبها ، بل عصفت بها أعاصير كثيرة من الحزن والألم ، فحرمت الهدوء والهجوع ، وأصبحت لا تطبق النظر إلى الخلام ولا تحمل روية هاجر ، فلم نجد دواءً لقلبها العليل إلا أن تطلب من إبراهيم أن يقصها هي وولدها عن دارها ، وأن يبعدها عن عينها - وذلك لحكمة يريدنا الله - وكان الله قد أوحى إليه أن يطع أمرها ، ويستجيب إلى رجائها .. فأخذهما إبراهيم وسار بهما يقطع الصحاري والقفار ، حتى بلغ جبال مكة الجرداء ، فوضعهما في ذلك المكان القفر ، الذي ليس به ساكن ولا سمير ، ولم يكن بمكة في ذلك الوقت أحد ، ولم يكن بها دار أو بنيان ، تركهما في ذلك المكان القفر عند دوحه قرب زمزم ، وترك لهما جراباً (أي كيساً) فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء ، ثم أراد العودة إلى بلاد فلسطين ، فحققته أم اسماعيل وهي تقول : يا إبراهيم أين تركنا في هذا المكان الذي ليس فيه سمير ولا أنيس ؟ فجعل لا يلفظ إليها مخافة أن تصده عن تنفيذ أمر الله ، وجعلت تكرر القول وهو لا يابض فقالت له عند ذلك : « الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذا لن يضيئنا الله » .

الله أكبر .. إنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب ، وبأني بالتراتب التي تكاد لا تصدق ، فكيف تطمن نفس إبراهيم إلى أن يترك وليده الرضيع مع أمه في مكان موحش قفر ، ليس به ساكن ولا سمير ولا أنيس !!

وكيف رضيت (هاجر) أن تبقى وحيدة فريسة في بقعة جرداء ، ليس فيها طعام ولا ماء ، وتعرض للجوع القاتل ، والعطش المميت ، والذئب الوحشة الفسارية !! إنه الإيمان الذي عمر قلب إبراهيم وزوجه هاجر ، حتى ضحياً براحتهما في سبيل تنفيذ أمر الله . ولما ابتعد إبراهيم عن زوجته وولده قليلاً لفتت جهة البيت ووقف يدعو بهذه الدعوات : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

## بيع زمزم وبناء البيت العتيق :

بقيت هاجر ترضع ولدها اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى نفذ ما في السقاء ، فعطشت وعطش ابنها وجعل ولدها يبكي بثلوى من شدة العطش فانطقت نكتش له عن ماء فوجدت (الصفاء) : قرب جبل بليها فصعدت عليه ثم استقبلت الوادي نظرت هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي ، وسعت سمي المجهود حتى وصلت إلى جبل (المروة) فصعدت عليه ونظرت فلم تجد أحداً : فأخذت تذهب وتجيء بين (الصفاء والمروة) سبع مرات ، وبينما هي عن المروة سمعت صوتاً فقالت : أئتنا إن كان عندك غوث ، فرأت ملكاً - وهو جبريل - يضرب بعقبه - وقيل بجناحه - الأرض حتى ظهر الماء فبعت زمزم ، فجعلت أم اسماعيل تحوِّط الماء وتعرف منه سقائها وهو يفور بعدما تعرف ، ثم قال لها ذلك الملك : لا تخافي الصبيعة (الصبياع) فإن لله ههنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة من الأرض - بينها هذا الغلام وأبوه .. ثم غاب الملك عنها ، وبدأت الطير ترد إلى الماء وتحوم حوله ومرت قبيلة (جرهم) فرأوا الطير فاستدلوا على وجود الماء فوصلوا إلى (زمزم) واستأذنوا من أم اسماعيل أن يقرّبوا خيامهم قريباً منها فأذنت لهم واستأنست بوجودهم ، ثم نكثرت البيوت ، وشب اسماعيل وتزوج من القبيلة وتعلم العربية منهم وأصبحت مكة مأهولة بالسكان منذ ذلك الحين بعد أن كانت قفراً موحشاً . وتوفيت (هاجر) وإبراهيم عليه السلام لا يزال بعداً عنها في أرض فلسطين ، ثم بعد مرور ستين عديداً حين قلب إبراهيم إلى روية زوجته وولده فأخذ يقطع الصحارى والتفارى حتى وصل إلى مكة فلم يجد زوجته ، ووجد ولده يبكي نبالاً ، فلما رآه عرفه إبراهيم فعانقه وصنح به كما يصنع الوالد بولده ثم قال يا اسماعيل : إن الله أمرني بأمر قال فأصنع ما أمرك به ربك .. قال : وتسيني ، قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً وأشار إلى التل المرتفع قرب زمزم ، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت : فجعل (اسماعيل) يأتي بالحجارة و (إبراهيم) يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (المقام)

فوضعه له فقام عليه وهو بيني واسماعيل بناوله وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ حتى انتهى من بناء الكعبة المشرفة<sup>(١)</sup> ومنذ ذلك الحين عصرت مكة المكرمة .

### قصّة الذبيح إسماعيل .

رأى إبراهيم عليه السلام في منامه رؤيا - ورويا الأنبياء حتى<sup>(٢)</sup> - رأى أن الله تعالى بأمره بذبح ولده البكر ( إسماعيل ) عليه السلام الذي لم يكن له ولد غيره ، وقد رزقته على كثير وشيخوخة ، فما كان من إبراهيم عنبه السلام بعد أن استيقظ من النوم إلا أن سارع لتنفيذ أمر الله ، دون تلكؤ أو تردد ، ولكنه أراد أن يختبر ولده ، ويرى مقدار استجابته وطاقته لله فقال له : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ ﴾ .

عرض عليه ذلك الأمر ليكون أطيب لقلبه ، وأهون عليه من الأخذ بالقوة فبادر لعلام الحليم : سرّ والده الخليل إلى الطاعة ، وأسرع إلى الإجابة فقال ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِذَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

يرّ عظيم ، وتوفيق من الله كبير . وإيمان يزخرع الجبال - من الوالد وولده - تظهر فيها والعبودية ، قد عنى أقلل صورها ، من الأب وابنه ، الأب يؤمر فيسارع إلى تنفيذ أمر الله ، والولد يستأثر فيلبي طائعا مستسلما لحكم الله كأن الأمر جرعة من ماء . أراد الولد أن يخفف عن أبيه لوعة التكمل ، ويرشده إلى أقرب السبل ، ليصل إلى قصده فقال : يا أبت اجعل لي وثاقا ، واحكم رباطي حتى لا اضطرب ، واشحد شفتك ، وأسرع إمرارها على حلقي ، ليكون أهون عليّ ، فإن الموت شديد ، ووقعه أليم . فقال له إبراهيم : ( نعم ) العون أنت يا بني على تنفيذ أمر الله ) ثم ضمته إلى صدره ، وأخذ يقبله وبودعه الوداع الأخير .

(١) انظر صحيح البخاري .

(٢) في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما : رؤيا الأنبياء وحى .

ثم أسلم إبراهيم ابنه فصرعه على شفته ، وأوثقه بكفاته ، ووضع السكين على حلقه ، وأمرها فوق عنقه ، ولكنها لم تقطع فقد انقلبت في بده وكأنها قطعة من الخشب ، فقال له إسماعيل : يا أبت كبتني على وجهي ، فإنك إذا نظرت إلي أدركتكم رحمة بي تحول بينك وبين أمر الله .. ففعل ثم وضع السكين على فناه فلم تمض الشفرة لأن الله تعالى قد ملأها خاصية القمع ، عند ذلك جاء النداء الإلهي ﴿وَأَنبَأْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا قَوْلَ الْبَلَاءِ الْمُبِينِ . وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

### من هو الذبيح ؟

نقدّم معنا أن الولد الذي أمر بذبحه إبراهيم هو (إسماعيل) الذي هو من نسل (هاجر) وهذا هو الرأي الصحيح المعتمد الذي عليه أكثر العلماء . ذلك لأن هذه القصة وقعت في مكة : و (إسماعيل) هو الذي كان مقبلاً بمكة ، واسحق لا يعلم أنه قدم مكة في حال صغره .. ويعتقد أهل الكتاب ان الذبيح (اسحق) لا اسماعيل وهو مردودٌ باطلٌ لمخالفته لظاهر النصوص القرآنية .

يقول ابن كثير رحمه الله : والظاهر من القرآن بل كآفة نص صريح على أن الذبيح هو (إسماعيل) لأن الله تعالى ذكر قصته الذبيح ثم قال (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) فالبشارة كانت بعد تلك الحادثة التي ظهر فيها إيمان إبراهيم وطاعته لله فأكرمه الله بولدٍ آخر وبشره بإسحق ، ومن ادعى أنه (اسحق) فقد اعتمد على روايات اسرائيلية ، وكتائبهم فيه تحريف ، فإن عندهم في التوراة أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وإسماعيل هو البكر ، وإنما حملهم على هذا حسدُ العرب ، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ وإسحق والد (يعقوب) وهو اسرائيل الذين ينتسبون إليه فأرادوا أن يجرّوا هذا الشرف إليهم فحرقوا كلام الله وزادوا فيه . وهم قوم بهتت : ولم يقرّوا بأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء .

ومن فإن من السلف بأن الذبيح هو (إسحق) فإنما أخفوه من (كعب

الأخبار) أو صحف أهل الكتاب ، وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى تترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق ، بل النص عند التأمل على أنه (إسماعيل) وما أحسن ما استدل به (القرظي) على أنه اسماعيل وليس إسحاق وذلك من قوله تعالى (فبشّرناها بإسحق ومن وراءه إسحق يعقوب) قال : فكيف تقع البشارة بإسحق وأنه سيولد له يعقوب ، ثم يؤمر بذيبح إسحق وهو صغير قيل أن يولد له ، هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة<sup>(١)</sup> .

• وبروي أن (عمر بن عبد العزيز) سأل يهودياً كان قد أسلم عن الذبيح الذي أمر إبراهيم بذبحه فقال هو (إسماعيل) ثم قال : والله يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبائكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله له فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه إسحق لأن إسحق أبوهم<sup>(٢)</sup> .

وقد اشتهر أن النبي ﷺ يدعى ابن الذبيحين والمراد بهما (إسماعيل) و(عبد الله) .

### وفاة سيدنا إبراهيم :

وقد عاش سيدنا إبراهيم ١٧٥ سنة وخمسة وسبعين سنة على أصح الروايات ولما انتقل إلى جوار الله دُفِنَ ولداه في مغارة (الذكفيلة) التي دفنت فيه سارة من قبل وهو في البلدة التي تسمى (الخليل) الآن وكانت تسمى من قبل (قرية أربع) أمّا اسماعيل فقد عاش ١٣٧ سنة ودفن بمكة قريباً من الحجر الذي يجوار بيت العتيق قرب أمه هاجر صلوات الله عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين .

(١) انظر البداية والنهاية من ١٥٨ الجزء الأول .

(٢) نفس المرجع من ١٦٠ .



### ٣ - موسى بن عمران عليه السلام

﴿وإذ كثر في اتكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً﴾ .  
ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كثير من سور القرآن الكريم  
بوجوه عديدة وأساليب متنوعة ، كما ذكرت قصة ( بني إسرائيل ) مع موسى  
موضحة ، مفصلة ، مبيّنة على أجمل بيان ، وأوضح تفصيل ، وخاصة في  
سورتَي ( الأعراف ) و ( القصص ) .

وقصة ( موسى ) عليه السلام مع ( فرعون ) ليست قصة فرد مع ملك  
وليست قصة نبي كريم مع حاكم عظيم ، إنما هي قصة تتكرر في كل زمان  
ومكان ، وتبرز في كل وقت وحين ، وهي تصور حفيضة واقعية أليمة ..  
تصور الصراع بين الحق والباطل ، وتصور المعركة الضارية بين جند الرحمن ،  
وجند الشيطان .. تلك المعركة التي قامت بين أولياء الله وأعداء الله ، منذ فجر  
هذا الوجود ، ومنذ أن ظهر على مسرح الحياة الدعوة والمصلحون ، والأنبياء  
والمرسلون .. !

لقد وقف ، الطغيان ، بجانب الكثرة الكثيرة من دعاة الباطل ، ومن جند  
﴿ إبليس ﴾ ، وتحدى الإيمان ، وتحدى التوحيد ، وتحدى الرسالات السماوية ..  
ورفض الحق ، بجانب الفئة القليلة ، من الصفوة الأخيار ، من الأنبياء والمرسلين  
والدعاة والمصلحين ، واحتلمت المعركة بين الإيمان والكفر ، وبين الحق والظلمة  
وكانت النتيجة أن انتصر الإيمان على الكفر وعلا الحق على الباطل ، بعد صراع  
عنيف ، وعمر آك شديد وكان النصر بجانب المؤمن وصديق الله حيث يقول :  
﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِقَوْمِ الْأَشْقَادِ ﴾ ..

وهذه هي سنة الله في الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلاً . لقد وقف الشر محسباً في صورة خصم عنيد : لا يلبس ، ولا يسالم .. بل يريد أن يقضي على دعوة ربانية تهدف إلى الخير ، وتدعو إلى المحبة ، والأخوة ، والإنسانية ، ونسعى لتحقيق العدل والسلام بين أهل الأرض فاطية ١ .

وقف الشر مكشراً عن أنيابه ، عابساً ، مزججراً ، يتميز غبظاً : يريد أن يبطش بتلك الصغرة الكريمة ، الظاهرة ، من أنبياء الله وأوليائه المقربين .. ويتمثل هذا بجلاء ووضوح فيما قصه علينا القرآن الكريم من إندثار وتهديد تعرض له الرسل الكرام من جانب الطغاة والمجرمين استمع إلى قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ! فَاوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَتَسْكُنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذُلًّا لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ . وَاسْتَفْضَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝﴾ .

هذا هو منطق الطغيان ، في كل وقت وزمان ، لا يفهم حجة ولا برهاناً ولا يفهم وزناً لمنطق أو عقل ، إنما طريقه البطش ، وه الإرهاب ، والتعذيب والتكبير ﴿قَالَ سَتَشْتَلُّ أبناءهم ونسجبي نساءهم ، وإنما فوقهم قاهرون﴾ . هذا هو منطق فرعون ، في زمن موسى .. وهو منطق الفراعنة ، في كل زمان ومكان . أما منطق الرسل فهو منطق العقل ، ومنطق الحكمة ، يتجلى في قول موسى عليه السلام لقومه بعد أن ذاقوا أنواع الأذى ، وصنوف البلاء : ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . ومن هنا يتبين لنا وحدة الاتجاه ، ووحدة الهدف في دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ، كما يظهر لنا اتفاق دعاة الباطل وأهل الضلال على غاية واحدة ، وهدف واحد ، فهي إذاً صور تتكرر في كل وقت وحين للصراع بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، ونتيجتها أيضاً واحدة وهي انتصار أصحاب العقيدة وأهل الإيمان ، وانهزام فئة البني والعدوان ، وتمثل هذه النتيجة في قول الله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ آئِةً وَيَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٠٠﴾  
 وهذه هي العبرة من قصة موسى مع فرعون ، بل وعن قصص جميع الأنبياء والمرسلين .

نبيه : هو ( موسى بن عمران ) بن يسهير بن قاهث : ويشتهي نبيه إلى يعقوب عليه السلام ابن اسحق بن ابراهيم عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام وأخوه هو هارون ، عليه السلام الذي بعثه الله عضداً ومعيماً لموسى حين أراد أن يبعثه إلى فرعون ، لتبليغه رسالة الله ، وكان ذلك بدعوة دعا بها موسى ﴿ وَاجْعَلْ لِي ذُرِّيّاً مِّنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي ﴾ .

ولادته : ولد موسى عليه السلام في عهد الطاغية الأكبر فرعون ، عدو الله ، الذي اشتهر بالطغيان والجبروت ، فتنازع الله في ملكه ، وادعى الربوبية ، وأعلن التمرد والعصيان وزعم أنه هو الإله المعبود من دون الله ، واسم ذلك الطاغية ( الوليد بن مصعب ) ولقبه فرعون ، وفرعون لقب اكل من الملك أرض مصر من الجبارة ، كما أن ( كسرى ) لقب لكل من ملك بلاد الفرس ، و ( قيصر ) لقب لكل من ملك بلاد الروم .

تولى ( فرعون ) الملك بعد هلاك أخيه ( قابوس ) الذي دعاه ( يوسف ) عليه السلام إلى الإسلام فأبى وكان جباراً عنيداً ، وقد قبض الله سبحانه يوسف في عهد ( قابوس ) وحان ملكه ، واشتد أمره ثم هلك ، فلما تولى الملك أخوه وهو ( فرعون ) نبى اسرائيل كان هذا الجبار أعشى عن أخيه ( قابوس ) وأكفر وأفجر ، وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة ( يوسف ) عليه السلام وهم على بقايا من دين آبائهم وهو دين ابراهيم دين الخنزية السمحة حتى تولى السلطان عليهم فرعون الذي ذاقوا من أذاه وشره ما لم يذوقوه من قبل ولا من بعد ، لأنه لم يكن أشقى ولا أظنى منه وإليك الآيات الكريمة في سورة القصص : ﴿ فَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ مِّنْ نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ

علا في الأرض وجعل أهلها شعباً ، يستضعف طائفة منهم يُدبِّحُ أبناءهم ، ويستحبي نساءهم ، إنه كان من المفسدين وتريد أن تَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض وتجعلهم أمةً وتجعلهم الوارثين وتُمكن لهم في الأرض ، وقري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿١٠﴾ . نبأ : خبر ، علا : طغى وتجبر شعباً : أجزأاً وقرقأً ، نُنن : أي تعظم عليهم الميتة والفضل : يستحبي نساءهم أي يتركنهن على قيد الحياة فلا يقتلن وذلك للخدمة والأعمال المهنية .

### مدةُ ملكك فرعون :

عمر فرعون مدة تزيد عن ٤٠٠ سنة في بني اسرائيل وهو بسومهم سوء العذاب فيسخرهم ويستخدمهم في أحسن الأعمال وأحقرها ، وقد صنعهم أصنافاً ، فصنف بينون ، وصنف بحرثون ، وصنف يتولون الأعمال القذرة ، ومن لم يكن أهلاً للعمل قلبه الجزية كما قال تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بِسَوْمِئِكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية . فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يُسْرِجَ عن بني اسرائيل بعث إليهم ( موسى ) عليه السلام لينفذهم من شر هذا الطاغية الجبار ويخلصهم من ظلمه وطفقائه ، فكانت بعثة ( موسى ) عليه السلام رحمة لبني اسرائيل وانقاذاً لهم من ظلم ذلك الجبار العنيد .

### الرويا المنامية :

ذكر ( الثعلبي ) في كتابه فصوص الأنبياء عن « السدي » أن فرعون رأى في منامه رؤيا أزعته قاهم لها واغتم .. رأى كأنه قد أُقْبِلت من بيت المقدس حتى وصلت إلى بلاد مصر ، وأحاطت بدورها وبيوتها فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل دون أذى فدعا فرعون الكهنة ، والسحرة ، والمنجمين وسألهم عن هذه الرؤيا التي رآها في منامه فأؤلوها له وقالوا : سيولد في بني اسرائيل غلام يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه ويكون ذهاب ملكك على يديه أيضاً ، ويخرجك وقومك من بلدك ، ويبدل دينك ، وقد أضلكت زمانه

الذي يولد فيه .. فأمر فرعون الطاغية أن يقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القابلات وقال لمن : لا يولد على أيديكن غلام من بني اسرائيل إلا قتلتهن ووكّل بهن وكلاء . فكانت القابلات تنقذ أمر فرعون فتقتل كل مولود ذكر من أطفال بني اسرائيل خوفاً من فرعون ويطشه ، وأما الإناث فكانن لا يقتلن بل يبقين على قيد الحياة من أجل الخدمة والتسخير . وذلك معنى قوله تعالى ﴿يَذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَجِيبُونَ نَسَاءَهُمْ﴾ . وأمر فرعون كذلك يقتل الغلمان الذين هم في وقته ، ويقتل من بعدهم ، وأخذ جنوده يذبحون (الحبالى) من نساء بني اسرائيل حتى كانت المرأة تسقط حملها ، وأسرع الموت في الشيوخ الكبار من بني اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا له : إن الموت قد وقع في مشيخة بني اسرائيل (أي الكبار منهم) وأنت تقتل صغارهم فيوشك أن يقع العمل علينا ، ولا يبقى أحد لخدمة غيرنا ، فأمر أن يقتل الغلمان سنة ، ويتركوا سنة حتى لا يهلك جميع أبناء بني اسرائيل .

#### متى وولد هارون ومتى ولد موسى ؟

بعد شدة العقاب على بني اسرائيل بقتل أبنائهم أمر فرعون - بإشارة رؤساء القبط - أن يقتل الذكور عاماً ويتركوا عاماً ، فولد (هارون في السنة التي لا يذبح فيها أحد فترك وولد (موسى) في السنة التي يذبحون فيها ، فمسا هرون فقد ولدت أمه علانية آمنة مطمئنة ، وأما موسى فقد صادفت ولادته العام الذي يذبح فيه الأطفال ، فلما قرب وقت الوضع حزفت أمه واشتد غمها فأوحى الله إليها - بواسطة الإلهام - ألا تخاف ولا تحزن لأن هذا المولود سيكون له شأن عظيم ، وسيحفظه الله تعالى من كيد فرعون ثم يجعله من المرسلين وقذف في قلبها السكينة ، وأمرها أن ترضعه حتى إذا خافت عليه تصنع له تابوتاً من خشب ثم تصعه فيه وتلقيه في البحر ، وألا تخاف عليه الهلاك لأنه في حفظ الله ورعايته وكفى بالله حافظاً ، وكفى به ناصراً .. اقرأ الآيات الكريمة في سورة القصص :

﴿وَأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقه في اليمِّ ولا تخافي ولا تحزني ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطته آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ .

حفظ الله لموسى وفريسته في بيت فرعون :

وقد ولدته أمه خفية ، وجعلت ترضعه وهي وانقذت من حفظ الله تعالى له ، فلما خشيت عليه من السفاحين من زبانية فرعون اتخذت صندوقاً وجعلت فيه قطناً ثم وضعت فيه وليدها ، وأفلت الصلوقي ، وألقته في النيل . وأمرت أخته أن تتبع أثره وقد فعلت ذلك كلفه بوحى من الله سبحانه (أي بإلهام منه وإرشاد) وهي على يقين من أن الله سبحانه سيحفظ لها هذا المولود ، ويرده إليها ، ولن يستطيع فرعون قتله حتى ولو أصبح بين يديه . فلما ألقته في النيل انطلق الماء به برفعه الموج مرة ، وبخفضه أخرى حتى وصل إلى بيت فرعون وبينما كانت اجوارى يغتسلن ويستنظفن أبصرن هذا (النايوت) فأخذته وظنن أن فيه مالاً ، فحملته على حالته حتى وصلن به إلى سيدتهن (آسية) زوجة فرعون فلما فتحته رأته فيه الغلام ، فألقى الله تعالى محبته في قلبها ، فلما جاء زوجها (فرعون) ورأى الغلام أراد قتله وطلب الذبائح ليذبحوه فالتفت منه أن يتركه خافاً لأنها لم تكن تلد وقالت كما قص القرآن الكريم ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولئنك لا تفعلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه﴾ والآية . فقال لها فرعون قرة عين لك أما لي فلا حاجة لي فيه ، قال بعضهم : لو قال قرة عين لي ، لهداه الله به إلى الإسلام كما هدى (آسية) ولكن رفض ذلك فلم يسعد ولم يهند بل بقي شقيماً .

محريم المراضع على موسى :

وعاش (موسى) في بيت فرعون عند (آسية) التي استوهبته من فرعون

فوهبه لها ، وقد ألقى الله محبته في قلبها ، كما أحبته فرعون وعطف عليه ، وهذا تصديق لقول الله تعالى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾  
 وأخذت ( آسية ) تبحث له عن مريض لتكون له ظميراً ترضعه وتربيه ، فكان  
 يمتنع عن قبول ثديها ، واشتد به الجوع واشتد به اليكاه وهو لا يقبل ثدي أحد  
 من المرضعات حتى عثيت عليه امرأة فرعون من اهلاك فأخذت بنفسها تفتش  
 له عن مريض . ورأت أخذت موسى ذلك وهي ترقبه من بُعد فجاءت إلى  
 آسية امرأة فرعون وعرضت عليها ان تأتي لها بأمرأة مرضعة ، أمينة ناصحة ،  
 تتعهد هذا الرضيع مقابل أجر لها فقالت لها امرأة فرعون اتيني بها فإن أخذ  
 ثديها أكرمتها بأنواع من الإكرام فانتظفت حتى جاءت إلى أمه فأخبرتها الخبر ،  
 فأثمت أمه فلما رأته كادت تقول هذا ابني لولا أن تبستها الله حتى لا يشعر أن  
 فرعون بأن هذه هي أمه ، فلما وضعته في حجرها التقم ثديها وأخذ يرضعه بينهم  
 ولدته حتى ارتوى وملاً جنبيه ، ففرحت ( آسية ) فرحاً عظيماً وطلبت منها  
 ان تمكث في القصر عندها لترضع لها هذا الغلام ، ووعدتها بأن تعطيها أنواع  
 الهدايا وتكرمها بأنواع الإكرام ، فأظهرت ( أم موسى ) العفة وقالت لها  
 إن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي وأتعهد به بالعطف والرعاية كما  
 أتعهد ولدي وأنا لا أستطيع أن أدع بيتي وأولادي من أجل هذا الغلام فرضيت  
 ( آسية ) أن تدفعه لها على أن تأتي به في كل فترة لتراه ثم تعيده لها ، لأنه قد  
 ملك بحبه قلبها ، وهكذا حفظ الله وعده فرد موسى إلى أمه لترضعه وهي آمنة  
 مطمئنة تحت كنف فرعون ورعايته . وقرأ الآيات الكريمة :

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتَسْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا  
 عَلَّ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَتْ لِأُحْتِ قُصِيَّةً نَبَّصُرَتْ بِهِ عَمَّن  
 جَنَّبُ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ . وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلِ قَالَتْ : هَلْ  
 أَدَلَّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ؟ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ  
 أُمِّ كَيْتٍ تَمْرًا عَبَسْنَا وَلَا نَحْرَانَ ، وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ  
 لَا يُوْمِنُونَ﴾ .

## قتل موسى القبطي وهربه إلى أرض مدين :

شبه موسى في بيت فرعون ، وعاش فيه معزواً مكرماً ، وكان يعيش عيشة أبناء الملوك فيركب مراكب فرعون ، ويلبس ما يلبس فرعون ، وكان الناس يدعونه ( موسى بن فرعون ) فيحرمونه ويعظمونه من أجل أنه ابن الملك وترعرع موسى حتى إذا بلغ أشده دخل ذات يوم من الأيام المدينة ، وبينما هو يتجول في طرقها - وكان الوقت وقت ظهيرة والأسواق قد أغلقت والناس في بيوتهم قائلون - إذا هو برجلين يفتتلان ، أحدهما من بني اسرائيل والآخر قبطي من آل فرعون ، وهما يتضاربان ويتهاوشان ، وقد اعتدى القبطي على الإسرائيلي فلما مر موسى استغاثه الإسرائيلي ليخلصه من شر ذلك القبطي فأقبل نحوه موسى يريد أن يمنعه عن الاعتداء ويدفع الأذى عن الإسرائيلي فوكزه (أي ضربه بجمع يده) ففضى عليه وشر القبطي على الأرض ميتاً لا حراك به ، ولم يرد موسى قتله إنما أراد إبعاده فكانت القاضية ، فحزن موسى على قتله ، وندم على ما حدث ، وتحنن يستغفر الله ويطلب منه الرحمة والغفران ، ولم يكن أحد قد رآه حين قتل القبطي إلا الله تعالى والإسرائيلي ، فلما قتله أصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار ، فأتى الأقباط فرعون وقالوا له إن بني اسرائيل قد قتلوا رجلاً منا ، فخذ لنا بحقنا ، ولا تتساهل معهم فيجرءوا علينا فقال هل التوتوني بقتله و بمن يشهد على قتله ، فبينما هم يطوفون يبحثون عن قاتله وبنلمسون الأخبار إذ مر موسى عليه السلام فرأى ذلك الإسرائيلي يقا تل فرعونياً فاستغاث الإسرائيلي على خصمه الفرعوني فجاء موسى مقتضياً وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، ولكن الإسرائيلي ظن أنه يريد لأنه رأى في وجهه آثار الغضب وسمعه يقول : ﴿إِنَّكَ تَخَوِي مَبِينٌ﴾ فظن أنه يريد ليعطش به فقال له ﴿يَا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس﴾ فسمع ذلك الفرعوني كلامه فركه وذهب فوراً فأخبر جماعته بأن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس ، وأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي فذهبوا إلى فرعون وأخبروه بالخبر فأمر جنده أن يبحثوا عن موسى ويأتوه به ليقتله حتى لا يتجرأ بنو اسرائيل على قتل أحد . فذهبوا



يفتشون في طرقات المدينة عنه ، وجاء رجل مؤمن من آل فرعون بكم إيمانه وهو ( حزقييل ) فأخبر موسى بالخبر وأمره أن يخرج من أرض مصر لأن الجماعة يبحثون عنه يريدون قتله ، فتوجه موسى إلى أرض ( مدين ) ودعا ربه أن يهديه الطريق وينجيه من شر فرعون ، ويأخذ العيون عنه حتى لا يبصره أحد من أعدائه اقرأ الآيات الكريمة في سورة القصص .

قال الله تعالى حكاية عن موسى :

﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فوكلته موسى فنضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين . قال رب أنى ظلمت نفسي فاغفر لي ، فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين . فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين ، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسمى قال يا موسى إنك ليقنوك فاستخرجني من القوم الظالمين ﴾ .

تزوج موسى بابتة شبيب ورعبه الغنم :

وخرج كلهم الله من أرض مصر فاراً يريد النجاة ، وتوجه نحو أرض مدين ماشياً على قدميه يئلف عشيبة أن يدركه أحد من آل فرعون ، ولم يكن معه زاد فكلن يأكل وورق الشجر وبقي يمشي مسيرة ثمان ليال حتى وصل إلى أرض مدين ، فجلس تحت ظل شجرة وقد أنهكه الجوع والتعب قال ( ابن عباس ) : ( خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ، لم يأكل إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافياً فسقطت نعلا قدميه من الحفاة ، وجلس في الظل

وهو صفوة الله من خلقه وزن بطنه لاصق بظهره من الخروع ، وإن خضرة البقل من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شيق تمره ) وبينما هو جائس للاستراحة أبصر ابنتين تزعيان الأغنام تريدان سقى أغنامهما من تلك البئر الكبيرة التي يسقى منها الرعاة ، ولكنهما كانتا تحسان الغنم لئلا يخسفن بغنم الآخرين فأشفق عليهما وسألهما عن سبب تعدهما لرعاية الغنم بأنفسهما فأخبرتا أنه بأن أباهما شيخ كبير وليس عنده من الأولاد من يرعى له هذه الأغنام ولنظك فلأبهما يتعهدان رعايتها وسفائها فسقى فما ثم جلس بجانب الظل يدعو ربه أقرأ الآيات الكريمة : ﴿ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكُرْآنِ الَّتِي نُنزِّلُهَا عَلَيْكَ مَعَهُ آيَاتُ الْعِلْمِ الَّتِي نُوعِزُّ بِهَا الْعُلَمَاءَ وَآيَاتُ الْحِكْمِ الَّتِي نُنزِّلُهَا عَلَى الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِي الْحِكْمِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ . فسقى لهما ثم أتت إلى القليل فقال : ﴿ إِنِّي لَبِئْسَ الَّذِي تَزِلُّ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَصَبْرٌ ﴾ .

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه ( البداية والنهاية ) أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من ردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة ، فتحجى هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس ، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرقع تلك الصخرة وحده ثم استقى لهما وسقى غنمهما ثم ردت الحجر ، وكان لا يرعه إلا عشرة فرقع موسى عليه السلام وحده وردة وحده فلما رجعت الفتاتان إلى أبيهما أخبرتا به بخبر موسى وبقوته وطلبته منه أن يكرمه على هذا الصنيع الجميل وأن يتأجره لرعاية الغنم فأرسل واحدة منهن لتدعوه إلى أبيها فجاءته وهي تمشي على استحياء فقالت له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، وإنما صرحت له بهذا لئلا يوهم كلامها الريبة ، وهذا من تمام حياتها وعفتها وصيانتها فلما جاءه وفص عليه قصته قال له ( شعيب ) لا تخف نجوت من القوم الظالمين ثم زوجه دابته على رعاية الغنم . قال ( ابن كثير ) . وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو ؟ فقل إنه ( شعيب ) عليه السلام وهذا هو المشهور عند الكثيرين ونص عليه الحسن البصري وهو منقول عن مالك بن أنس وقد عدش شعيب عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بيته . وقيل : إنه ابن

أخي شعيب وقيل ابن عمه وليس هو شعيب النبي الذي أرسل إلى أهل مدين .  
والرأي الأول أرجح وهو الذي عليه الكثيرون من أهل التفسير

ومكث موسى عليه السلام في أرض مدين بعد أن تزوج بابتنة شعيب وهو  
يرعى الغنم حتى أتم المدة وهي عشر سنين ، وقد روي أن النبي ﷺ سئل أي  
الأجلين قضى موسى ؟ قال : أكلهما وأفضلهما ) ومن هنا نعلم أن موسى  
عليه السلام اشتغل برعاية الغنم لمدة عشر سنوات وكانت الرعاية هي النهر الذي  
دفعه موسى لفاء تزوجه بابتنة شعيب ؛ وإذا كان موسى بن عمران قد رعى الغنم  
فليس عبداً على أحد من الناس أن يشتغل بأمثال هذه الحِرَف ، وكيف وقد  
كان سيد الخلق محمد ﷺ يرعى الغنم فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي  
ﷺ أنه قال : ما من نبي إلا ورعى الغنم قالوا حتى أنت يا رسول الله ! قال  
حتى أنا كنت أرهاها لقريش على قريريط . والحكمة في رعايته انغمس من جهة  
الأنبياء والمرسلين هي لينتهدوا على السكينة والتواضع ، وليكون ذلك مقدمة  
لسياسة الأمة وقيادتها كما يقوم الراعي غنمه ، ويتعهد بها بما يصلح شأنها وهكذا  
الأنبياء الكرام انتقلوا من رعايته الغنم إلى قيادة الأمم صلوات الله وسلامه عليهم  
أجمعين .

رجوع موسى إلى مصر وتكليم الله سبحانه له عند جبل الطور :

بعد أن أمضى موسى عليه السلام السنوات العشرة في أرض مدين حن قلبه  
إلى وطنه فعزم على الرجوع إلى أرض مصر مع أهله وولده ، وبينما هو في  
الطريق في ليلة مظلمة باردة ناه في الطريق فتم يهتد إلى السلوك في الدرب المألوف  
وجعل يورى زفاده فلا يورى شيئاً ، واشتد الظلام والبرد وكانت امرأته حاملًا  
وقد قرب أوران وضعها فتحير وقام وفعد ، وأخذ يتأمل في الأفق لعله يرى  
شيئاً فيخرجه من هذه الحيرة ، ثم أخذ يستمع طويلاً هل يسمع شيئاً أو  
حركة ، فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نوراً فحسبه ناراً فقال  
لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً لعل آتيكم منها بقبسٍ أو أجدهُ على النارِ

هدى ﴿ فلما وصل قريباً من جبل الطور وأى نوراً عظيماً ممتداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك ، فتحتير موسى وارعدت فرائضه فسمع خطاب الله عز وجل بأمره أن يخضع نعليه ثم يدخل ذلك الوادي المقدس حتى يقرب من جبل الطور فإن الله سبحانه وتعالى سيكلمه ويجعله رسولاً ثم يرسله إلى فرعون ليبلغه رسالة الله اقرأ الآيات المذكورة من سورة طه ﴿ وهل أناك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنني آنستُ ناراً لعل آتيكم منها بقبس أو آجداً على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى إني أنا ربك فاخضعْ لتعَلِّيكَ إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتُك فاستمعْ لما بوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقيم الصلاةَ للذكرى . ﴾ .

وهكذا نبيء موسى وكلمه ربه عند جبل الطور المسمى (طور سيناء) وأعطاه آية تدل على صدق نبوته ألا وهي معجزة (انعصا ، واليد ) ثم أمره أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله فطلب موسى من ربه أن يبعث معه أخاه ( هرون ) ليكون معبأ له على تبليغ الرسالة كما قال تعالى ﴿ قال رب إني قتلتُ منهم نفساً فأخافُ أن يقتلون . وأخي هرون هو أفصحُ مِنِّي لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخافُ أن يكذبون . قال سنشدُّ عُقْدَكَ بأخيك وتجعلُ لَكُنَا سُلْطَانًا فَلَا يَعْصُونَكَ الْيَكُفُورُ الْيَكُفُورُ الْيَكُفُورُ ﴾ .

قال بعض المفسرين : لما قصد موسى إلى تلك النار وجدها تخرج في شجرة خضراء من العوسج فوقف متمجياً فناداه ربه بالواد المقدس طوى فأمره أولاً بخلع نعليه تعظيماً وتكريماً لتلك البقعة المباركة ثم أمره ثانياً أن ينفخ ما في يمينه فألقاها فإذا هي حية تسعى ، ثم أمره أن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء فما نور كتور الشمس .

موسى يدخل مصر ويدعو فرعون إلى الإيمان بالله تعالى :

ورجع موسى بعد أن كلمه ربه قسار بأهله نحو مصر حتى وصلها ليلاً ، وأوحى الله سبحانه إلى أخيه ( هرون ) يبشّره بقلوم ( موسى ) ، ويخبره أنه

فد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون ، واجتمع موسى بهارون وانطلقا إلى فرعون ، فطلب موسى من البواب أن يأذن له بالدخول على الملك (فرعون) فقال له : وماذا أقول لفرعون فأجابه موسى بقوله قل له : جاءك رسول رب العالمين : ففزع البواب من هذه الكلمة ودخل على سيده وأخبره بما قاله وما سمع وقال له : إن بالبواب إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين : فقال فرعون : أدخلوه فدخل موسى ومعه هرون إلى فرعون ودعاه إلى الله وبلغته رسالة ربه فاستهزأ به فرعون وقال : هل هناك إله غيري ؟ ثم تحقق فعلم أنه موسى الذي نرى في بيته ثم كان من أمره ما كان فقال له فرعون كما قص القرآن الكريم ﴿لَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْسَ لَنَا مِنْ عَمْرِكَ سِتِيرٌ وَفَعَلْتَ فَعَلَّتْكَ الْبَلِيَّةُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال : فعلتها إذاً وأنا من الفضالين ففرت منكم لما خفتكم فوهدت لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين . وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل . قال فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴿﴾ .

### موسى والسحرة عند فرعون :

ومضى موسى بشرح له رسالة ربه ، وأخذ فرعون يتهدده ويتوعده بالنسجن والتعذيب والتشريد فقال له موسى أولو جنتك بشيء بين ؟ فقال وماذا عندك ؟ فألقى العصا فإذا هي ثعبان مبيد ، وأدخل يده إلى صدره ثم أخرجها فإذا بها كأنها قطعة من نور الشمس مضى ففزع فرعون لهذا ودعا جماعته واستشارهم فأشاروا عليه أن يجمع السحرة ليبيطوا ما جاء به موسى لأنهم ظنوا أنه من قبيل السحر ، فاجتمع السحرة عند فرعون فطلب منهم فرعون أن يجمعوا قواهم ويوحّدوا هدفهم ليبيطوا – بعزيمتهم – سحر موسى وأغراهم بالمال والمنصب وأن يجعلهم من خاصته فيما إذا تمكنوا على موسى وغيبوه ثم كانت النتيجة بعد تداول بين السحرة أن طلبوا من موسى أن يلقي ما معه أو يبدؤوا هم بالاتقاء اعتزازاً منهم بالنفس واعتقاداً بالعلبة ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقني وإما أن نكون نحن﴾

الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاوزوا بسحر  
 عظيم . وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون .  
 فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . ﴿٤٠﴾  
 ألقى السحرة سبأهم وعصيتهم ، وقالوا مغررين ﴿بهزة فرعون﴾ إنما لنحن  
 الغالبون ﴿٤١﴾ ونظر موسى وإذا بهذه الحبال والعصي كأنها حبات وثعابين ، فهاله  
 أمرها ، وأوجس في نفسه خيفة منها ، ولكن الله ثبته أمام ذلك الجمع الراسخ ،  
 وأوحى إليه أن لا تخف فإنك أنت المنتصور ، وأمره أن يلقي العصا فإذا هي  
 تبطل كل ما قذف به السحرة من زور وبيان ﴿فأرجس﴾ في نفسه خيفة موسى  
 فكأن لا تخف إنك أنت الأعلى . وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما  
 صنعوا كيد ساحر . ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴿٤٢﴾ .

بذكر المورخون : أن موسى عليه السلام لما ألقى العصا ، انقلبت إلى حية  
 عظيمة لها عتق طويل ، وشكل مفرع هائل ، حتى إن الناس هربوا فرعاً منها ،  
 وقد أنبت هذه الحية على الحبال والعصي فجعلت تلقفها في أسرع ما يكون ،  
 والناس في فرع واضطراب ، وفي دهشة واستغراب ، وكان أول من أذعن  
 للحق وأعلن إيمانه إنما هم السحرة ، الذين أتى بهم فرعون لينصروه ، ويتغلبوا  
 على خصمه موسى عليه السلام .

آمن السحرة وسجدوا لله عز وجل ، وأقرؤا بالوحدانية له ، لأنهم أيقنوا  
 أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة ، ولا زور ولا بيان ، وإنما هي آية من آيات  
 الله الباهرة ، أظهرها على يد رسوله (موسى) لتكون برهاناً على صدقه ،  
 وعرفوا أن ذلك ليس بطلاقة إنسان ولا قدرته ، وإنما هي القوة الإلهية التي تصنع  
 المعجائب فحزروا لله ساجدين وقالوا : ﴿آمننا برب العالمين . رب موسى وهرون﴾  
 علم فرعون إنه لم يشجز موسى ، ولكن موسى أعجزه ، فأراد أن يسر  
 هزيمته ، ويستعيد هيئته ، فقال للسحرة - وكان صاحب مكر وخداع :  
 ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلنسون تعلمون . لا مقطعون بأيديكم  
 وأرجلكم من خلاف ولأصلينكم أجعنين﴾ .

توعّد السحرة بالقتل والصلب ، ونفطيم الأبيادي والأرجل ، وأنهمهم بالنأمر مع موسى ، مع أنه يعلم علم اليقين ، أن موسى لم يعرفهم ولم يجتمع معهم من قبل ، لأنه كان مقيماً في أهل مدين ، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر ؟ ثم إن موسى لم يجدهم ولا علم باجتماعهم ، وإنما استدعاهم فرعون من أنحاء البلاد ليطلبوا دعوى موسى عليه السلام ، ولكنه المقهور المغلوب يلمس لنفسه العذر وإن كان لا يعني أمام الحق شيئاً .

أمّا السحرة فقد ثبتوا على الإيمان ، ولم يبالوا بوعيد فرعون وتهديده ، بل صرخوا في وجهه صرخة الإيمان والبطولة ، متحدّين لفرعون وبطشه وجبروته ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَكَ خَطَايَاكَ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْكَ مِنَ السِّحْرِ ۖ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ .

قال سعيد بن جبیر : لما سجد السحرة وأوا منازلهم وقصورهم في الجنة نبأ لهم وترخرف لغدومهم ، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده ، بل صدعوا بالحق في وجهه (١) . ولقد فذلّ فرعون ما هدّاهم به فصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم ، وقتلهم شر قتلة ومع ذلك لم يشكهم ذلك عن الإيمان بالله ، فسأوا شهداء أبراراً رضوان الله عليهم أجمعين ، قال ابن عباس : كانوا من أول النهار سحرة ، فصاروا من آخره شهداء بررة .

#### تمادي فرعون في ضلاله :

رأى فرعون الآيات الباهرة ، والبراهين القاطعة ، التي تدل على صدق موسى عليه السلام ، ولكنه تمادى في كفره ، وأصرّ على عناده ، معرضاً عن الآيات البينات التي جاء بها موسى كذبم الله ، وأغراه قومه بموسى ومن آمن معه ، لا يمين له منكربن عليه ترك موسى وقومه يفسدون في الأرض ، فسكن

(١) انظر تباية ونهاية ص ٢٥٦ ج ١ .

فرعون روع القوم ، واعدأ لياهم بأن يقتل قوم موسى ، ويستحيي نساءهم معتزاً بما له عليهم من التمهر والغلبة والسطنان ، ثم أتبع أقواله بالعمل ، فضج بنو اسرائيل بالشكوى مما حاق بهم من الحيف والظلم ، فأوصاهم موسى بالصبر وبشرهم بالنصر ، ووعدهم حسن العاقبة . اقرأ هذه الآيات الكريمة :

﴿وقال الملأ من قوم فرعون أنكذرت موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهلك . قال استقتل أبناءهم ونسحبي نساءهم وإننا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعبتوا بالله وأصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوديتنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظركم كيف تعملون ﴾ .

#### بتلاء آن فرعون بتسع آيات :

لما أخذت فرعون لعزة بالإثم ، وعنا عن أمر الله تعالى ، ونمادى في تكذيب موسى ، وإيذاء بني اسرائيل ، أمر الله تعالى موسى أن يعن فرعون وقومه بأنه سيوقع عليهم العذاب الشديد ، جزاء تكذيبهم وامتناعهم عن اطلاق بني اسرائيل ، فكانوا كلما وقع عليهم العذاب جاءوا إلى موسى يطلبون منه أن يسأل ربه أن يرفع عنهم العذاب ، ووعدوه بالإيمان وعدم إيذاء أتباعه المؤمنين ، فإذا كشف الله عنهم ما ترك بهم ، عادوا إلى طغيانهم ، وغدروا بعهدهم ، ونمردوا عن الله .. وقد أرسل الله عليهم أنواعاً من العذاب ، وصوتاً من اليبلاء ، وكانت هذه بمثابة (إنذار) لهم من الله تعالى ليعودوا إلى رشدهم ، ويثوبوا إلى صوابهم .

وأظهر هذه الابتلاءات الآيات التسع التي أرسلها الله على قوم فرعون وهي :

١ - (الجدب والجذب) وهو الذي عبر عنه القرآن بـ (السنين) وهو أعوام الجدب التي أصابتهم حيث لا يستغل فيها زرع ، ولا يتفع بضرع .



٢ - ( اتقص من الثمرات ) وهي قلة الثمار من الأشجار بسبب الجوائح والنعاهات .

٣ - ( الطوفان ) وهو كثرة الأمطار المتلفة للزروع والثمار ، وهو مروى عن ابن عباس ، وقيل المراد فيضان نهر النيل عليهم .

٤ - ( الجراد ) وقد أرسله الله على آل فرعون بشكل غير معهود فكان يغطي الخضراء ويحجب ضياء الشمس لكثرتة ، وكان لا يترك لهم زرعاً ولا ثماراً .

٥ - ( القمل ) وهو السوس الذي يفسد الحبوب وقيل هو القمل المعروف وقيل هو ( البعوض ) الذي أفض مضاجعهم ولم يمكنهم معه الغرض ولا العيش .

٦ - ( الضفادع ) وهي معروفة وقد كثرت عندهم حتى تغطت عليهم عيشتهم حيث كانت تستقط في أطعمتهم وأوتيتهم ، وتقفز على قراشهم وملابسهم .

٧ - ( الدم ) وهو من الآيات الواضحة ، فقد استحال الماء ضم دماً فلا يستقون من بئر ولا نهر إلا انقلب إلى دم في الحال ، ولم ينل نبي إسرائيل شيء من ذلك بالكلية .

٨ - ( العصا ) وقد تقدم أنها كانت من معجزات موسى عليه السلام حيث تنقلب إلى حية تسمى .

٩ - ( اليد ) إذ كان يضع يده في جيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء آية أخرى .

قال الله تعالى : ﴿ وَتَقْدِ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَتَقْدِ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَتَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ۚ فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَتَّطِبَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلَا إِنَّمَا طَّأَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْرَهْتُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا كُنْ نَكُ بِمُؤْمِنِينَ ۚ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ، وَالْجُرَادَ ، وَالْقُمَّلَ ، وَالضَّفَادِعَ ، وَالدَّمَ ، آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۖ ﴾ .

والمقصود أن الله أرسل على آل فرعون أنواعاً من العذاب الدنيوي العاجل ، فأرسل عليهم الضوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات ، فكانوا كلّمًا شاهقوا آية أظهرها الأسف والتدم ، وجاءوا إلى موسى يطلبون منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم الرجز والعذاب ، فزّبا رفعت عنهم تلك الآبة عادوا إلى شرّ مما كانوا عليه ، حتى كانت الآبة الكبرى التي لم ينج منها أحد من فرعون وجنوده ، ألا وهي العرق في البحر ﴿ انشأنا منهم فأغرقناهم اجمعين . فجمعناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ .

### هلاك فرعون وجنوده :

تحدى فرعون في كفره وعناده ، ومخالفته لبي الله وكنيته موسى بن عمران عليه السلام ، ولم تنفعه التندر ، فأوحى الله إلى موسى أن يخرج بني اسرائيل من أرض مصر نبلاً ويذهب بهم إلى أرض فلسطين : فجهز موسى ومن معه وكانوا يزيدون على ٦٠٠ ألف مقاتل غير الذرية فخرج بهم في الليل وساروا في طريق البحر الأحمر - على خليج السويس - وأخذوا يجدون السبر ، واستيقظ فرعون فمهم يحدد موسى ولا يبي اسرائيل حيث خلت منهم بلاد مصر ، فجهز جيشاً عرمرماً حتى قبل كان في شيوه مائة ألف فرس ، وكانت عدة جنوده تزيد على مليون وستمائة ألف<sup>(١)</sup> جندي ، فلحقهم بالجنود وأدركهم في انبوم الثاني مع طلوع الشمس ، وتراءى لهممان فشمع بنو اسرائيل بالخطر وأيقنوا بهلاك ، فالحج أمامهم والعدو خلفهم ، ولم يبق بينهم وبين الموت إلا ساعات أو لحظات ، حين ذلك ضجّوا بالعويل والصياح وقالوا يا موسى إنا نلدركون ، فسكّن موسى روعهم ، وأزال خوفهم فأخرج عصاه وضرب به البحر فانفلق بقدرة الله ، فكان كل فوق كالكثود العظيم ، فسار موسى ومن معه على سطح البحر - بعد أن أصبح يابساً - مسرعين مستبشرين بعد أن رأوا هذه الآبة العظمى ، التي تختار لها عقول الناظرين ، فلما جاوزوه وخرج آخرهم

(١) ذكر هذه الرواية ابن كثير في البداية والنهاية .

منه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون ووصوله إلى البحر : فأراد موسى أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان حتى لا يسلكه فرعون وجنوده ، فأوحى الله إليه أن يترك البحر على حاله لأنه يريد اغراقهم فيه ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوْاً لَهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ﴾ . رهواً : أي ساكناً على هيئته التي هو عليها . فلما وصل ( فرعون ) رأى هذه الآية الباهرة ، ففزع وخاف أن يسلكه ، ولكنه أظهر لجنوده التجلد والشجاعة ثم خاطبهم بقوله ( انظروا كيف انحسر البحر لي : لأدرك عبيدي الآفيين من يدي ، الخارجين عن طاعني وعبادي ، لأردتهم إلى مملكتي مقهورين ملحورين ، وأخذ يشجع الجنود لاقترام البحر أمامه من أجل أن يفوز بالنجاة هو .. ولكن هيهات فقد فات الأوان واقربت ساعة الأجل ، وجاء ملك من السماء فقاد فرس فرعون جهة البحر ، فلما رآه الجنود قد سلك البحر ، اقتحموا وراءه مسرعين ، فلما أصبحوا جميعهم فيه أوحى الله إلى موسى أن اضرب البحر بعصاك فضربه فانظمت عليهم ، وعادت أمواجه هائجة كما كان ، فلم ينج منهم إنسان .. لإقرأ قوله تعالى في سورة الشعراء :

﴿فَأَنبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ . فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابُ إِنَّا لَأُنذِرْكُم بَأْسًا كَلَّا إِن مَعِيَ رَبٌّ سَيَهْدِكُ . فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالظَّوْبِ الْعَظِيمِ . وَأَنزَلْنَا نَارًا مِنَ السَّمَاءِ لِيُوقِيَ أُولَئِكَ الْفَرَقَ وَأَنزَلْنَا فِيهَا صِغَرًا عَالِيَةً تِجَارًا الْبَخْرَ . وَجَاءتْ سَكِينٌ عَلَى أُولَئِكَ لَمْ يَصُوبْ إِلَيْهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ . فَكَرِهُوا عَلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبَ بِخَشْيَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِيبُهُمُ النَّارُ فِي أَيَّامٍ مَّا نَدْعُوا وَلَئِنَّهُمْ إِلاَّ لَمَنْ أَلَكُمُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنَّادِيٍّ . وَأَنزَلْنَا إِلَى مُوسَى آيَاتِنَا أَنْ يَقُولَ إِذْ صَارَ الْبَحْرُ يَمُودًا إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْيَمِينَ . وَأَنزَلْنَا إِلَى هَارُونَ آيَاتِنَا أَنْ يَقُولَ إِذْ صَارَ الْبَحْرُ يَمُودًا إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الرِّيحَ وَجَاءتْ بِالسَّيْلِ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَنُوحُوا عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .﴾

وعرق الجيش جميعاً ، وأما فرعون فلما أصبح بين الأمواج على وشك الدمار والغرق ، أعلن إيمانه واستسلامه ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلاَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ؟﴾ فلم ينفعه إيمان ولا توبة بل هلك مع المالكين إلى غمرات الجحيم .

### بنو إسرائيل في أرض التيه :

لما أهلك الله فرعون وجنوده ، ونجى بني إسرائيل من العذاب المهين ،

أمره أن يتوجه بهم إلى (بيت المقدس) فخرجوا حتى إذا كانوا في الطريق عطشوا عطشاً شديداً : فشكوا إلى موسى مندسرين واستشفوه فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه ، فلمّا ضربه انبجست (نفجرت) منه اثنا عشرة عيناً ، لكل سبط من الأسباط عين تجري بالماء يشرب منها ، وأرسل الله لهم (المن والسلوى) رزقاً منه جنّ وعلا ، يحصلون عليه دون جهد أو تعب : ثم أمر موسى أن يدخل بهم الأرض المقدسة ، التي كان قد وعدهم الله بها على لسان نبيه وكليمه موسى عليه السلام ، فلما اقتربوا منها وجدوا فيها قوماً من الإيثارين وهم من (الكنعانيين) ومن بقايا (الحيتانيين) فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول ومقاتلتهم وإجلائهم عن بيت المقدس ولكتهم أبوا وتكلموا عن الجهاد ، وجنوا عن مقابلة عدوهم ، وقالوا فواللهم الفجرة لتبيهم الكريم ﴿أذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون﴾ .

يذكر المؤرخون أن موسى عليه السلام كان قبل أن يطلب إلى بني إسرائيل دخول تلك الأرض قد أرسل من قبيله أرساً يأنوزه بالأخبار ، ويقول المفسرون إنهم كانوا اثني عشر رجلاً قرأوا من ضخامة أجسام أولئك القوم ما هالهم وأفزعهم ، فلمّا عادوا أخبروا بني إسرائيل بما رأوا فضحفت نفوسهم وبخارت قواهم ، ولم يعد لديهم طاعة للقتال أو الجهاد ، وكان بنو إسرائيل قد ألفوا الذلّ والهوان منذ أن كانوا في أرض المراعنة ، ونحت سلطان الأقباط لذلك امتنعوا عن تنفيذ أمر الله وجنوا عن جهاد الأعداء فألفاهم الله في التيه ، وضيّعهم في الصحراء (٤٠) أربعين سنة يسكرون ويحلون ، ويرحلون ويذهبون ثم يرجعون إلى مكانهم الذي خرجوا منه كما قال تعالى ﴿قال فإنها حرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ وكان ذلك عقوبة من الله تعالى لهم ، حتى انقرض ذلك الجيل الذي عاش على الذلّ وألف الهوان وجاء من بعدهم من الأبناء الذين عاشوا في الصحراء عن الحرية والعزة فدخلوا مع (يوشع ابن نون) الأرض المقدسة .

#### العبرة من تاريخ بني إسرائيل :

وقد ذكر القرآن الكريم الحديث عن (بني إسرائيل) ، وأفاض في ذكر

حوادثهم ووقائعهم ، ليأخذ الإنسان العبرة من حياة هذه الأمة الطاغية الباغية ، التي تقابل النعمة بالبحود ، والإحسان بالعصيان ، فقد أغدق الله عليهم نعمه ، ونجّاهم من كيد عدوهم ، وأهلك فرعون وجنوده ، فما كان منهم بعد هذا الجميل والإحسان إلا أن عبدوا العجل ، وتكفروا بالدعوة نبيهم موسى عليه السلام ، وقتلوا الأنبياء وسفكوا دماء الأبرياء ، وفعلوا ما تشعروا له الأبدان ، وكانت نهايتهم أن مسخهم الله قردة وخنازير ، وغضب الله عليهم ونعمهم ، وضرب عليهم الذلة والمكّة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

ولو أردنا أن نستقصي جرائم بني اسرائيل (اليهود) لضاف بنا المقام ، وأخرجنا إلى مجندات ضخمة فإن حياتهم مسلمة من الجرائم لا في حق انبشيرة فحسب بل في حق الأنبياء والمرسل ، وفي حق الذات العلية ذات الله تبارك وتعالى حيث آثموا الله عز وجل بأنواع من الانهامات انشينة ، فقد آثموه بالبخل والشح ، ورموه بالعجز والظلم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَتُعِينُوا بِمَا قَانُوا﴾ بل يدها مبسوطتان يتفق كيف يشاء .

وهناك حوادث ووقائع تاريخية أخرى في حياة بني اسرائيل ، ضربتنا صفاً عنها خشية الإطالة والله الموفق والمهدي إلى سواء السبيل .

### وفاة موسى عليه السلام :

توفي كليم الله موسى عليه السلام بعد أخيه (هارون) عليه السلام في أرض النبه ، ولم يدخل الأرض المقدسة ببني اسرائيل ، وإنما دخلها بهم (يوشع بن نون) كما أسلفنا وقد كان عمر موسى حين وفاته (١٢٠) سنة وقد روى البخاري في قصة وفاته حديث مئذ المرت الذي جاءه ليقبض روحه فصكته موسى ففأ عينه . وفيه يقول الرسول ﷺ : لو كنتُ ثم لأرى بكم قبره إلى جانب الطريق عند الكتيب الأحمر قلورمية بحجر ، صلى الله عليه ونعمده الله برحمت آمين .

## ٤ - المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

﴿مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِ الرِّسْلَ وَأُمَّهُ صَدِيقَةٌ...﴾ .

### نسبه عليه السلام :

هو السيد المسيح عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، وهو آخر أنبياء بني اسرائيل ، اسمه ( عيسى ) ولقبه ( المسيح ) وبكنى ( ابن مريم ) نسبةً إلى أمه مريم بنت عمران ، لأنه ولد من غير أب ، هو بالعبرية ( يشوع ) ومعناه المخلص ، وفي الإنجيل يدعى ( يسوع ) بالسبب فلهمة بدل الشين المعجمة .

وهو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول العنبراء : الطاهرة العفيفة التي أحصنت فرجها ﴿وَوَدَّعَزَّزَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنْ الْفَائِزِينَ﴾ . وهو آخر الأنبياء في بني اسرائيل ، كما أن محمداً هو آخر الرسل جميعاً لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

### نسبه في الإنجيل :

إذا ذكر نسب السيد المسيح ( عيسى بن مريم ) فإن النصارى يذكرون نسب ( يوسف النجار ) بناءً على أنه كان عندهم يدعى ( يسوع بن يوسف النجار ) وذلك لأنها كانت مخطوبة ليوسف قبل أن تحمل بالمسيح ، ولما حملت

أمر في منامه أن يمسكها ولا يشهر بها لأنها بريئة من الدنس كما ينص على ذلك إنجيل متى صفحة (٢٠١-٢٠٠) . وقد كان (يوسف النجار) من شباب اليهود الصالحين ، عاش عبس الطهر والعفة ثم خطب مريم ولكنه لم يتمّ بينهما النقاء أو زواج ، وقد كانت العودة الجارية عندهم أن يطلب الشاب الفتاة من أهلها ، ثم يتعاشران بدون اتصال زوجي ، ويقومان على ذلك مدةً من الزمن من أجل أن تعرف أخلاقه ويعرف أخلاقها ، حتى إذا رضي كل منهما أخلاق صاحبه تزوجها وعاشرها معاشرمة الأزواج ، وإذا لم يرض أحدهما أخلاق الآخر فسخت الخطبة دون أن يكون قد وقع اتصال بين الزوجين .

وينص إنجيل (برنابا) على أن مريم قد اتخذت يوسف النجار عشيراً لها ، من حين أن أحست بالحمل على الطريقة التي ذكرناها أي بدون اتصال زوجي . ولم يذكر نسب السيد المسيح إلا في الإنجيلين (إنجيل متى) و (إنجيل لوقا) فقد انفردا بذكر النسب من بين سائر الأناجيل ، ومن الأريب أن نجد اختلافاً كبيراً في نسب السيد المسيح بين هذين الإنجيلين ، وتناقضاً واضحاً لا يمكن معه التوفيق ، مما يجعلنا نجزم بأن أهل الكتاب ، يكتبون بلا تحقق ، ويؤمنون بلا تثبت ، وبصدقون بكل ما يلقى عليهم من رؤساء الدين ، وأن ما في التوراة والإنجيل قد دخل إليه - قطعاً - التحريف والتبديل كما نصّ على ذلك القرآن الكريم .

وبنظرة واحدة يظهر التناقض والتعارض بين أعظم الأناجيل وأكبرها شهرة وانتشاراً عند النصارى ألا وهو إنجيل (متى) وإنجيل (لوقا) .

#### نسبه في إنجيل لوقا :

هو يسوع بن يوسف النجار ، بن هالي ، بن لاوي ، بن ملكي ... إلى أن ينتهي النسب إلى يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليه السلام .

#### نسبه في إنجيل متى :

أما نسبه في إنجيل متى فهو : يسوع بن يوسف النجار ، بن يعقوب ، بن

مئان ، بن اليعازر ... إلى أن ينتهي إلى يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام . وإذا تابعنا النسب من أوله إلى آخره نجد اختلافاً كبيراً بين الإنجيليين فإنجيل لوقا يقول إن يوسف بن ( هالي ) .  
 وإنجيل متى يقول : إن يوسف بن ( يعقوب ) .  
 وإنجيل لوقا يقول : إنه من أولاد ( ناثان ) بن داود .  
 وإنجيل متى يقول : إنه من أولاد ( سنيان ) بن داود .  
 وإنجيل لوقا يقول : إن آباء المسيح غير سلاطين وغير مشهورين .  
 وإنجيل متى يقول : إن آباء المسيح سلاطين مشهورون .  
 وبينما إنجيل لوقا يذهب إلى أن بين ( داود ) والمسيح واحد وأربعين جيلاً نجد إنجيل متى يقول : إن بين ( داود ) والمسيح ستة عشر جيلاً .  
 ولا أدوي كيف يمكن الجمع أو التوفيق بين هذه المتناقضات في كتاب مقدس ، يؤمن به مئات الملايين من النصراري : اللهم إلا أن يكون ذلك من تحريف رؤساء الدين الذين أكد القرآن تحريفهم للكتب المقدسة .

من هي مريم ؟ :

هي مريم بنت عمران . الصديقة البتول ، العذراء الطاهرة ، التي تربت في حجر الفضيلة ، وعاشت عيشة الطهر والتراثة ، والتي أنشأ الله تعالى عليها في كتابه العزيز في مواطن عديدة ، قال تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من رُوحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ .

كان والدها ( عمران ) رجلاً عظيماً ، وعالماً جليلاً ، من علماء بني إسرائيل ، وكانت زوجته ( أم مريم ) لا تحيل — كما ذكر ابن اسحق — فلدت إن حملت لتجمل ولدها محرراً لله تعالى ( أي خالصاً حبساً ) لخدمة بيت المقدس فاستجاب الله دعاءها فحملت بمريم عليها السلام ، فلما وضعت تبينت أن الجنين انفصل منها أنثى . وكانت ترجو أن يكون ذكراً ، ليخدم في بيت الله ، فتوجهت



بالدعاء إلى الله كالمعتادة أو كالأسفة ﴿ربّ إني وضعتها أنثى - والله أعلم بما وضعت -... وليس الذكر كالأثى ، وإني سميتها مريم - وإني أعبدما بك وذويتها من الشيطان الرجيم﴾ ولكن الله تعالى تقبل تلك المولودة بقبول حسن وأثيتها نياتاً حسناً ، وحفظها وولدها من شر الشيطان الرجيم .

### كفالة زكريا لمريم :

توفي ( عمران ) وابنته ( مريم ) طفلة صغيرة ، تحتاج إلى من يكفلها ، ويقوم بشأتها ، فخرجت بها أمها إلى المسجد ، فسلمتها إلى العبيد المقيمين فيه ، وكانت ابنة إمامهم ورئيسهم فتنازعوا واختلقوا فيمن يقوم بكفالتها ، وكان ( زكريا ) عليه السلام نبي ذلك العصر ، هو الذي يريد كفالتها لأنه زوج أختها - وقيل زوج خالتها . ولكنه قطعاً للنزاع وافق على الاقتراع معهم ، فخرجت الفرعة له ، فكان الكافل لمريم هو ( زكريا ) والد يحيى عليهما السلام .

بقيت مريم في كفالة زكريا عليه السلام ، وقد اتخذ لها مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه ، وتقوم بما يجب عليها من سداقة البيت وخدمته ، وتقوم بالعبادة ليئها ونهارها ، حتى صار يضرب بها المثل في نبي اسرائيل في النفي والصلاح ، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة . وفي أثناء رعاية ( زكريا ) عليه السلام لها كان يجد أمراً عجيباً .. كان يجد عندها ملعاماً وفاكهة لا توجد في السوق ، وليس لها وجود في ذلك الأوان ، كان يجد فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، فيسألها في دهشة واستغراب ( أنى لك هذا ؟ ) استمع إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلْنَاهَا زَكْرِيَّا ، كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

### نشأة مريم البتول :

نشأت مريم عليها السلام نشأة طهر وعفاف ، وبعد عن الآثام والمحرمات

فعاشرت في جوار بيت المقدس ، مكلوبة بعناية الله ، محروسة بحراسته ورعايته ، وكانت الملائكة تأتي إلى مريم فتخبرها بمقامها السامي الرفيع عند الله ، وتبشرها باصطفاء الله لها من بين سائر النساء ، ونظهيرها من الأرجاس والأدناس ، وتبشرها كذلك بمولود كريم ، يكون له شأن عظيم ، يكتسب الناس في المهدي وكهلاً ومن الصالحين ، ونحشها على الاجتهاد في العبادة ، والقنوت لله .

وهكذا نشأت مريم على الطهارة والعبادة ، والبعد عن الدنس ، ورذائل الأمور ، اقرأ قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُصِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

### البشارة بالسيد المسيح :

لما بلغت مريم عليها السلام مبلغ النساء ، وأصبحت في سن الثالثة عشر من العمر ، تخرجت ذات يوم من الأيام من محرابها ، وسارت جهة شرقي بيت المقدس ، ترويحاً عن النفس ، وطلباً للراحة ، فبينما هي تسير ، وقد ابتعدت عن أهلها وقومها ، إذ فجأها شاب وضيء الوجه ، حسن الصورة ، مستوي الخلق ، ففزعت واضطربت وخافت على نفسها منه ، وارتابت في أمره لأنه ظهر لها فجأة ، نظنت به الظنون ، وجعلت تبعد عنه وهي تخشى أن يهيم بها بسوء ، في مكان ليس فيه مقد أو نصير : ثم قالت له ﴿إني أعودُ بالرحمن منك إن كنتَ نقياً﴾ ظنت مريم أنه بشر عادي من الرجال ، عرض لها في هذا المكان .. ولم يكن في شياطرها أنه ملاك كريم ، أرسله الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً ، يكون له شأن عظيم ، ويعطيه الله النبوة والحكمة ، وإذا بالملاك

هو (جبريل الأمين) عليه السلام تمثل لها في صورة إنسان ، فأزال الملك فرمها واضطرابها ، وأخبرها بالحقيقة حتى تطمئن على نفسها ، ثم فسخ في جيب قميصها (ثوبها) نفخة وصلت إلى رحمها ، فحملت بتلك النفخة بالسيد المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام ، اقرأ الآيات الكريمة : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مكانا شرقياً . فاتخذت من دونهم حجياً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرأ سوية . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ .

ويذكر المفسرون أن الذي فسخ في جيب قميصها ، وحملت بتلك النفخة إنما هو الملك (جبريل) عليه السلام فهو الذي يسمى (الروح الأمين) ويسمى (روح القدس) ويستدلون بقوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ والذي نزل بالوحي على الرسل الكرام قطعاً إنما هو جبريل عليه السلام .

قال (أبو حيان) في تفسيره :

« وإنما مثل لها الملك في صورة الإنسان لتسأنس بكلامه ، ولا تنفر عنه ، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه .. ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت من تلك الصورة الجميلة الفاتحة الحسن ، وكان تشبه على تلك الصفة ابتلاء لها وسبباً لعفتها» . . . .

حين ظهر لمريم بعد ذلك أن الذي عرض لها في خلوتها ليس بشراً إنما هو ملاك كريم ، أنست واستبشرت به ، ولكنها تعجبت من قوله حين بشرها بالغلام ، فهي امرأة بكر لم تتزوج ، ولم يقربها أحد من الرجال ، ولا تزال عفواء وهي عفيفة لم تقارف إنمأ : فكيف يمكن أن يأتيها غلام مع عدم اتصال رجل بها ؟ قالت : أنى يكون لي غلام ولم بمسستي بشر ولم أكُ بنياً ؟ وقد كان جوابه لها أنها إرادة الله ومشيئته ، فهو جل ثناؤه لا يعجزه شيء ، وإذا أراد أمراً فأنمأ يقول له كن فيكون ؟ قال كذلك قال ربك هو علي هين ،

(1) البحر المحيط الجزء السادس ص ١٨٠ .

ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً .

### كم هي مدة الحمل ؟ :

كان عمر ( مريم ) حين حملت بعيسى عليه السلام ١٣ ثلاث عشرة سنة ، وقد اختلف العلماء في مدة الحمل فقبل إنها كانت ساعة ، وقيل تسع ساعات ، وفي ثمانية أشهر ، وقد روي الأخير عن ( ابن عباس ) والصحيح أنها حملت به حملاً طبيعياً كما تحمل النساء ، ووضعته كما تضع النساء .

قال ( ابن كثير ) رحمه الله : **ثم** الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن ، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر ، واستدلال بعضهم بقوله تعالى ﴿ فحملته ﴾ فانبذت به مكاناً قصياً ، فأجاءها المخاض ﴿ فقد عطف بالفاء وهي نداء على تعقيب ، فإن الصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه ألم تر إلى قوله تعالى :

﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظماً ، فكسوتها العظام لحماً . **ثم** أنشأناه خلقاً آخر فبارك الله أحسن الخالقين ﴿ .  
ومعلوم أن بين كل حائض أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه (١) .

وقد ذكر المفسرون أن ( جبريل ) لما نفع في جيب درعها ، نزلت النسخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلمها .. وقد رد ( ابن كثير ) رحمه الله رواية نسبت إلى ( أبي بن كعب ) مفادها أن جبريل عليه السلام إنما نفع في ( فمها ) لا في فرجها وقال : إن هذا خلاف ما يفهم من سياق القصة في القرآن الكريم ، فالقرآن يدل على أن الذي أرسل إليها هو الملك جبريل عليه السلام وأنه إنما نفع في جيبها فنزلت النسخة إلى فرجها فانتسلكت فيه كما قال تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ، ننفخننا فيه من روحنا .. ﴾ فالضمير يعود على الفرج لا على الفم .

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٤ .

## إنهام مريم عليها السلام :

يروى أن مريم لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من أقربائها يدعى (يوسف النجار) وكان من العبّاد الصالحين - وكان ابن خالها- على ما يروي ابن كثير ، فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك براهها حيلى وليس لها زوج ، فمرّض لها ذات يوم في الكلام فقال : يا مريم هل يكون زوج من غير بذر ؟ قالت : نعم ، فمن خلق الزوج الأول ؟ ثم قال : فهل يكون شجر من غير ماء ؟ قالت : نعم فمن خلق الشجر الأول ؟ ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر وأنثى ، قال لها : فأخبريني خبرك ، فقالت : إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم فكفرّف أنّها بريئة وأنّ الحمل الذي بها إنّما هو بمشيئة الله وإرادته الحكيمة .. وروى (السدي بإسناده عن الصحابة أن (مريم) دخلت يوماً على أخيها - زوج زكريا - فقالت لها أخيها : أشعرت أنّي حيلى ؟ فقالت مريم : وشعرت أنّي أيضاً حيلى ، فاعتنقنها وقالت لها (أم يحيى) : إنّني أرى ما في بطني بسجد لما في بطنك ، قال مالك : أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام على يحيى ، قال : وبلغني أن عيسى بن مريم ويحى بن زكريا ابنا خالة<sup>(١)</sup> ..

وقد شاع الخبر في بني اسرائيل أنّ (مريم) حامل ، فما دخل على أهل بيت من المهمّ والحزن كما دخل على آل بيت زكريا ، حتى أنّهما بعض الزنادقة بيوسف النجار الذي كان يتعبّد معها في المسجد ، وأنهما آخرون بزكريا عليه السلام . ويقول (ابن جرير) إنّهم أرادوا قتله ففرّ منهم فلاحقوه حتى أمسكوا به ثمّ نشروه بالمنشار فقتل صلوات الله عليه بأيدي اليهود المجرمين .

## روى يوسف النجار :

يقول المؤرخون : إنّ مريم لما أحسّت بالحمل ، وخشيت أنّها قومها لها

(١) انظر الهداية والنهاية لابن كثير ص ٦٥ الجزء الثاني .

بالزنى وافقت على خطبة يوسف التجار لها ، وقد كان هذا رجلاً باراً صالحاً من بيت ( داود ) من أبناء عمها ، متقياً لله تعالى ، يتقرب إليه بالصلاة والصيام ويرتقى من عمل يديه في التجارة . ثم إن ( مريم ) عليها السلام كاشفت يوسف خطبها بما جرى لها من الحمل دون أن يمستها بشر ، وأجبرته بشارة جبريل لها : فعزم على أن يترك خطبها شكاً بأمرها ، وبينما هو قائم إذا بملك من ملائكة الرحمن يوبخه قائلاً له : ماذا عزمت على إبعاد امرأتك ؟ إعلم أن ما كَوْن فيها إنما كَوْن بمشيئة الله ، وستلد العنواء ابناً وستدعوته ( يسوع ) نفع عنه الخسر والمسكر وكل لحم نجس ، لأنه قدوس الله من رحم أمه ، وأنه نبي من الله أرسل إلى شعب إسرائيل ، ليحول يهوذا إلى قلبه ، ويسلك إسرائيل في شريعة الرب كما هو مكتوب في ناموس موسى ، وسيجيء بقوة عظيمة يفتحها له الله ، وسيأتي بآيات عظيمة تفضي إلى خلاص كثيرين . قالوا : قلنا استيقظ ( يوسف ) من النوم شكر الله ، وأقام مع مريم كل حياته خادماً لله بكل إخلاص (١) ، والله أعلم .

### ولادة السيد المسيح عليه السلام :

المشهور المستفيض أن ميلاد ( عيسى ) عليه السلام كان ببيت لحم : وأنها لما هربت وخافت عليه أسرعته به وجاءت إلى بيت المقدس .. وقد قص القرآن الكريم علينا قصة ولادته في سورة مريم .. وخلاصة تلك القصة أن مريم ؑ عليها السلام لما أنمت أيام حملها وهي في ( بيت لحم ) اشتد بها الخاض فألجأها إلى جذع نخلة بآسة : فاحتضت الجذع لشدة الوجع وولدت ( عيسى ) عليه السلام ، فقالت عند ولادتها - ليمًا قاسته من الآلام والتعريب : وإيما خافت من إنكار قومها وإنهامهم لها عند رؤية وليدها - قالت ﴿ يَا لَيْتِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَيْأً مَشْيَا ﴾ فقد تمّت الموت من جهة الدين ، إذ خلقت أرواحاً يُظنُّ بها الشر والسوء في دنياها ، وتعيّر بين قومها وعشيرتها .

(١) إنجيل برنابا الفصل الثاني فقرة من كتاب ( العقيدة الإسلامية ) للإمام الحنبلي .

وضعت مريم البتول العذراء طفلها ، وهزّت جذع النخلة التي لا ثمر فيها ، فتساقط عليها الرطب البخّيّ التاضح ، فأكلت من الرطب وشربت من النهر الذي أجراه الله لها في مكان لا نهر فيه ، وكان كل ذلك إكراماً من الله تعالى لها على إيمانها وصلاحتها وطاعتها لله عز وجل ، وعناية لوليدها ( عيسى ) عبد الله ورسوله .

وكان ميلاد السيد المسيح عليه أفضل الصلاة والتسليم يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر كانون الأول ، أي قبل ميلاد الرسول الأعظم ﷺ بما يزيد على ٦٠٠ عام . حملت مريم وليدها انصغير ، وأمت به قومها تحمله على يدها ، فلما شاهدوه فزعوا لهذا الحدث العظيم والحطب الجسيم وأخذوا يظنون بها الطنون ، كيف يكون لها وليد وهي لم تتزوج بعد ؟ وزاد في هذا الفزع والاضطراب أنهم يعرفون قومها وعشيرتها ، فهي من بيثة شريفة فاضلة وأيوها ( عمران ) من السادة الأشراف ، بل لقد كان رئيس العمماء ، وأسرته أسرة فضل وشهامة ودين ، فكيف تأتي مريم بمثل هذه الجرمية المنكرة ، وتقرّب عمل الفاحشة ؟ . وهنا سكنت مريم ، وأشارت إلى وليدها الرضيع لتكلم معهم ، وليجيبهم على أسئلتهم التي وجهوها إليها ، وانتهم التي أنهموها بها ، فليس أدلّ على طهارتها وبرائتها من أن يتكلم هذا الطفل وهو لم يزل بعد في المهده ويحجبهم على تلك الاتهامات والافتراءات .. اقرأ الآيات الكريمة من سورة مريم قصة ولادته عليه السلام : ﴿ وَجِئْتَهُ بِغُلَامٍ فَآنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا . فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا . فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا . وَهَزَيْ لَيْلِكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَلِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَى مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَئِيًّا . فَأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً !! قال إني عبدُ الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً .

وجعلني مباركا أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيا . ويرا  
بوالدني ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلامُ عليَّ يومَ ولدتُ ، ويومَ أموتُ ،  
ويومَ أُبعثُ حيا ﴿١﴾ .

### حياة السيد المسيح :

ولما بلغ الطفل من العمر ثمانية أيام حملته أمه مريم إلى اهيكل فمحن ، وسنته  
( يسوع ) يعني عيسى كما أمرها جبريل حين بشرها به ، والختان من سنن الأنبياء  
وهو من انقطة ، وهو شريعة سائر الأنبياء والمرسلين من عهد ابراهيم عليه  
السلام ، وقد جاء في الإنجيل ( برنابا ) ما يدل على ختان عيسى : « فلما تمت  
الأيام الثمانية حسب شريعة الرب ، كما هو مكتوب في كتاب موسى ، أخذنا  
الطفل واحتملناه إلى اهيكل ليختناه ، فختنا الطفل وسميائه ( يسوع ) كما تسمى  
من الملاك قبل أن حبل به في الرحم »<sup>(١)</sup> .

ونشأ ( عيسى ) عليه السلام في كنف أمه يعقودين عن بيت لحم في ربوة  
مرتفعة ذات استقرار وأمن وماء معين كما قال تعالى :  
﴿وجعلنا ابنَ مريمَ وأمَّهُ آيةً وآتيناهُمَا لى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعينٍ﴾ .

### هيرودس يعزم على قتل المسيح :

في الزمن الذي ولد فيه السيد المسيح كان هناك حاكم ظالم يسمى (هيرودس)  
وقد حكم البلاد بأمر ( فيصر أو غسطس ) وقد بلغه عن طريق بعض الكهنة أنه  
ولد مولود سيكون له سلطان على جميع اليهود فأمر بقتل كل طفل ولد في  
بيت لحم ، وقد تفرّد بذكر هذه القصة لإنجيل ( متى ) ولإنجيل ( برنابا ) وأن  
يوسف التجار قد أمر في منامه بأن يذهب بالطفل ( عيسى ) وأمّه ( مريم ) إلى  
مصر خشية عليه من بطش ذلك الحاكم الجائر ، فقام من قوره وأخذ الطفل  
وأمه وذهب بهما إلى مصر وأقاموا بها إلى أن هلك ( هيرودس ) ولما هلك أمر  
يوسف في منامه بأن يأخذ الطفل وأمّه ويرجع بهما إلى بلادهما لأن الذين يطلبون

(١) إنجيل برنابا الفصل الخامس .



قتله قد هلكتوا<sup>(١)</sup> فارجع بهما ١ .

### مجادلة عيسى للعلماء :

وكان عيسى حينئذ قد بلغ من العمر سبع سنين ، فرجع من مصر ووصل إلى الجليل ، وأقام في الناصرة ، وإلى الناصرة ينسب (النصارى) ونما الصبي في النعمة والحكمة أمام الله والناس ، ولما بلغ اثني عشرة سنة من العمر صعد مع مريم ويوسف التجار إلى (أورشليم) يعني بيت المقدس ليمسجد هناك حسب شريعة الرب ، المكتوبة في توراة موسى عليه السلام ، ولما تمت صلواته تفقدوه فلم يملوه فانصرفوا إلى محل إقامتهم فلما منهم أنه عاد إلى الوطن مع أقربائهم ، فلم يملوه فرجعت أمه مع ابن عمها يوسف التجار إلى (أورشليم) يشدانه بين الأقرباء والجيران فلم يملوه ، وفي اليوم الثالث وجعلوا عيسى في الهيكل وسط العلماء يحاجتهم في أمر الناموس : وقد أعجب كل الناس بأسئلته وأجوبته ، وقالوا : كيف أوتي مثل هذا العلم وهو حدث لم يتعلم القراءة ؟ فلما رآته أمه عتقت قائلة : ماذا فعلت بنا فقد نشدناك ثلاثة أيام ، فأجابها إلا تعلمين أنا خليفة الله يجب أن تقدم على الأم والأب ، ثم نزل معهما إلى الناصرة<sup>(٢)</sup> .

وسكت التاريخ عما وراء هذه الفترة من حياة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام حتى بداية نبوته ورسالته ، فأين كان يسوع في هذه المدة وهي سبع عشرة سنة ؟

### بده نبوة المسيح عليه السلام :

لما بلغ عيسى عليه السلام من العمر ثلاثين عاماً وجاء إلى (بيحي بن زكريا) عليهما السلام المسمى عند النصارى (يوحنا المعمدان) فعلمه<sup>(٣)</sup> ثم نزل عليه

(١) راجع قصص الأنبياء ص ٣٨٦ .

(٢) نفلان إنجيل (متى) و (برنابا) .

(٣) أي غسله غسل النوبة وهذا ما يسمى عند النصارى بـ (التعميد) .

روح القدس ( جبريل ) عليه السلام ثم إنه خرج بعد ذلك إلى الأبرية ، وصام فيها أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ، وفزل عليه الوحي يكتب الله المقلس المسمى ( الإنجيل ) وعند ذلك اخبر بدئت رسالة عيسى بن مريم عليه السلام .

والقرآن الكريم لم يذكر مني ابتدأت نبوة المسيح ، ولا كيف كان ذلك ، ولكن عبارات الإنجيل انفقت عن أن نبوته كانت على رأس ثلاثين من عمره وعلى ذلك جرى المؤرخون وبعض المفسرين .

ويقول علماء التوحيد : إن النبوة تكون على رأس الأربعين من العمر وهذا هو الغالب أما ( عيسى ) عليه السلام فقد نبي على رأس الثلاثين وهذه خصوصية له عليه السلام لأنه قد رفع إلى السماء قبل أن يبلغ سن الأربعين ، والدليل على نبوة المسيح عليه السلام قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .. ﴾ .

### دعوة السيد المسيح :

قام السيد المسيح يدعو الناس إلى دين الحق الذي أوحاه الله إليه ، في مجتمع يهودي دخلت فيه المخرافات كثيرة ، ومخرافات وأباطيل ، بسبب تمردهم وفضولهم عن الشريعة الربانية التي أنزلها الله على ( موسى ) عليه السلام .. وكان بنو إسرائيل قد خال عليهم الأمد ففسد قلوبهم ، وحرعوا شريعة الله ، وتلاعبوا بتصوص التوراة ، والمخرفوا عن الطريق لتواضع الذي أقامهم عنده نبيهم ، فبعث الله إليهم ( عيسى بن مريم ) ليردهم إلى الحداثة ، ويصحح ما دخل إلى شريعتهم من تحريف وتبديل ، فقام صلوات الله عليه يلتمهم بأوامر الله ، ويعلمهم ما أنزل عليه من أحكام تشريعية جديدة ، منها تحليل بعض ما كان قد حرم عليهم في شريعة موسى عليه السلام بسبب بغيهم وعدوانهم ، والتي كانت عنوية لليهود في ذلك الحين ، وقد حكى الله جل ثناؤه على لسان السيد

المسيح المهمة التي بعث من أجلها : ﴿ ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ولأجل نكثكم بعض الذي حرّم عليكم ، وجنتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ .

وقد أجرى الله على يد ( عيسى بن مريم ) المعجزات الباهرات تصديقاً لتبوتها وتأليفاً لرسائله : كما سنبين ذلك عند ذكر معجزاته عليه الصلاة والسلام .

وقد لقي لسبب المسيح من اليهود تعنتاً واستكباراً ، ولاقي أثناء دعوتهم أهوالاً وشدائد وخاصة من الكهنة ورؤساء الدين ، فاصطدم معهم بمخاض عتيف ذ حول مفاهيم الدين : وأصول الشريعة الربانية التي جاء بها من قبله ( موسى ) عليه السلام ، والتي حرّفها أولئك الظالمون لمجرمون . فكان يخج ( الفريسيين ) والكنية ، والكهنة<sup>(١)</sup> . فيحضهم بالخج الباطلة ، والبراهين لقاطعة . وابت عيسى عليه السلام بجاهر بدعوته ، ويجاد المشركين ، من كهنة . وكنية . وفريسيين . ويدلّم على الله ، ويأمرهم بالاستغامة ، ويبين فساد طريقتهم ، ويضخ رباهم وخبيثهم . حتى ضاقوا به ذرعاً ، فترروا لتخلص منه . اجتمع عظماء يهود وأخبارهم ، وتشاوروا في أمر المسيح . فلهذا أتى بخلاف أن يفسد علينا ديننا . وبشيعة تناسر فقال لهم رئيس الكهنة : لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره . فأجمعوا على قتله . فسعوا به لدى الحاكم الروماني ( بيلاطس البنطي ) نذري كان حاكماً على اليهود باسم الملك ( قيصر ) وزيّنوا له دعواهم بأنه يريد أن يكون ملكاً على اليهود . وأنه يسعى لتطويض الحكم لقائم ، وأوغروا صدره حتى قرّر أن يتخلص من ( عيسى ) عليه السلام بالقتل والصلب . على طريقتهم التي كانوا يفعلونها فيمن يحكمون عليه بالقتل ، وعلم عيسى عليه السلام بمكر انقوم به . فاختفى عن أعين الرقباء حتى لا يعلم أحد من أعوان الحاكم مكانه فيقبضوا عليه ويسلموه للقتل .

(١) الفريسيون : هم ازهد المنظرون لعبادة و ( الكنية ) هم كذاب شريعة وتوماها ، و ( الكهنة ) هم عمدة الهيكل والعباد .

قالوا : ودخل المسيح إلى (أورشليم) على حمار ، وتلفاه أصحابه بقلوب النخل ، فقال المسيح : « إن بعضكم ممن يأكل ويشرب معي يسلمني ، ثم جعل يوصي أصحابه قائلاً لهم : « قد بلغت الساعة التي يتحول ابن البشر إلى أبيه ، وأنا أذهب إلى حيث لا يمكنكم أن تبحثوا معي ، فاحفظوا وصيتي فسيأتيكم (الفارقيط) <sup>(١)</sup> يكون معكم نبياً ، فإذا اتاكم (الفارقيط) بروح الحق والصدق فهو الذي يشهد عليّ ، ورتما كلعنكم بهذا كيما تذكروه إذا أتى حينه ، فإني قد قلته لكم ، فإني أنا فإني ذاهب إلى من أرسلني فإذا ما أتى روح الحق يهديكم إلى الحق كلية ، ويبينكم بالأمور اليميدة وبمسخي ، وعن قليل لا تروني . ثم رفع المسيح عينه إلى السماء وقال : حضرت الساعة .. إني قد مجدتك في الأرض ولعمل الذي أمرني أن أعمله فقد تمتته <sup>(٢)</sup> . »

انصرف السيد المسيح مع تلاميذه إلى المكان الذي يجتمع فيه هو وأصحابه وكان من ضمن تلاميذه رجل خائن يدعى (يهوذا الاسخريوطي) وهو أحد الحوارين المتفقين الذين أشار إليهم المسيح بقوله السابق « إن بعضكم ممن يأكل ويشرب معي يسلمني » كان هذا الرجل يعرف ذلك الموضع الذي اختبأ فيه المسيح ، فلما رأى انشرط بطنيون المسيح ليقتلوه دلهم على مكانه مقابل هريصات معنودة جعلوها له ، وكانت ثلاثين درهماً ، فلما دخلوا المكان الذي فيه المسيح ألقى الله شبهه على ذلك الخائن (يهوذا الاسخريوطي) فأخذوه وهم يظنونهم عيسى عليه السلام يقتلوه وصلبوه ، ورفع الله سيدنا عيسى عليه السلام إليه ، قال تعالى : « هو ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لئني شكهم . وكان عمر عيسى حين رفعه الله إليه ٣٣ سنة فتكون مدة دعوته لبني اسرائيل ثلاث سنين لأن بعثه كانت في الثلاثين من عمره صلوات الله عليه

(١) الفارقيط : هو النبي عيسى بشر به المسيح ومناه في اليونانية اسيد (وبشرأ برسول يأتي من بعدي اسمه اسيد) .

(٢) تاريخ العيسوي نقل عن كتاب تنقيح الإسلاميه لاسد حنكة .

## مسألة صلب المسيح :

عقيدتنا نحن المسلمين في موضوع ( صلب المسيح ) هي العقيدة الصحيحة السليمة ، التي أُخبر عنها القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهي أن الله عز وجل نَجَّى ( عيسى ) من كيد اليهود ، ورفع به إليه جثاً بجسده وروحه ، وألقى شبهه على ذلك الخائن ( يهوذا الاسخريوطي ) الذي دلَّ اليهود على مكانه ، فصلبوه وهم يظنون أنه المسيح بن مريم ، وكان في ذلك تكريماً لعبده ورسوله عيسى عليه السلام ، ورداً لكيد اليهود الخيلاء ﴿ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين﴾ .

وعقيدة (المسلمين) في النسب نسيج أظهر ، وأكرم ، وأشرف من عقيدة (النصارى) الذين يزعمون أن المسيح قد صلب ، وأن اليهود قد أذاقوه كلَّ إهانة ثم سمروا يديه ورجليه في الخشب ثم صبوه وقتلوه تكفيراً لذنوب بني آدم ، وفداءً لنبيهم . وقد شكَّ (الطواربون) كما شكَّ (اليهود) في أمر عيسى واختلّفوا فيه اختلافاً كبيراً ، فمن هو المصلوب يا ترى ؟ أهو (عيسى) المسيح أم (يهوذا) الاسخريوطي ؟ وذلك لأنَّ ذلك الخائن ما دلَّهم على مكانه طلب من اليهود أن يدخل أمامهم ، ولم يكن في ذلك المكان غير عيسى بن مريم ، فلما ألقى الله شبهه عليه ، ورفع عيسى إلى السماء ، دخل اليهود فلم يجدوا غير إنسان واحد هو (يهوذا) الذي ألقى الله شبه عيسى عليه فقالوا : إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ وأخذه لصلبوه وهو يقول لهم : أنا (يهوذا) ولست عيسى فيضحكون من كلامه ويقولون : تكذب علينا أنت (يسوع) أي عيسى فصلبوه وهم في شكٍّ من أمره وفي اضطراب واختلاف . وقد وردَ القرآن الكريم على اليهود : كما ردَّ على النصارى وذكر العقيدة الحقّة التي يدين بها المسلمون ، والتي هي فصل الخطاب في موضوع (الصلب والقتل) فقال عز من قائل : ﴿وبكفرهم وقولهم عن مريم ببتاناً عظيماً . وفرضم إننا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكنَّ شبهه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ، ما هم به

من عنده إلا اتباع الظن، وما فتوه بقبياً . بل رفعه الله إليه ، وكان الله  
عزيزاً حكيماً ﴿

والعجيب في أمر النصارى ، أنهم يذهبون إلى القرون بصلب السيد المسيح ،  
مع أنهم يعتقدون بألوهيته . أو بأنه ابن الإله !

وإذا صُلب (الإله) فكيف يكون شأن الخلق ؟ ولئن بائري ترك تديير  
العالم بعد أن صلب ؟ ومن هم الذين صلبوه . . أليسوا هم أسرى خلق الله (اليهود  
الخبثاء) عذبهم لعنة الله ؟ فكيف لم يستطع الرب أن يخلص نفسه من بين أيديهم  
أو ينقذ ولده من تكليهم وإجرامهم ؟! ولقد أحسن من قال :

أعباء المسيح لنا سواك فردم جوابه ممن وعاهه  
، إذا صلب الإله بفعل عبدي يهودي فما هذا الإله ؟  
تعدى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

### موضوع الفداء للبشرية :

يقولون : إن المسيح صلب ليخلص بني آدم من ذنوبهم وخطاياهم !!  
هل هنا صحيح ، وهل يتفق مع العدالة الإلهية ، والمنطق السليم ؟! ما هو  
ذنب (عيسى) حتى يصب ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق ؟ هل من العدل  
أن نؤنذ الإنسان بجريرة غيره ؟ إذا ارتكب أخوك (مثلاً) جريمة القتل ،  
أو جريمة زنى ، فما هو ذنبك حتى تؤخذ وتعاقب على الجريمة التي ارتكبتها  
غيرك ؟ إن الحكم الرباني صريح كل الصراحة ولا تزور ولا زوراً وأخرى ﴿  
وكل نفس بما كسبت رهينة ﴿والعدالة الإلهية تقرر أن ﴿من عمل صالحاً  
فلنصيبه ومن أساء فعليها ﴿. والمنطق السليم يحكم بأن العقوبة محل بالمعاصن  
المجرم فقط : ولكنه انعصب لأعمى ، والتفكير السقيم ، الذي يفكر به  
رجال الكنيسة ، ومحشون به أذهان المغنلين .!

يقول السيد (رشيد رضا) في تفسير المنار:

« أما التصاري فإتهم جعلوا خاتمة المسيح عليه الصلاة والسلام خاتمة شنية ،  
ومأساة مروءة ، وجعلوا الاعتقاد بخصوصاً - من الوجه الذي صوروه - أصلاً  
من أصول دينهم ودعمته من دعائم عقيدتهم لا يقبل من مؤمن إيمانه إلا  
بها . ولا يتنعم بعمل صائب : ولا عبادة ولا بر دون الاعتقاد بصليب المسيح .  
وقد نلتسوا لتلك العقيدة أصلاً في (العهد القديم) وأسوا عليه صلب  
المسيح فقالوا : إن ( آدم ) وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل  
من الشجرة ، التي نهاه عن الأكل منها ، فصار خائفاً - وصار جميع ذريته  
خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالفلاك الأبدى .. وقد جاء جميع أبناء آدم  
خطاة مذنبين ، فهم يعملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم . ولما كان الله من  
صفاته العدل والرحمة ، فمن عدته ألا يترك الجرمية دون عقاب وإلا لم يكن  
عادلاً ، ولهذا شاء الله أن يحل أبه ، الذي هو بنفسه ( الله ) في رحم امرأة من  
ذرية آدم ، وينجس جنيناً في رحمها ويولد منها - فيكون ولدها (إنساناً)  
كاملاً من حيث أنه ابن لتلك المرأة ، و (بالأ) كاملاً من حيث أنه ابن الله -  
ويكون معصوماً من جميع المعاصي . ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس ،  
ويأكل كما يأكلون ، ويشرب مما يشربون ، وبتلذذ وبتألم كما يتلذذون ويتألمون  
يأتي أعداء الله ، وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتلة وأفظعها ، وهي أن يصلبوه  
ويسمروا يديه ورجليه في الخشب ، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسمروا  
منه ، ويضفروا له إكليلاً من الشوك ويصفروا في وجهه .. كل ذلك ليفدي  
البشر من جريمة لم يقترفها هو ولا هم<sup>١١</sup> .. » .

أقول : إن هذا القول باطل فإنه لم يتحقق به عدل ولا رحمة ، إذ ليس  
من العدل أن يوتى بريء غير مذنب وبطون ثم جريمة جناها غيره .. ثم إنه  
بخالف الكتاب المقدس عندهم فقد جاء في ( سفر التثنية ) :  
« لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان  
بخطيئته يقتل . »

(١) انظر تفسير المنار ج ٦ ص ٢٤٠ .

## من هم الحواريون ؟

كان لعيسى بن مريم أصحاب وتلامذة سُموا بـ (الحواريين) لصفاء قلوبهم ونقاء سرائرهم وهؤلاء من أنصار السيد المسيح ، وهم يشبهون الصحابة الكرام الذين ناصرُوا رسول الله ﷺ ، وقد ذكرهم القرآن الكريم وأثنى عليهم في قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَسَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ وكل نبي جعل الله تعالى له حوارين وأنصاراً كما قال عليه الصلاة والسلام :

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا جعل له من أمته حواريين وأنصاراً... » الحديث .

وعدد الحوارين ١٢ اثني عشر رجلاً وهم كالاتي :

- ١ - (سمعان) الذي يقال له بطرس - ٧ - (مثنى) العشار .
- ٢ - (أندراوس) أخو سمعان البطرس - ٨ - (توما) .
- ٣ - (يعقوب) بن زبدي - ٩ - (يعقوب) بن حلفي .
- ٤ - (يوحنا) بن زبدي أخو يعقوب - ١٠ - (لباوس) الملقب تداوس .
- ٥ - (برثولماوس) . - ١١ - (سمعان القانوني) .
- ٦ - (فيلبس) . - ١٢ - (يهوذا الأسخريوطي)

وهذه الأسماء للحواريين كما ذكرت في (إنجيل مثنى) وهناك من تلامذته (برنابا) و (تداوس) وقد حذفتهما الكنيسة من الحواريين الاثني عشر ، وذلك لأنهما لا يقولان بألوهية السيد المسيح ، و (برنابا) له إنجيل يسمى (إنجيل برنابا) ولا تعرّف به الكنيسة اليوم لأن فيه ما يخالف عقيدتها ، وفيه أوصاف النبي الأمي الذي بشر به السيد المسيح عليه السلام ، كما قال القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي



التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُجمل لهم الطيبات ويعرم عليهم الخبائث ﴿١٠٠﴾ الآية .

### الأنجيل عند النصارى :

الإنجيل : هو أحد الكتب السماوية الأربعة ، التي أنزلها الله على رسوله الكرام ، والتي يجب الإيمان بها وتصديق ما فيها لأنها منزلة من عند الله ، وهذه الكتب هي ( التوراة ، الإنجيل ، الزبور ، القرآن ) . أما ( التوراة ) فقد نزلت على موسى عليه السلام ، و ( الإنجيل ) نزل على عيسى عليه السلام . و ( الزبور ) نزل على داود عليه السلام ، و ( القرآن ) نزل على خاتم الرسل محمد عليه السلام . ونقطة ( إنجيل ) ليست عربية وإنما هي عبرية ، ومعناها ( البشارة ) ، والآنجيل المعروفة الآن لدى النصارى هي أربعة :

١ - إنجيل متى . ٢ - إنجيل يوحنا . ٣ - إنجيل لوقا . ٤ - إنجيل مرقس . وهناك إنجيل آخر يسمى ( إنجيل برنابا ) لا تعرف عليه الكنيسة اليوم ، وهو أقرب الأنجيل إلى الحق والصواب .

### هل هذه الأنجيل صحيحة ؟ :

من المقطوع به أن الإنجيل الرباني الذي أنزله الله على عبده ورسوله (عيسى ابن مريم) غير هذه الأنجيل الموجودة لدى النصارى اليوم ، فهذه أنجيل دخل إليها التحريف والتبديل كما نص القرآن الكريم ، وبين هذه الأنجيل اختلاف واضح ، ثم إن الله عز وجل أنزل إنجيلاً واحداً فكيف أصبحت أربعة أنجيل . يقول الشيخ النجار في كتابه فصوص الأنبياء :

« أين يوجد اليوم لإنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم ؟ إن الإنجيل الذي أتى به المسيح وبشتم به لا يوجد الآن ، وإنما توجد فصوص ألقها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والخلاف ! فالمسيح ابن مريم جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل ، ولكن الناس على

مرّ الزمان تركوا ذلك الإنجيل . وترتب على ذلك ضياعه واستعمالهم بكتب  
أُنتف بعضها تلاميذ المسيح ، وبعضها أُنته تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم . وقد  
كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربست على المائة ، ومعلوم أنّ الكنيسة رفضت  
ما يخالف رعبتها وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هي عليه من  
انقطاع السند ، وعدم العلم لتام بالمؤلف الحقيقي ، أو لترجم ومبلغ أمانته  
عن القدين وحرصه على الصدق . وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقي المقضي  
إلى أن أحد الأقوال صادق ، وما عداه كاذب<sup>١١</sup> .

أما الأناجيل الخالية فهي عبارة عن مصنّعات تاريخية حول قصة حياة مريم  
وابنها المسيح عيسى ، وما جرى له منذ ولادته حتى نهاية حياته في الأرض  
حسب معتقداتهم . كما تتضمن أخباراً عن (يوحنا المعمدان) وهو يحيى  
عليه السلام .

ولم يكتب شيء من هذه الأناجيل في حياة عيسى عليه السلام ، وإنما كتبت  
بعد رفعه إلى السماء .

١ - فلإنجيل (متى) وهو أقدم الأناجيل عندهم وأولها كتب بعد نهاية  
المسيح بأربع سنوات وقد كتب باللغة العبرية ، والموجود الآن ترجمته : ولكن  
من هو المترجم ؟ وأين الأصل المترجم حتى تم المقارنة بينهما ، كل ذلك  
ليس له عندهم جواب : فأية قيمة علمية إذاً لوثيقة لا يعرف أصلها ولا مترجمها  
وليس لها سند متصل إلى السيد المسيح أو تلاميذه ؟؟

٢ - وإنجيل (مرقس) كتب باللغة اليونانية بعد رفع المسيح بثلاث  
وعشرين سنة ، وقد اختلف النصارى في تاريخ تأليف هذا الإنجيل : فكان فريق  
إن الذي كتبه هو (بطرس) رئيس الحواريين ، وقال آخرون إن (مرقس)  
كتب إنجيله بعد موت بطرس وبعد موت بولس أيضاً وجاء في كتاب (مرشد

(١) قصص الأقباط ص ٢٩١

الظالمين ) : إن إنجيل مرقس كتب بتأثير بطرس سنة ٦١ نفع الأمم الذين كان  
تتصرهم بخدمته . وهذا الإنجيل ينكر ألوهية المسيح .  
وأنت ترى أن اشتك قد وقع عند مؤرخي النصرانية في تعيين كاتب هذا  
النصف بشكل جزم كما ثبت أن عيسى عليه السلام لم يكتب هذا المصنف ولم  
يملك فكيف تضمنت النفس إليه ؟

٣ - وإنجيل (لوقا) كتب باتفاق مؤرخي النصارى بعد عشرين سنة  
من رفع عيسى عليه السلام ، وهو ليس من تلاميذ المسيح اتفاقاً ، ولا من تلاميذ  
تلاميذه ، وإنما هو تلميذ (بولس) وبولس هذا كان يهودياً متعصباً عن المسيحية  
والمسيح في حياته ، وكان يسيء إلى النصارى إساءات بائغة ، ولما رأى  
أنه اضطره النصرانية لا يجدي عمداً من طريق الحيلة إلى الدخول فيها ، وأنظر  
الاعتقاد بالمسيح ، وادعى أنه صرع وفي حال صرعه لمسه المسيح ، وزجره  
عن الإساءة لأتباعه ، ومن ذلك الوقت آمن وأرسله المسيح ليبشر بإنجيله ،  
وانطلت حفته على الكيسة ، وأبج هم أكل الخبث وشرب الخمر ، وقد أتى  
(نوف) في إنجيله بزيادات كثيرة عما ذكره (متى) و (مرقس) بشكل  
واضح يرتاب به القارىء<sup>(١)</sup> .

وهنا يقف البحث العلمي شاكاً في (لوقا) ومنهماً استاذ (بولس)  
بشريف الديانة النصرانية في أصول عقيدتها ومثبتاً أن هذا المصنف لا صلة له  
بعيسى عليه السلام كتابة ولا زملاءً .

٤ - وإنجيل (يوحنا) كتب بعد رفع المسيح بـ ٣٢ سنة وترجم الكنيسة  
لقد هذا المصنف من كتابة (برحنا بن زبدي) أحد تلاميذ المسيح عليه السلام  
وقد أنكر جمهور كبير من مثقبي النصارى نسبة هذا المصنف إليه وبيتوا أنه  
تصنّف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي ، وجاء  
في دائرة المعارف البريطانية ، التي اشترك فيها خمسمائة من علماء النصارى  
ما نصه :

(١) انظر قسم الأنبياء، ص ٤٠٠ .

(أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة  
اثبتين من الحوارين وهما القديسان (يوحنا ومتى) وقد ادعى هذا الكاتب  
المزور في متن الكتاب أنه الحوارية الذي يحبه المسيح .. ) .

وقد انفرد هذا الإنجيل بفقرات تدل على (ألوهية المسيح) والعجيب في  
الأمر أن الكنية تعتمد عليه في معتقدها المخالف لأصول الديانة التي أنزلها  
الله على عيسى عليه السلام مع علمها اليقيني بعدم صحة نسبة هذا الإنجيل إلى  
(يوحنا) أحد تلامذة السيد المسيح .

وقد ذكر الشيخ النجار في كتابه (قصص الأنبياء) صوراً عن تناقض هذه  
الأنجيل الحالية وعن اضطرابها واختلافها بشكل يلمس فيه الإنسان عدم الوثوق  
بما كتب فيها فارجع إليه إن شئت فإنه دقيق ونقيس<sup>(١)</sup> .

وفي الخاتمة يتضح لنا أن الأنجيل الموجودة الآن محرقة ، وأنها غير الإنجيل  
الذي أنزله الله ، وأنها منقطعة الإسناد ومضطربة المتن ويكفي هذا لعدم الاطستنان  
والوثوق بما فيها من أخبار وأحكام .

### عقيدة النصراني في المسيح :

لم يختلف أحد من الناس ، في شأن نبي من الأنبياء ، كما اختلفوا في شأن  
المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولم يقع جدل حول نبوة أحد من الرسل  
كما وقع حول نبوة السيد المسيح عليه السلام .

والعجيب في الأمر أن أهل الكتاب قد تنازعوا في شأن المسيح واضطربوا  
وذهبوا بين إفراط وتغريب .. فاليهود ادّعوا أنه (ابن زنى) لأن الولد لا بدّ  
أن يكون له أب ، والمسيح ليس له أب فلا بدّ أن يكون ابن زنى .. والنصارى  
ادّعوا أنه (ابن الله) لانه خلق من روح الله ، وروح الله جزء من الإله فلا  
بدّ أن يكون ابن الله. لقد عالى الفريقان في شأن السيد المسيح فأناس جعلوه ابن  
الله ، وأناس جعلوه ابن زنى ، والكل على خطأ وضلال ، والحقيقة هي ما

(١) قصص الأنبياء ص ٤٠٢ .

قررها القرآن الكريم وهو أنه رسول من الرسل الكرام بعثه الله إلى نبي اسرائيل بالهدى والبيات ، وأمه هي العفيفة الصديقة ، انطاهرة البتول ، التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين ، استمع إلى هذا البيان الرائع ، وانفق المئين في آيات الذكر الحكيم :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ، كَانَا بِأَكْلَانِ الطَّعَامِ ، انظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ ؟ ﴾

فآية الكريمة فيها ردّ على الفريقين : ردّ على النصارى في دعواهم أنه ابن الله وردّ على اليهود في دعواهم أنه ابن زنى فهو رسول وأمه صديقة ، ثم انظر إلى هذا الأدب الرفيع الذي هو غاية في الإبداع حيث ذكر أكل الطعام ( كانا بأكلان الطعام ) ليشير إلى أن الذي يأكل ويشرب هو محتاج ، والإله ليس بمحتاج ، والذي يتناول الطعام يحتاج إلى إخراج الفضلات ، يحتاج إلى التنظف وإلى أن يدخل بيت الخلا ، فكيف يبق هذه بالإله أو بابن الإله .

وقد ذكر لنا القرآن الكريم عقائد النصارى منفصلة ، وبين أنهم فرق ثلاثة :

- ١ - منهم من يعتقد بأن المسيح هو ابن الله لأنه خلق من روحه .
- ٢ - ومنهم من يعتقد بأن المسيح نفسه هو ( الله ) تجسّد في صورة ( يسوع ) ونزل إلى الأرض ليخلص الناس من آثامهم .
- ٣ - ومنهم من يعتقد بعقيدة التثليث ( الأقانيم الثلاثة ) الآب ، والابن وروح القدس ، وأن الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة .

جاء في كتاب قصص الأنبياء ما نصّه :

« أما جماعة النصارى فقد خلقوا لهم عقيدة هي أن الله مركب من ثلاثة أقانيم : الآب ، والابن ، والروح القدس ، وهذه كلها واحد ، فاحمدهم الله الذي هو الآب أو الابن - على اختلاف اقوالهم - وحلّ في مريم وتجسّد إنساناً وولد منها وهو ( يسوع ) إلى آخر ما يقولون .

وهذا الكلام لم يقله المسيح ولم يعلم به ولكنّ المسيحيين لما أذاعوا المسيحية بين الوثنيين ، الذين كانوا يدينون بالأقانيم وتجسّد الآلهة والصلب والقضاء ،

ودخلوا في المسيحية حاملين تلك العقيدة أحبوا أن يوقفوا بين ما ألفوه من عقيدة وبين هنا الدين الجديد ، وأخذوا يولّهُون المسيح ويقولون : إن الله انحدر منه (انتموم الابن) المتحد مع (الأب) و (الروح القدس) وتجسد في (رحم مريم) ثم خرج إنساناً إلهاً<sup>(١)</sup> .

وبسؤال المرأة كيف يكون (عيسى) إلهاً مع أنه قد خرج من فرج امرأة وولد كبقية الناس ؟ وكيف يكون إلهاً مع أنه كان يأكل ويشرب وينام ويتألم ويبغ ويحتاج للذهاب إلى الحمام ﴿نعلى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً﴾ . ولقد ردّ القرآن الكريم على النصارى باطلهم وضلالهم ، وبين كفرهم وعنادهم ، وذكر ما هم عليه من ضلال وزور وبهتان في شأن السيد المسيح فقال جل ثناؤه :

﴿يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله كنتم له آلفاه إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلاً﴾ .

وقال جل ثناؤه في سورة المائدة مؤكداً كفرهم في تلك العقيدة الضالّة :

﴿فقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله فريسيكم لأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار ، وما للظالمين من أنصار . فقد كفر الذين قالوا إن الله (ثالث) ثلاثة ( وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا باكلان الطعام ، انظر كيف نبيّن لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون﴾ . يؤفكون : أي يصرفون عن الحق إلى الضلال .

وإذا كان اليهود والنصارى يجبرون من أمر (عيسى) لأنه ولد بلون أب

(١) نفس الأنبياء ص ٢٥٤ .

فأمر ( آدم ) أعجب لأنه ولد بدون أب وبدون أم ، فالذي خلق آدم من تراب وقال له كُنْ فيكون هو الذي خلق عيسى بدون أب ، وهو جنّ وعلا القادر على كل شيء ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ومن أجل ذلك ضرب القرآن الكريم المثل بآدم فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾

### معجزات السيد المسيح :

ومعجزات السيد المسيح كثيرة ذكر بعضها القرآن الكريم ، وهي كما سائر معجزات الأنبياء لا تعدل على ( ألوهيته ) وإنما تدل على صدق نبوته ، منها : شفاه المرضى ، وإبراء الأكمّة ( الأعمى ) وإحياء الموتى ، والإخبار عن بعض المنبئيات ، والكلام في المهدي إلى غير ما هنالك من معجزات . قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَبَدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَكُتَلِمُ بِالنَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّبْرَانَ وَالْإِنجِيلَ ، وَإِذْ تَخَلَّقْنَا مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ عَلِيْرًا بِإِذْنِي ، وَتَبْرأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي . . ﴾ الآية .

### خاتمة هل سينزل السيد المسيح إلى الأرض :

لم تنته مهمة السيد المسيح عليه السلام بعد ، وسينزل إلى الأرض لينتقم مناته ويبلغ دعوته ، فهو الآن حيّ في السماء ، رفعه الله تعالى إليه بروحه وجسده ، وقد أخبر الصادق المصطفى عن ذلك ونحن نؤمن بما أخبر عنه القرآن وبما حدثت عنه الرسول المعصوم فقد جاء في الحديث الشريف : « يوشك أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، والحديث وسيحكم بشريعة القرآن فلا يقبل من أحد إلا الإسلام فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

## ٥ - محمد خاتم النبيين ﷺ

محمد رسول الله ﷺ هو خاتم رسل الله جميعاً ، ختم الله به النبوة والرسالة كما ختم بالقرآن العظيم الكتب السماوية ، فكان ختام مسك . إذ هو آخر المرسلين وجوداً ، وأولهم رتبة ومنزلة ، فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة ، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ .

وقال رسول الله ﷺ :

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وَخَلَقَ الْقِبَالَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، وَجَعَلَهُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَبِعَلِّي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا ، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا» .  
رواه أحمد .

وقال ﷺ :

«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لَوْاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي» . رواه الترمذي .

نسبه الشريف :

هو محمد بن (عبد الله) بن (عبد المطلب) بن (هاشم) بن (عبد مناف) بن (فُصَيِّ) بن (كِلَاب) بن (مُرَّة) بن (كعب) بن (شُؤَيْب) بن

(١) يلاحظ نقاري، أننا قد ذكرنا هنا نبذة يسيرة عن رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ولم نعمل لأن التفصيل يحتاج إلى كتاب خاص في تاريخ حياته ودعوته صموات الله وسلامه عليه .



( غالب ) بن ( فيهر ) بن ( مالك ) بن ( أنضر ) بن ( كيسانة ) بن ( خزيمعة )  
 ابن ( مسركة ) بن ( إلياس ) بن ( مضر ) بن ( نزار ) بن ( معدة ) بن ( عدنان )  
 إلى أن ينتهي إلى ( اسماعيل ) بن إبراهيم عليهم السلام .

وكل أجداده ﷺ هم من السادة الأشراف ، ونسبه ﷺ من أشرف  
 الأنساب ، فما بعث الله نبياً إلا في أشرف نسب ، وفي صحيح البخاري لما  
 سأل ( هرقل ) ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله ﷺ قال : كيف نسبه  
 فيكم ؟ قال هو قينا ذو نسب فأجابته هرقل بقوله : « كذلك الرسل تبعث في  
 أنساب قومها ، يعني في أكرم قومها حسباً ، وأشرفها قبيلة . وقد كانت ولادته  
 ﷺ ولادة الظهر وأشرف ، لم يصبه شيء من عهده الجاهلية ، وكان يتكاح  
 صحيح بثبه نكاح الإسلام ، بشهد لذلك قول النبي ﷺ : ( لاني خراجت  
 من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ) وفي رواية عائشة ( ولدت من نكاح غير  
 سفاح ) .

ورسول الله ﷺ هو من أولاد ( اسماعيل ) عليه السلام وليس من أولاد  
 ( اسحق ) وأنبياء بني إسرائيل كلهم من نسل يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ،  
 وأما رسول الله ﷺ فقد كان من ذرية اسماعيل ففي حديث مسلم « إن الله  
 اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيلاً ، واصطفى من بني اسماعيل بني كنانة ،  
 واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني  
 من بني هاشم » وفي بعض الروايات ، فأنا خبار من خيار من خيار .

### ولادته صلى الله عليه وسلم :

ولد صلوات الله وسلامه عليه يوم الاثنين ، الثاني عشر ١٢ من ربيع الأول  
 عام الفيل ، وذلك حوالي سنة ( ٥٧٠ ) ميلادية أعني من ميلاد السيد المسيح  
 عليه السلام ، قال ( ابن كثير ) : وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد يوم الاثنين<sup>(١)</sup>  
 وقد روى ابن عباس قال : « ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستجاب يوم

(١) انبؤاية والنهائة ص ٤١٠ .

الإثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ،  
رواه أحمد .

وأما كونه ولد عام الفيل فذلك مقطوع فيه ، ولكن اختلفوا في اليوم  
والشهر ، والجمهور على أنه في الثاني عشر من ربيع الأول كما نص عليه ابن  
اسحق في السيرة ، وروي عن ابن عباس أنه قال : « ولد رسول الله ﷺ عام  
الفيل يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وفيه بعث ، وفيه عرج  
به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات » قال في البداية والنهاية : وهذا هو  
المشهور عند الجمهور<sup>(١)</sup> .

وأبوه هو ( عبد الله بن عبد المطلب .... ) إلى آخر النسب الشريف كما  
مرّ سابقاً . وأمّ أمه ( آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن  
مرة ... ) وهكذا حتى آخر سلسلة نسب الرسول صلوات الله عليه فتجتمع هي  
وزوجها في الجلد السادس ( كلاب ) .

من هو ابن الذبيحين ؟ : يذكر المؤرخون وأهل السيرة أن رسول الله هو  
المسمى ( ابن الذبيحين ) وقد ذكرنا أنه ﷺ من ولد اسماعيل بن إبراهيم ،  
واسماعيل هو الذي أمير إبراهيم عليه السلام بذبحه في المنام - كما مرّ في قصة  
إبراهيم الخليل - فإسماعيل هو ( الذبيح الأول ) وأما ( الذبيح الثاني ) فهو  
والد الرسول ( عبد الله ) الذي أراد عبد المطلب ذبحه للقصة الآتية :

### قصة ذبح عبد الله :

قال ابن اسحق : « وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - نذر حين لقي  
من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنوه  
ليذبحنّ أحدهم لله عند الكعبة ، فلما تكامل بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه

(١) المرجع السابق ص ٢٦٠ .

وهم ( الحارث ، والزبير ، وحجل ، وضرار ، والمقوم ، وأبو لب ، والعباس  
 وحزمة ، وأبو طالب ، وعبد الله ) جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى  
 الوفاء لله عزّ وجلّ بذلك فأطاعوه وقالوا - كيف تصنع ؟ قال : ليأخذ كل  
 رجل منكم قدحاً ثم ليكتب فيه اسم ثم اتوني ، ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم  
 على ( هبل ) في جوف الكعبة وجاء يستفسم بالقداح ، فخرج القدح على ابنه  
 ( عبد الله ) وكان أصغر ولده وأحبهم إليه ، فأخذ عبد المطلب يد ابنه عبد الله  
 وأخذ الشفرة ثم أقبل به ليذبحه فقامت إليه قريش من أئديتها فقالوا : ما تريد  
 يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش : والله لا نذبحه أبداً حتى نعفر  
 فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء  
 الناس على هذا ؟ ثم دلّوه على عرّافة واسمها ( سجاح ) فأشارت عليه أن  
 يقرب عشراً من الإبل ثم يضرب عليها بالقداح وأن يزيد حتى يرضى الربّ  
 ففعل فخرج القدح عن عبد الله فزاد عشراً ثم عشراً إلى أن بلغت مائة من الإبل  
 فضرب فخرجت على الإبل فقالت قريش : قد رضي ربك فذبح الإبل فداءً  
 لولده عبد الله ومنذ ذلك الحين أصبح يسمى الرسول ابن الذبيحين .

### أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم :

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبكنى ( أبا القاسم ) و ( أبا إبراهيم ) وله عدة أسماء :  
 محمد ، وأحمد ، والماسي الذي يحو الله به الكفر ، والعاقب الذي ليس بعده  
 نبي ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ، والمقفي ، ونبي الرحمة ، ونبي  
 التوبة ، ونبي الملحمة ، والقاتع ، وطه ، ويس ، وعاتم النبيين ١١١ . . وغيرها  
 من الأسماء .

وقد بشرت به التوراة والإنجيل وفيهما أوصافه صلوات الله عليه كما قال  
 تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجْمَعُ لَهُمْ مَكْتُوبًا مِمَّا غَدَسُوا فِي التَّوْرَةِ  
 وَالْإِنْجِيلِ ۚ ﴾ الآية .

(١) انظر البداية والنهاية ص ٢٥٢

واسمه في التوراة (أحمد) وكذلك في الإنجيل وقد بشر به السيد المسيح عليه السلام كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الآية .

ولكن النصارى طمسوا تلك المعالم كلها ، وأنكروا كل وصف له في الإنجيل حسداً وبغضاً ، وزعموا أن الذي بشر به المسيح هو غير محمد وهم ينتظرونه ، وأما ما ورد في (إنجيل برنابا) من أوصاف الرسول ﷺ فقد كذبوا به وأنكروا الإنجيل من أصله لتلايفهم بنبوته ﷺ .

قال القاضي عياض في كتابه (الاشفاء) : وأما اسم (أحمد) الذي أتى في الكتاب ، وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعي به مدعو قبله ، حتى لا يدخل ليس على ضعيف القلب أوشك ، وكذلك (محمد) لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه أحمد ، فسمي قوم من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم<sup>(١)</sup> .

ورسول الله ﷺ هو أثر دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَرَبَّنَا وَايْتُمْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ ولهذا قال ﷺ : أنا دعوة إبراهيم ، وبشري عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام . «رواه أحمد» .

### صفة الرسول في التوراة :

(روى الإمام أحمد عن معناه بن يسار قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحيزراً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل

(١) انظر انشاء القاضي عياض .

لبس يفظر ولا غليظ ، ولا صحاب في الأسواني ، ولا يدفع بالسببة البيئة ولكن  
يعفو ويعفر ، ولئن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا  
الله ، يفتح الله بها أعيناً عمياً ، وأذاناً صماً ، وقلوباً غفماً ) .

وروى ( ابن اسحاق ) عن حسن بن ثابت أنه قال :

( إنني لعلام بفعة -- ابن سبع سنين ، أو ثمان سنين -- عفن ما رأيت وسمعت  
إذا يهودي في يرب ( المدينة المنورة ) يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا  
إليه -- وأنا نسح -- فقالوا : وبلك مانك ؟ قال : قد ظلم نجهم أحمد الذي يولد  
به في هذه الليلة ) .

#### مرضعات الرسول :

أرضع الرسول ﷺ أمه ( آمنه بنت وهب ) و ( نزيبة الأنصارية ) و ( ثم  
أبمن ) و ( خولة بنت المثنى ) وأكثرهن إرضاعاً له ( حليمة السعدية ) رضي  
الله تعالى عنها . قدمت ( حليلة ) مع عشرة نسوة من بني سعد إلى مكة يتسنن  
الرضعاء ، في سنة شهباء شديدة الجحاعة . فعرض رسول الله ﷺ عليهن  
من أجل إرضاعه فما قبلته امرأة منهن لأنه يتيم ، فكانت كلن عرض على  
واحدة منهن تقول : ماذا عسى أن تصنع إني أمه ؟ إنما نرجو المعروف من  
أبي التوليد ، فأما أمه فماذا سرحو منها ؟ وجاءت حليلة بل ( عبد المطلب )  
تطلب رضياً فقار لها : إن عندي غلاماً يتيماً وقد عرضته على نساء بني سعد  
فأبين أن يأخذته ، فهل نك أن ترضيه فعسى أن تسعدي به ؟ فاستشارت زوجها  
( الحارث بن عبد العزى ) فقال لها : لا بأس عليك أن تفعل فعسى أن يعمل  
الله لنا فيه خيراً وبركة .

تقول حليلة رضي الله عنها : فما هو إلا أن أخذته فحجنت به رحلي ،  
فأقبل عليه ثقبدي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي  
وقام زوجي إلى شاربنا فإذا بها مملوءة لبناً ، فحلب لنا ثم شرب وشربنا حتى

(١) انظر السيرة النبوية لابن اسحق والباية والشهنا لابن كثير .

روينا فبتنا بخير ليلة فقال زوجي : يا حليلة والله إنني لأراك أخذت نسمة مباركة  
 ألم تري ما بنتا به الليلة من الخير والبركة !!  
 ثم خرجنا واجمعين فقطعت الركب بأتاني حتى ما يسبقني أحد ، فكننا  
 مررت على صواحي قلن لي يا حليلة : هذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟  
 فأقول : نعم وافقه إنها لمي ، فيقلن والله إن لها لشافاً . قالت : حتى أتينا أرض  
 سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تسرح ثم  
 ترجع شباعاً لبناً تحلب منها ما شئنا ، وترجع أغنامهم جيعاً ما فيها فطرة لبن ،  
 فلم يزل الله تعالى يربنا الخير والبركة حتى يبلغ سنتين ، فكان يشب شهاباً لا يشبه  
 الغلمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً نوباً (١) .

#### حادثة شق الصلح :

بينما رسول الله ﷺ مع إخوته من الرضاع يرعى غنماً لحليمة السعدية  
 إذ جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجماه فشققا بطنه ، فجاء أخوه من الرضاع  
 يشد ثم بيت حليلة فأخبرها الخبر ، قالت : فخرجت أنا وأبوه نشد (نسرع)  
 نحوه فوجدناه قائماً متضماً لونه ، فاعتنقه أبوه وقال : يا بني ما شأنك ؟ قال  
 جاعني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجماني وشققا بطني ثم استخرجا منه شيئاً  
 فطرحاه ، ثم رداه كما كان قالت : فرجعنا به معنا ، فقال أبوه يا حليلة :  
 لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانظمني بنا فرددنا إلى أهله قبل أن يظهر  
 به ما نخاف عليه ، قالت حليلة : فأحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما شأنكما  
 لقد كنتما عليه حريصين ، فقالا لها : لقد خشينا عليه التلف والحدث - وحدناها  
 بقصته - فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا وافقه ما للشيطان عليه من سبيل ،  
 والله إنه لكان لابني هذا شأن ، ثم قالت أمه آمنه : ألا أخبركما بحبره ؟ قلنا  
 بلى قالت : إني لما حملت به ما حملت حملاً قط أحقر منه ، فأريت في  
 النوم حين حملت به كأنه يخرج مني نور أضواء له قصور الشام ، ثم لما ولدته

(١) انظر سيرة ابن اسحاق .

رأيت منه عجباً ، وأيته رافعاً رأسه إلى السماء معتمداً على يديه ، كأنه يريد أن يتكلم فدعاه عنكما (١) ..

قال ابن كثير : وهذا الخبر روي من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة بين أهل السير والمغازي . وقد وقعت حادثة شق الصدر لرسول الله ﷺ في صغره وعمره قريب من ثلاث سنين ، وكان لا يزال عند حليلة السعدية ، كما وقعت له حادثة أخرى تماثلها قبل الإسماء وذلك حين شق صدره واستخرج قلبه الشريف ففصل بماء زمزم واستخرج منه حظ الشيطان وملء جوفه حكمة وعلماً (٢) .

وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة أن بعض الصحابة سألوا رسول الله ﷺ فقالوا أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، واسترضعت لي بني (سعد بن كعب) فبينما أنا في بهم لنا أناني رجلان عليهما ثياب بيض ، معهما طست من ذهب مملوء نلجاً ، فاضجماني فشققا بطني ثم استخرجا قلبي فشققاه فأخرجوا منه علقة سوداء فألقياها ، ثم غسلا قلبي ويطي بذلك الثلج حتى إذا انقياها ردها كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنتي بعشرة فوزنتهم ، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنتي بمائة فوزنتهم ، ثم قال زنه بألف من أمته فوزنتي بألف فوزنتهم ، فقال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنتهم (٣) ، قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد قوي .

يتلخص من هذا أن (حادثة شق الصدر) للرسول الأعظم ﷺ قد وقعت له مرتين مرة في صغره حين كان مسترضعاً عند حليلة السعدية ، ومرة في كبره وذلك في ليلة الإسماء كما ثبت ذلك في الصحيحين ، وليس هنا بالأمر

(١) انظر البداية والنهاية ص ٢٧٤ .

(٢) الحديث مروري في الصحيحين .

(٣) انظر البداية والنهاية ص ٢٧٤ .

المستغرب على قدرة الله عز وجل فقد أصبح النشق في زماننا أمراً مأذوفاً ، يفعلها الطيب الجراح بالشخص المريض فيستخرج قلبه ويجري فيه العملية الدقيقة ثم يرده إلى مكانه والمريض لا يشعر بالألم أو غيره ويرجع المريض صحيح الجسم ، قوي البنية كأنه لم يكن به مرض ، كما أصبحت عملية ( زرع القلب ) شائعة في كثير من البلدان ، وانعمليات الجراحية اليوم أصبحت مألوفاً وعادية بحيث تجري في أدنى أقسام البدن ، أفبكون شن صدر الرسول ﷺ مستحيلاً على قدرة الله عز وجل حتى ينكره بعض ضعفاء الإيمان !! ويولوا الخلدانة تأويلاً باطلاً ما أنزل الله به من سلطان !!

### أولاد الرسول :

أولاد الرسول ﷺ سبعة وكلهم من ( خديجة ) رضي الله عنها إلا ( إبراهيم ) فهو من مارية القبطية . وهم كالتالي :

١ - ( القاسم ) : وهو أكبر أولاده وبه يكنى صلوات الله عليه وقد عاش ستين ثم مات .

٢ - ( عبد الله ) : وهو الثاني من الذكور وقد مات صغيراً في حياة الرسول .

٣ - ( زينب ) : وهي أكبر بناته تزوج منها أبو العاص .

٤ - ( رقية ) : تزوج منها عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٥ - ( أم كلثوم ) : تزوج منها عثمان أيضاً بعد وفاة رقية بسنة .

٦ - ( فاطمة الزهراء ) : تزوج منها علي بن أبي طالب ، وتسلسل منها آل بيت النبوة ، وكلهم ولدوا قبل البعثة إلا السيدة فاطمة فبعد النبوة بسنة .

٧ - ( إبراهيم ) وهو من مارية القبطية التي تزوج بها بعد وفاة خديجة وكل أولاده ماتوا قبله إلا السيدة فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر ، رضي الله عنهم جميعاً .



قال ( ابن هشام ) : وكان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة .

ولم بعدد رسول الله ﷺ زواجه إلا بعد وفاة السيدة خديجة وذلك لحكم جليلة منها : ( تعلبية ، وتشريعية ، واجتماعية ، وسياسية ) والله الموفق والمهدي إلى سواء السبيل .

### حياة الرسول في كلمات :

حياة الرسول الأعظم ﷺ تحتاج إلى مجلدات ضخمة وإلى كتابة موسعة عن نشأته ودعوته ورسالته ، ولذالك فإننا سنذكر بعض النقاط ونجتزئ بها :  
١ - نشأ الرسول ﷺ على اليم والاعتراب وخشونة العيش وآلام الحياة فقد توفي أبوه ( عبد الله ) قبل ولادته وهو جنين في بطن أمه فجاء يتيماً محروماً من عطف الأب وحنانه .

٢ - ولما بلغ من العمر أربع سنين أوجعته ( حليمة السعدية ) مرضته إلى أمه في مكة فبقي عندها مع جده ( عبد المطلب ) في كلاءة الله ورعايته وحفظه ، ينشئه الله نباتاً حسناً ، لما يريد به من كرامته وتوفيقه .

٣ - ولما بلغ من العمر ست سنين أخذته أمه ( آمنة ) إلى المدينة المنورة لزيارة بني النجار أحوال أبيه ، فماتت وهي راجعة إلى مكة في ( الأيوام ) بين مكة والمدينة فاصبح رسول الله ﷺ يتيم الأيوان .

٤ - بقي رسول الله ﷺ في كفالة جده عبد المطلب بعد وفاة أمه ، وكان جده يحبه ويكرمه ، ويجلسه على فراشه الذي يفرش له في ظل الكعبة ، وكان أولاده لا يجلسون على الفراش إلا لأبيهم ، فإذا جاء رسول الله وهو غلام جفتر وأراد الجلوس منعه أعمامه فكان أبو طالب يقول لهم : دعوا النبي فوالله إن له نشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ويلاطفه ، وهذا من عناية الله تعالى به وجليل إحسانه إليه ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾ .

٥ - بعد سنتين من كفالة جده عبد المطلب توفي جده فكفله عمه ( أبو

طالب ) وكان الرسول ﷺ ابن ثمان سنين ، وقد أوصى جده قبل وفاته به  
أبا طالب فكان أبو طالب يكرمه ويعطف عليه لأنه ابن أخيه ( عبد الله ) وتنفيذاً  
لوصية أبيه . وهكذا نالت التكريات على رسول الله ، فلم يعن به مؤذّب ،  
ولم يوجهه مدرّب ، ولكن الله عز وجل حفظه ورعاه ، ونشأه على كمال  
وخلق عظيم ، أدبني ربي فأحسن تأديبي .

٦ - تروّج ﷺ بخديجة لما بيع من العمر ٢٥ سنة ، وأوحى الله تعالى  
إليه لما بلغ ٤٠ أربعين سنة وذلك حوالي سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام  
وأمره بتبليغ ما أنزل إليه بعد ٣ ثلاث سنوات من نبوته ، فقام يدعو إلى الله  
بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليث يدعو إلى الله في مكة وما حورها نحواً من  
عشر سنين حتى أذن الله له بالهجرة إلى يثرب ( المدينة المنورة ) .

٧ - هاجر الرسول إلى المدينة وجعلها مركز دعوته ، وعاصمة دولته  
الدينية - دولة الإسلام - وكان ذلك بأمر من الله تعالى وتوجيه منه ، فهاجر  
ومعه ( أبو بكر الصديق ) لا فراراً من زحف ، ولا خوفاً من قتل ، وإنما  
بتخطيط وتدبير من العليّ القدير ، وبذلك بدأت نواة ( الدولة الإسلامية ) وقام  
بيان الجماعة المحمدية التي فتحت - فيما بعد - مشارق الأرض ومغاربها ،  
ولشرت الإسلام في ربوع العالم ، وأصبحت كلمة الله هي العليا .

٨ - ولما أكمل الله للناس دينهم ، وأتمّ عليهم نعمته ، وأدّى رسوله  
محمد ﷺ الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وفتح عليه بالنصر المبين ،  
اصطفاه الله تعالى إليه ، واختاره بلمواره ، فقبض روحه ، وكان ذلك في يوم  
الاثنين من ربيع الأول لسنة ١١ من الهجرة النبوية .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

## الفصل السابع

### ٢ - الرسل غير أولي العزم

- ١ - إدريس عليه السلام
- ٢ - هود عليه السلام
- ٣ - صالح عليه السلام
- ٤ - لوط عليه السلام
- ٥ - إسماعيل عليه السلام
- ٦ - إسحاق عليه السلام
- ٧ - يعقوب عليه السلام
- ٨ - يوسف الصديق عليه السلام
- ٩ - شعيب عليه السلام
- ١٠ - أيوب عليه السلام
- ١١ - ذوالكفل عليه السلام
- ١٢ - هارون عليه السلام
- ١٣ - داود عليه السلام
- ١٤ - سليمان عليه السلام
- ١٥ - إنياس عليه السلام
- ١٦ - اليسع عليه السلام
- ١٧ - يونس عليه السلام
- ١٨ - زكريا عليه السلام
- ١٩ - يحيى عليه السلام



## ٢ - الرسل غير أولي العزم

### ١ - إدريس عليه السلام

﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً﴾.

• • •

إدريس عليه السلام هو أحد الرسل الكرام الذين أخير الله تعالى عنهم في كتابه العزيز ، وذكره في بضعة مواضع من سور القرآن . . وهو ممن يجب الإيمان بهم تفصيلاً أي يجب اعتقاد نبوته ورسالته على سبيل القطع والجزم ، لأن القرآن قد ذكره باسمه وحدث عن شخصه بوصفه بالنبوة والصدقية فقال عز من لائل : ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً﴾ .

#### نسبه عليه السلام :

هو إدريس بن يارد بن مهلائيل . . وينتهي نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام ، واسمه عند العبرانيين (خنوخ) وفي الترجمة العربية (أخنوخ) وهو من أجداد نوح عليه السلام ، وقد زعم بعض المؤرخين أنه لم يكن قبل نوح بل في زمن بني إسرائيل ، وهو زعم خاطيء رده الحافظ ابن كثير وغيره من المؤرخين الثقات .

#### مولده ونشأته :

إدريس عليه السلام هو أول بني آدم أعطى النبوة بعد (آدم) و ( شيث ) عليهما السلام ، وذكر ابن اسحاق أنه أول من خطب بالفلم ، وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام ٣٠٨ سنوات لأن آدم عثر طويلاً زهاء ١٠٠٠ ألف سنة كما مر في قصته<sup>(١)</sup> عليه السلام .

(١) انظر البداية والنهاية الجزء الاول ص - ٩٩ .

وقد اختلف لعلماء في مولده ونشأته .. فقال بعضهم : إن إدريس ولد  
 ببابل . وقال آخرون إنه ولد بمصر ، والصحيح الأول . وقد أخذ في أول  
 عمره بعلم شيث بن آدم . ولما كبر آناه الله نبوة ، فنهى المقصد من يحيى  
 آدم عن مخالفتهم شريعة ( آدم ) و ( شيث ) فأطاعه نفر قليل . وخالفه جم  
 غفير ، فنرى الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك ؛ فشغل عليهم الرحيل  
 عن أوطانهم ، فقاتلوا له : وأين نجد إذا رحلنا مثل ( بابل ) ؟ فقال : إذا هاجرنا  
 لله رزقنا غيره ، فخرج وخرجوا حتى وصلوا إلى أرض مصر فرأوا اتبيل فوقف  
 على التبل وسبح الله ، وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الناس إلى الله وإلى  
 مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup> .

وقد كانت مدة اقامة ( إدريس ) عليه السلام في الأرض ( ٨٢ ) سنة ثم  
 رضى الله إليه كما قال تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ .

وكانت له مواظب وآداب ، فقد دعا إلى دين الله ، وإلى عبادة الخالق جل  
 وعلا ، وتخلص النفوس من العذاب في الآخرة ؛ بالعمل الصالح في الدنيا ،  
 وحض على الزهد في هذه الدنيا القانية الزائلة ، وأمرهم بالصلاة والصيام والزكاة  
 وغلظ عليهم في الظهارة من الجنابة ، وحرم المسكر من كل شيء من المشروبات  
 وشدد فيه أعظم تشديد ، وقيل إنه كان في زمانه ٧٢ لساناً يتكلم الناس بها ،  
 وقد علمه الله تعالى متطفيهم جميعاً ليعلم كل فرقة منهم بلسانهم كما قال تعالى  
 ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ . وهو أول من حلّم السياسة  
 المدنية ، ورسم لقومه قواعد تمدن المدن ، فينت كل فرقة من الأمم مدناً في  
 أرضها ، وأنشئت في زمانه ١٨٨ مدينة .

وقد اشتهر بالحكمة .. فمن حكمه قوله ( خير الدنيا حسرة ، وشرها ندم )  
 وقوله ( السعيد من نظر إلى نفسه ، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة ) وقوله  
 ( الصبر مع الإيمان يورث الظفر ) إلى آخر حكمه الكثيرة التي اشتهر بها عليه  
 وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

(١) انظر تفصيص الأئبياء لجناب ص ٢٦ .

## ٢ - هود عليه السلام

﴿وإني عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا اللهَ ما لكم من إلهٍ غيره  
أفلا تتقون ؟﴾ .

ذكر ( هود ) عليه السلام في القرآن الكريم سبع مرات ، في عدد من السور  
الكريمة منها سورة الأعراف ، وسورة الشعراء ، وهناك سورة كاملة تسمى  
بسورة ( هود ) . . وقد أرسله الله تعالى إلى قبيلة عظيمة من العمالة تدعى قبيلة  
( عاد ) وفيهم بقول الله جل ثناؤه :

﴿كذَّبتْ عادُ المرسلينَ . إذْ قال لهمُ أخوهم هودُ ألا تتقونَ ؟﴾ .  
و ( عاد ) هي من القبائل العربية البائدة ، المنقرعة من أولاد ( سام بن نوح )  
وسميت بذلك نسبةً إلى أحد أجدادها وهو ( عاد بن عوض بن أرم بن سام ) .

### نسب هود :

هو ( هود ) عليه السلام بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن ( عاد ) جد  
القبيلة وينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام ، وهذا هو الذي اختاره ابن  
جرير ، وقد ذكر ( محمد بن اسحاق ) نسباً يختلف عن هذا النسب والصحيح  
ما ذكرناه وقد رجحه الأستاذ ( النجار ) في كتابه فصوص الأنبياء .

### مساكن عاد :

كانت مساكن ( عاد ) في أرض الأحقاف جهة اليمن . من جوارب شبه  
الجزيرة العربية ، ويقع شمال حضرموت . وفي شمالها الربع الخالي . وفي شرقها

(عَمَّان) وموضع بلادهم انيوم رمال ، ليس بها أقيس ولا سمير ، بعد ذلك العمران والتعيم المقيم ، قال تعالى :

﴿وَإِذْ كَرَّأَخَا عَادٌ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْضَابِ ، وَقَدْ خَلَّتِ الشَّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .  
وعاد هم (عاد إرم) التي تسمى عاد الأولى ، وأما عاد الثانية فسأخرة قال تعالى : ﴿وَأَنذَرْتُ أَهْلَكَ عَادًا الْأَوَّلَى وَنَعُدُّ مَا أَبَقِيَ﴾ وتسمى (عاد إرم) لقوله تعالى : ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَل رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ﴾ .

وقد كانت هذه القبيلة من العمالقة أشدّاء أقرباء ، وقد زادهم الله بسطة في الجسم ، وكانوا مترفين في الحياة ، يتنون القصور الفخمة الشاهقة ، وقيمون الفلاح والحصون ، وعندهم البساتين النضرة ، والعيون الجارية ، وقد عرفوا في النعم ، وانغمسوا في اليلذخ والترف ، وقد فصّ القرآن الكريم ما كانوا عليه من مظاهر التعمّة والترّف فقال عزّ من قائل :

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ؟ وَتَسْخَدُونَ مِمَّا لَكُمْ تَخْلُدُونَ .  
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جِبارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنّاتٍ وَعَيْونٍ﴾ .

وقد كانت أجسادهم قوية ، وبنيتهم ضخمة مبنية ، وكانوا إذا مشوا على الأرض تهتز الأرض تحت أقدامهم لتقلعهم ، كأنهم الجبال لقرض طوهم ، وضخامة أجسادهم ، فاغترّوا بقوتهم ، واستكبروا على الله ، وعتوا عن أمر رسله ، وتنادوا في طغيانهم فأهلكهم الله بالريح العاتية كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَقَالُوا : مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْدِثُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِبِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلِئَعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ .



## عيادتهم :

كان قوم ( هود ) عليه السلام أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى ، وهم أول من عبد الأصنام بعد انطوفان ، قال ابن كثير : وكانت لهم أصنام ثلاثة ( صدا ، وصمودا ، وهرا ) وكانوا عرباً جفاة ، عتاة كافرين مشركين على الله ، وكان ( هود ) عليه السلام ينذرهم ويحذّرهم عذاب الله ، ويضرب لهم المثل بقوم نوح ويذكّرهم بنعم الله تعالى عليهم ، ويبين لهم أنه لا يطلب على نصيبته أجرًا منهم ، ولا ينغي جزاء ولا شكوراً ، وكان منهم ناس قد عنوا عتواً كبيراً فقد قاموا دعوته ، وسقّوها رأيه ، وعزموا على الفلك به ، ورموه بالسفح والجنون ، واتهموه بأن آلهتهم قد أصابته بسوء ، وأن ما يهزيء به إنما يسبب مس الآفة له قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ قَالُوا يَا هودُ ما جئناك ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين . إن نفوسنا إلاّ اعترالك بعض آلهتنا بسوء ، قال : إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكبدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ .

وقد أنذرهم ( هود ) عليه السلام عذاب الله ، ولكنهم بقوا على كفرهم وعنادهم .

## هلاك عاد :

لما طغت عاد وتمردت على نبي الله ( هود ) عليه السلام ، ولم ينفعها التذكير والإنذار وتمادت في طريق العصيان ، حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين ، حتى اشتد عليهم الجهد والبلاء ، فاستغاثوا واستنججوا فأرسل الله عليهم سحاباً كثيفاً من السماء ، فلما رأوا السحاب فرحوا واستبشروا وظنوا أنه مطر غزير ، وأن الله قد فادركهم برحمته واستجاب دعاءهم حين استغاثوا ، فلما أظفنتهم السحابة وأوها سوداء ففرحوا ، ثم هبت عليهم الريح - وكانت ريحاً عصفياً -

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٢١ .

وسنظفها الله عليهم سبع نيازك وثمانية أيام حسوماً ، فأهلكهم الله وأبادهم ،  
 وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل خاوية ، ونجى الله هوداً والذين آمنوا  
 معه برحمته من ذلك العذاب العليظ ، وكان الذين هلكوا من قوم عاد قد هلكوا  
 عن آخرهم ، فلم يبق من أنفسهم ولا من ديارهم شيع ولا رسم لأن الريح قد  
 دمرت كل شيء ، منهم تبق عليهم وم نذر استمع إلى قوله تعالى :  
 ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِمَّنْزَلْنَا . بَلْ  
 هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . تَلْمِزُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا  
 لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ وَهَذِهِ الرِّيحُ تَسَمَّى (الرِّيحَ  
 الْعَقِيمَ) أَي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ :  
 ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ . مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا  
 جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ .

وقد سكن (هود) عنه السلام بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات  
 ودفن في شرقي حضرموت على بعد مرحلتين من مدينة (تريم) . وقد روي  
 عن علي بن أبي طالب أنه مدفون في كتيب أحمر وعند رأسه سمرة في حضرموت  
 ويزعم أهل فلسطين أنه مدفون عندهم والصحيح ما ذكرناه والله أعلم .

### ٣ - صالح عليه السلام

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾ .

نسبه عليه السلام :

هو صالح بن عبيد بن آسف .. ويتنهي نسبه إلى ( سام بن نوح ) وقد أرسله الله تعالى في قبيلة من القبائل العربية البائدة وهي قبيلة ( ثمود ) وسببت بذلك نسبة إلى أحد أجدادها وهو ( ثمود بن عامر ) من أولاد سام بن نوح .  
ويقال للعرب الذين كانوا قبل ( اسماعيل ) عليه السلام ( العرب العاربة ) وهم قبائل كثيرة منهم عاد ، و ثمود ، وجرهم ، و مدين ، و قحطان .. الخ .  
وأما العرب المستعربة فهم من نسل ( اسماعيل ) بن إبراهيم الخليل . وكان اسماعيل عليه السلام أول من تكلم بالعربية الفصحى البليغة ، وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه ( هاجر ) في مكة المكرمة<sup>(١)</sup> .  
والمقصود أن قبيلة ( ثمود ) كانت قبل اسماعيل عليه السلام ، وأنهم من العرب العاربة .

مساكن ثمود :

كانت مساكن ثمود بالحِجر ، ولذلك سَمَّاهم الله في القرآن الكريم ( أصحاب الحجر ) قال تعالى :

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٢٠ .

عنها معرضين ﴿

وأما الحجر فهي تقع بين (الحجاز والشام) ويمرّ عليها مسافر بطريق البر،  
وتعرف الآن بـ (فجّ الثافة) وآثار مدائن هؤلاء القوم ظاهرة حتى الآن  
وتسمى (مدائن صالح) .

يقول المسعودي :

«ورمهم باقية ، وآثارهم بادية . في طريق من ورد من الشام ، وحجر  
ثمود في الجنوب الشرقي من أرض مدين ، وهي مصابغة لخليج العقبة ، أي أنها  
قريبة من خليج العقبة .

### أصل قبيلة ثمود :

وقد اختلف المؤرخون في أصل ثمود وزمن وجودهم ، فقائ بعضهم :  
إنهم بقية من قوم (عاد) ، وقال آخرون : إنهم بقية من العماليق انتقلوا  
إلى ذلك المكان من غرب الفرات ، ويرى بعض المؤرخين من المستشرقين أنهم  
قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية ولم يدخلوا فلسطين .. وهذا الرأي باطل لأن  
اليهود لم يهجروا إلا بعد خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من أرض مصر  
فكيف يكونون يهوداً ؟ وأصح الأقوال أنهم كانوا عرباً من بقايا قوم عاد ،  
ويؤيد هذا الرأي قول الله تعالى عن لسان نبيه الكريم (صالح) عليه السلام :  
﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم في الأرض  
تنتحلون من سهواً فصوراً ..﴾ .

يقول (ابن كثير) رحمه الله :

« وهم قبيلة مشهورة يقال لها (ثمود) باسم جدّهم ثمود أخي جدبس ،  
وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك ، وقد مرّ  
به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين ، فلما نزل بهم  
الحجر عند بيوت ثمود استقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٢٨ .

فاجتروا منها وطبخوا، فلما علم الرسول ﷺ بذلك أمرهم أن يريقوا الخمر وأن يعنفوا العجين الإبل، ولأن عمل بهم حتى نزل الوحي كانت تشرب منها الناقة وقال لهم - كما في الصحيحين - لا تدخلوا على هؤلاء الملعدين إلا أن تكثرُوا بأكين، فإن لم تكثرُوا بأكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم. وأما زمن وجود (ثمود) فلم يعلم بالضبط إلا أنهم كانوا بعد (عبد) كما أشارت الآية الكريمة: وقبل الميلاد وقبل زمن موسى عليه السلام قطعاً بدليل قول مؤمن آل فرعون يخوف قومه عذاب الله:

﴿وقال الذي آمن يا قوم إنني أخافُ عليكم مثل يوم الأحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم وما الله يريدُ ظمناً للعباد﴾. وممن روي على دعوى المستشرقين أن قبيلة (ثمود) من اليهود الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء فارجع إليه إن شئت<sup>(١)</sup>.

### عبادة قوم ثمود:

كانت قبيلة (ثمود) تدين بعبادة الأوثان، وتكفر بالله الواحد الذي لا يشع الله إليهم سيدنا (صالح) عليه السلام، يذكّرهم بتعم الله، ويهديهم طريق التموز والسعادة، وأنهم خلفاء في الأرض من بعد قوم (عاد)، وأمرهم بالتقوى، ونههم عن عبادة الأصنام فظلموا مشعدين في غواياتهم، عاكفين على عبادتهم الباطلة، وكانوا أهل خصيب ونعم، لما لهم من الخيرات الوفرة، والجنات الزاهرة، والعيون البخارية، وقد ذكرهم الله تعالى بهذه النعم بقوله: ﴿أَشْكُرُكُمْ فِيمَا هُمْ أَتَيْنَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْجِيَتٍ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَئِذٍ فَارِهِينَ﴾ فآمن به نفر قليل، وأكثرهم كذابره وكفروا برسالته، وعنوا في طغيانهم عتواً كبيراً، وطلبوا منه معجزة تشهد بصدقه، فجاءهم بمعجزة (الذاقة) وقد كانت آية عظيمة دالة على صدق

(١) قصص الأنبياء، ص ٤٩.

(صالح) عليه السلام ، حيث خرجت الناقة من صخر أصم ورأوا بأعينهم كيف انقلبت الصخرة وخرجت منها ناقة عسراء .

### لماذا كانت الناقة معجزة ؟

وقد كان لهذه الناقة بعض الأمور العجيبة لغريبة التي تدل بحق علي صادق صالح عليه السلام ومعنى أنها آية من عند الله تعالى منها :

أولاً : خرجت من الصخر وهو حجر أصم من الجماد فكيف يخرج منه الحيوان ؟

ثانياً : كانت تشرب ماء القبيلة بأجمعه ﴿لما شرب﴾ ولكم شرب يوم معلوم ﴿واستيقنا ناقة﴾ لشرب أمة أمر عجيب .

ثالثاً : إنها كانت تعطي القينة من (الخليب) بقمير الماء الذي شربته وهذا أيضاً أمر عجيب .

قال (الإمام الرزي) رحمه الله : واعلم أن القرآن قد دلّ على أنّ نبي الناقة (آية) وأما أنها آية من آيات الوجوه فهو غير منكور فإن تعالى : ﴿هذه ناقة الله لكم آية فنروها ناكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب أليم﴾ .

ولقد كانت هذه الآية المعجزة برهاناً ساطعاً على صادق نبي الله صالح عليه السلام ، كما كانت بطلب منهم حيث وعدوه بالتباعد والإيمان به إن هو شق لهم الصخر وأخرج لهم منه ناقة . يقول (ابن كثير) : وقد ذكر المنسرون أن (نمود) اجتمعوا يوماً في قاديهم ، فجاءهم صالح فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذّرهم ووعظهم فقالوا له : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة . وأشاروا إلى صخرة عظيمة - ناقة عسراء (بمعنى حذناً) يكون من أوصافها كذا وكذا نؤمن بك ونصنقك ، فأخذ عليهم نبي الله العهود والمواثيق على ذلك ثم قام إلى مصلاه فصلى ودعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأجاب الله دعاهم

فانفطرت الصخرة عن ناقة عظيمة عشاء على الوجه المطلوب فلما عاينوها رأوا  
 أمراً عظيماً ، ومنظراً هائلاً ، وقدره باهرة ، ودليلاً قاطعاً ، وبرهاناً ساطعاً  
 فأمن بعضهم ، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وخذلهم ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ  
 النَّاقَةَ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾<sup>١١</sup> .

### هلاک ثمود :

وقد حذّرهم (صالح) عليه السلام من التعرض للناقة بسوء ، وأنذرهم  
 عذاب الله إن هم أقدموا على قتلها ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ  
 يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

ولكن النفوس العانية التي لا تسمع موعظة ، ولا تقبل نصيحة ، والتي  
 قد أعماها حب التمرد والظلمان ، وأصم آذانها عن قبول دعوة الله ، قد أبت  
 إلا الإجرام ، فأقدموا على عقر الناقة بغياً وعتوا ﴿فَعَمَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ  
 أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقَالُوا : يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

وقد قص الله علينا قصتهم في سورة الشمس ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا . إِذِ  
 انبَعَثَ أَشْقَاهَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ،  
 فَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فِسَوْأَهَا . وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا﴾ .

وكان أول من سطا على الناقة الشقي النعير (قنذار بن سالف) فعقرها  
 فسقطت عن الأرض فابتدرها الرجال بأسياهم يقطعونها وكانوا تسعة كما أخبر  
 الله عز وجل ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ أَيُّ أَشْخَاصٍ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ  
 وَلَا يَصْلِحُونَ﴾ وقد هموا بقتل نبي الله (صالح) عليه السلام بعد قتل الناقة  
 لا سيما بعد أن أنذرهم بعذاب الله ونوعتدهم به بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة  
 ﴿فَعَمَرُوهَا فَقَالَ لَمُتُّمْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْلُوبٍ﴾ فأرسل  
 الله على أولئك النفر الذين قصدوا قتل (صالح) حجارة من السماء رخصتهم  
 ودمرتهم قبل قومهم .

(١) البداية والنهاية بصرف من ١٣٤ .

قال ( ابن كثير ) : وأصبحت ثمود في اليوم الأول من موعد حلول العذاب وقد اصفرت وجوههم ، ثم أصبحوا في اليوم الثاني وقد أحمرت وجوههم . ثم أصبحوا في اليوم الثالث وقد اسودت وجوههم كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما انتهت الأيام الثلاثة ومع شروق الشمس جادتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم . ففاضت الأرواح ، ورهقت النفوس ، وسكنت الحركات ، وخبعت الأصوات . وحسنت الحفاتق . فأصبحوا في دارهم جائعين جثثاً هامدة ، لا أرواح فيها ولا حرارة <sup>١١</sup> ﴿فقدمتم عليهم ربهم بذنبيهم فسوأها ولا يحافظن عقباها﴾ .

وقد كان هلاكهم بأنواع من العذاب ( الصاعقة ) التي دمرتهم و ( الصيحة ) التي أخذتهم ، و ( الرجفة ) التي زلزلت تحتهم الأرض حتى هلكوا عن بكرة أبيهم ، وكل هذه الأنواع من العذاب قد أُخبر عنه القرآن في الآيات الكريمة التالية :

أولاً : قال تعالى ﴿وَأَمَّا ثمودُ فهديناهمُ فسحقوا لعمى على الهدى فأخذتهم صاعقةُ العذابِ الهونِ بما كانوا يكسبون﴾ .

ثانياً : وقال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحًا وَاجِدًا فَكَانُوا كَهَشِيمٍ مُّخْتَطِرِينَ﴾ ثالثاً : وقال تعالى ﴿فَقَعَرُوا النَّاظِقَ وَعَتَوْا مِنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِكَ عَدُوٌّ وَإِنْ كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَسْبَغَتْهُمْ الرِّجَّةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ .

وأما ( صالح ) والذين آمنوا معه فقد نجوا من حاق بقومهم من العذاب ، الذي أذركم بعد ثلاثة أيام من جرمتهم الشكراء ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ . وقد كان للذين نجوا مع صالح ( ١٢٠ ) مائة وعشرين من المؤمنين : أما الملاكون فكانوا أهل خمسة آلاف بيت كما يذكر ( الألويسي ) ، وقد عاش سيدنا ( صالح ) بعد ذلك إلى أن توفاه الله تعالى في فواحي الرملة من أراضي فلسطين على أشهر الأقوال .

(١) البداية والنهاية ص ١٣٦ ج ١ .



## ٤ - لوط عليه السلام

﴿ولوطاً إذ قال لقوميه اتُّنَّبُونَ الفاحشة وأنتم تبصرون ؟ أتُنكِّمُنَّ نون  
الرجال شهوةً من دون النِّساءِ بلى أنتم قومٌ تجهلون﴾ .

• • •

لوط عليه السلام من الرسل الكرام ، وقد ذكره الله تعالى في عديد من  
سور القرآن في ( الأعراف ، وهود ، والحجر ، والشعراء ، والنمل ) وغيرها  
من سور القرآن ، وذكرت قصته مع قومه مفصلة في بعض السور ، وبجملة  
في البعض الآخر .

### نسبه عليه السلام :

هو لوط بن هارون بن نارح يعني آزر ، ... وهكذا إلى آخر نسب  
سيدنا ( إبراهيم ) عليه السلام : وقد بعثه الله في زمن إبراهيم الخليل ، وهو ابن  
أخيه ، وإبراهيم عمه لأنه قد تقدم في قصة إبراهيم أن ( إبراهيم ، وهاران ،  
وناحور ) إخوة وكلهم أولاد آزر ولوط هو ابن ( هارانه ) فيكون إبراهيم عمه  
وقد آمن لوط بعمه إبراهيم واعتدى بهديه كما قال تعالى ﴿فآمن له لوط وقال  
إني مهاجرٌ إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾ ثم هاجر معه من العراق ، وتبعه  
في جميع أسفاره ثم أرسله الله تعالى إلى أهل ( سدوم ) في دائرة الأردن ،  
وليس له في قومه الذين أرسل إليهم نسب ، لأنه ليس من القبيلة ، بخلاف  
( صالح ) و ( هود ) و ( شعيب ) فقد كانوا من نفس المشيرة ، ولعل التعبير  
بقوله تعالى ﴿ولوطاً إذ قال لقوميه﴾ يدل على ذلك حيث لم يذكر أنه  
رُسل منهم .

## قوم لوط :

كان ( لوط ) عليه السلام قد فرح عن محلة عمته الخليل ابراهيم عليه السلام بأمره وإذته ، فنزل بمدينة ( سدوم ) في أطراف شرق الأردن ، وكان قومها من أفقر الناس وأكثرهم ، وأخبثهم طوية ، وأفحهم سيرة ، يقطعون المسيل ويأتون في ناديم المشكر . ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . وقد ارتكبوا جريمة من أفح وأشنع الجرائم ، لم يسبقهم إليها أحد من أهل الأرض ألا وهي ( بيان الذكور ) دون النساء . وقد حدثنا القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى :

﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ إِن مِّنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ .

وكانوا لا يستحيون فبيحا . ولا يستترون من منكر ، قد قست قلوبهم ، وفسدت أخلاقهم ، حتى كانوا يجاهرون باللوطة ولا يستحيون ، فبعث الله إليهم ( لوطاً ) عليه السلام ، فدعاهم إلى الله وذكرهم . ونهاهم وخوفهم بأمر الله تعالى فلم يأبوا له ولم يرتدعوا . فلما ألح عليهم هددوه بالفرود والإخراج من بين أظهرهم ﴿قَاتِلُوا إِن مِّنْ تَنْبَتَةٍ بِأَرْضِكُمْ تَكُونُ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ كما فرروا طرده وطرد من آمن معه لا شيء إلا لأهم أناس يتطهرون ، ولا يرتكبون الجرائم التي كان يرتكبها أولئك القوم الضالون ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُو آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ﴾ وهذا معنى السفه وقلة العقل والتفكير .

يا لله .. متى كان اجتناب الرذائل والقبايح يعتبر جريمة ينبغي أن يعاقب عليها الإنسان بالطرد والحرمان !؟

ومنى كان الشريف الطاهر محرماً ينبغي سجنه وإخراجه من الأوطان ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ إنهم أناس يتطهرون؟؟ وما هو السبب في هذا الطرد والإبعاد؟ إنهم لا يستحيون أن يقولوا بل وأفواهمهم ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ . فالعفة والظهارة ، وعدم التلوث بالفاذورات ، وخاصة ( اللوطة ) تعتبر

في نظر أولئك الأشقياء جريمة ينبغي أن يعاقب عليها الإنسان .  
ولا عجب فذلك منطق الطغيان في كل عصر وزمان ، ولا حول ولا  
قوة إلا بالله .

### قصة الملائكة (ضيوف لوط) :

وحين أراد الله عز وجل إهلاك أولئك الخبيثاء الأشرار . من قوم لوط ،  
الذين كانوا أزدل وأنجس أمم في ذلك الحين . أرسل إليهم الملائكة ليقبلوا  
عاليها ساقطها ، وكانت لهم قرى خمسة . ويزيد عندهم على (٤٠٠) أربعة  
ألف كما يذكر ذلك المورخون .

فسروا في طريقهم على (إبراهيم) الخليل . فيسروه بغلام حليم . وأخبروه  
أنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط . الذين هم أهل (سدوم وعامورة) وأن  
الله قد أمرهم بإهلاك جميع أهل القرى : الذين كانوا يعسفون أعياث . فخوف  
(إبراهيم) على ابن أخيه (لوط) إذا قلبت بهم الأرض أن يكون ضمن المالكين  
فأخذ يناقشهم ويجادهم ، وقال لهم : إن فيها لوطاً . فأخبروه بأن الله سينجي  
وأهله ومن معه من المؤمنين قال تعالى : ﴿وإنا جئناك برسولنا إبراهيم  
بالبشرى قالوا : إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين .  
قال : إن فيها لوطاً قالوا : نحن أعلم بمن فيها لننجيته وأهله إلا امرأته  
كانت من الغابرين ﴾ .

خرج الملائكة من عند إبراهيم وجاءوا إلى (لوط) قدخلوا عليه في صورة  
شباب مردحان . تشرق وجوههم بضارة الشباب والجمال . ولم يخبروه  
بحقيقتهم ، فظن أنهم ضيوف جاءوا بشيخوته ، فرحب بهم . ولكنه اغتم  
من دخولهم عليه في وقت الظهيرة ، لأنه خاف عليهم من أولئك المجرمين الأشرار  
لا سيما وأنهم في منتهى الحسن والجمال . ووقع في نفسه أنه لا بد أن يكون  
قد رآهم أحد من قومه حين دخلوا عنده . فلا بد أن يتوهم بأذى . لذلك  
فقد أشفق عليهم وخاف من قومه أن يسموا بقدمهم ، فيحتلوا عليهم بالفتك في

أعراضهم ، وهناك أخذ يفكر ماذا سيصنع لو أراد المجرمون أن يعتدوا على ضيوفه ؟ وسرعان ما وقع ما كان يخشاه فقد أقبل رجال القرية من قوم لوط ، يريدون أن يتحرشوا بأولئك الضيوف ، وأخذ لوط عنيه السلام يجادلهم بالحسنى ويناقشهم باللطف واللين ، لعل فيهم من يرتدع عن غيئه وضلاله ، ويحجج عن خبايته في ضيفه ، ودعاهم إلى أن يتزوجوا بنات القرية فإن ذلك أكرم وأفضل ، وأشرف وأظهر .. ولكن ( الخيلاء ) صارحوه بغرضهم السيئ وأنهم لا يرغبون إلا في أولئك الشباب المرء الحسان ، فازداد همته وغمته وشعر الملائكة بذلك فأخبروه بحقيقة الأمر وأنهم نيسوا بشرأ إنما هم ( ملائكة ) قدموا لإهلاك أهل هذه القرية بأمر من الله لأن أهلها كانوا ظالمين ، اقرأ هذه الآيات الكريمة :

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ: هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُرْعَعُونَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ انْسِيَاتِ قَالَ: يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟ قَالُوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ . قَالُوا: يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعَدُهُمْ الصَّبْحُ ، أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝﴾ .

أخبروه بحقيقتهم وبمهمتهم التي جاءوا من أجلها ، وبأن القوم لن يستطيعوا الوصول إليهم ، وأمره أن يخرج من أرض قومه مع أهله ليلًا قبل طلوع الصبح لأن موعد إهلاكهم سيكون في وقت الصبح ، وسيكون ذلك الوقت موعد تدميرهم وإهلاكهم عن بكرة أبيهم ﴿إِنَّ مَوْعَدَهُمُ الصَّبْحُ ، أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ؟﴾ .

## هلاك قوم لوط :

اطسأن ( لوط ) عليه السلام على ضيوفه ، وترك ثومه في ضجيجهم وجناهم وأخذ يستعدّ للخروج من القرية قبل أن يتركه الصباح ، وحين مجم القوم على بيت لوط ليأخذوا الضيوف بالقوة طمس الله أعينهم فلم يبصروا ولم يهتدوا قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ﴾ عن ضيفه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ وما أن أشرقت الشمس حتى كانت القرى بمن فيها خراباً ياباً فأهلكهم الله بأنواع من العذاب :

١ - قَسَبَ بِهِمُ الْقَرْيَةَ فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا .

٢ - أَرْسَنَ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ .

٣ - أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنضُودٍ .

قال تعالى ﴿وَمِمَّا جَاءَ أُمَّرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنضُودٍ﴾ .

وقال تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ الْمَشْرِقِيْنَ . فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ﴾ .

## زوجة لوط مع المالكين :

وقد هلكت زوجة ( لوط ) مع المالكين لأنها لم تكن مؤمنة بالله ، فحلّ بها من السخط والعذاب ما حلّ بهم ، ولم ينفعها أنها زوجة نبيّ فإنّ الله قد أوعد بإهلاك الكافرين قال تعالى ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ . قال السهني : واسم امرأة لوط ( واله ) . وقد نجى ( لوط ) عليه السلام مع ابنتيه من الهلاك .

ويقول بعض المؤرخين : إنّ البحر الميت ، المعروف الآن ببحيرة لوط لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث وإنما حصل من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها ، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعين متر : وقد أثبت

الاكتشافات القريبة آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت .

ويقول ( ابن كثير ) رحمه الله :

( وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينفع بمائها ولا بد حوضاً من الأراضي المتاخمة لفتاتها لردائها وذنابها : فصارت عبرة ومثلة ، وعظة وآية على نسرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاة )<sup>(١)</sup> .

### مسألة هامة :

فقد يتساءل المرء هل نخون امرأة النبي زوجها؟ وهل نفع منها جريمة الزنى؟ فكيف أخبر الله عن زوجتي ( نوح و لوط ) أنهما خانتا أزواجهما ؟<sup>(٢)</sup> والجواب أن هذا أمر مستحيل لا يمكن أن يقع لأنه عزَّ الله عزَّ وجلَّ قد حفظ الأنبياء من تلوث العرض ، ومن وقوع أزواجهن بالفاحشة : لأن ذلك يؤدي سمعة الأنبياء الأطهار ، ولهذا قال ( ابن عباس ) : ما بغت امرأة نبي قط . وهذا هو مذهب أئمة السلف والخلف .

وأما الكفر منهن فقد يقع ، فقد كانت زوجة ( لوط ) كافرة ، كما كانت زوجة ( نوح ) كافرة أيضاً ، وقد ضرب الله المثل بهما قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يُغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ والمراد بالحياة هنا ( الحياة في الدين ) حيث لم تؤمنا بالله ، قال ابن كثير : فخانتاهما أي في الدين فلم تتبهاهما فيه ، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة ، حاشا : وكلاً ، فإن الله لا يقدر على نبي أن يغيي أمرته ، ومن فإن خلاف هذا فقد أخطأ خطأ كبيراً<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر تفسير ابن كثير .

(٢) البداية والنهاية ص ١٨٢ ج ١ .

## ٥ - إسماعيل عليه السلام

﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً ﴾ .

### نسبه عليه السلام :

هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ، وأمه ( هاجر ) وهو البكر من أولاد إبراهيم الذي أمر إبراهيم بذبحه في الثام كما تقدمت قصته فيما سبق ، وهو جد الرسول الأعظم إذ أن الرسول ﷺ هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهم من الله جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

### رسالته عليه السلام :

الراجع من التاريخ أن الله قد أرسل ( إسماعيل ) عليه السلام إلى القبائل العربية التي عاش عليه السلام في وسطها ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الله قد أرسله إلى قبائل اليمن ، وإلى العماليق الذين كانوا يسكنون في تلك الجهات وقد تقدم أن ( إسماعيل ) عليه السلام قد تربى في الحجر بجانب البيت العتيق في مكة المكرمة ، وأنه نشأ هناك وتزوج من قبيلة ( جرهم ) فالظاهر إذاً من تاريخ حياته أن بعثته كانت لنفس العرب الذين عاش بينهم .

### حياته عليه السلام :

تقدم معنا في قصة إبراهيم عليه السلام أنه قد دعا ربه أن يرزقه ولداً صالحاً فاستجاب الله دعاءه ورزقه هذا الغلام اليافع ( إسماعيل ) عليه السلام ، وقد

ولد من أمته (هاجر) لما بلغ إبراهيم من العمر ٨٧ سنة وإلى ذلك تشير الآية الكريمة :

﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء ﴾

و (هاجر) كانت أمة مملوكة لـ (سارة) وهيها له ملك مصر الجبار ، فوهبتها سارة لابراهيم لعن الله أن يرزقه منها بولد : إذ كانت هي حتى ذلك التاريخ (عقياً) لم تلد : إلا أنها وتلدت بعد ذلك بإسحاق ، ببشارة الملائكة الأظهار لابراهيم عليه السلام كما تقدم معنا عند ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه السلام .

وإسماعيل هو (الذبيح) كما أثبتنا ذلك في قصة إبراهيم : وتزيد هنا كلمة لعلقة للأستاذ النجار في كتابه (قصص الأنبياء) وفي هذه الكلمة إثبات آخر على أن الذبيح هو اسماعيل لإسحاق . قال (ودليلي على أن الذبيح هو اسماعيل من التوراة نفسها ، إذ أن الذبيح وصف بأنه ابن ابراهيم الوحيد - أي الذي ليس له سواه - إذ سخاوة نفس إبراهيم بولده الوحيد ، بذبحه امتثالاً لأمر ربه له في المنام أدن على امتثال الأمر ونهاية الطاعة ، وهذا هو الإسلام بعينه ، وإذا رجعنا إلى إسحاق لم نجده وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام : لأن إسحق ولد وعمر اسماعيل نحو ١٤ سنة - كما هو صريح في التوراة - وبقي اسماعيل إلى أن مات إبراهيم ، وحضر اسماعيل وفاته ودفنه . وأيضاً فإن ذبح إسحاق يناقض الوعد الذي وعد به إبراهيم أن إسحق سيكون له نسل ، وكذلك فإن مسألة الذبح وقعت في مكة ، واسماعيل هو الذي ذهب به أبوه إلى مكة رضيعاً لا إسحاق<sup>(١)</sup> والله أعلم .

### أولاد اسماعيل :

ولد لإسماعيل عليه السلام اثنا عشرأ ولداً ذكراً ، وهم كلهم رؤساء

(١) قصص الأنبياء ص ١٠٣ .



قبائل ، وقد ذكرت التوراة أسماءهم ، كما وُثقت له بنت زوجها لاين أنجه (العيص بن اسحاق) ومن نسل اسماعيل جاء العرب الذين يعرفون بـ (العرب المستعربة) ثم كانت شاعمة الخطاف بولادة سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين من نسل اسماعيل .

### وفاته عليه السلام :

عاش اسماعيل عليه السلام (١٣٧) سنة ومات بمكة ودفن عند قبر أمه (هاجر) في الحجر على المشهور من أنوال المؤرخين ، وتذكر التوراة أنه مات بأرض فلسطين ودفن فيها والصحيح ما عليه مؤرخو العرب من أنه مات بمكة ودفن فيها والله أعلم .

## ٦ - إسحاق عليه السلام

﴿ويبشروناهُ بإسحاقَ نبياً منَ الصّٰخِرِينَ . وباركنا عليه وعملَ إسحاقَ .  
ومن ذُرِّيَّتِهما عِصْرٌ وظَٰلِمٌ لِنَفْسِهِ مِيعِينَ﴾ .

### نسبه عليه السلام .

هو إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وأمه ( سارة ) وهو الولد الثاني لإبراهيم الذي بشرت به الملائكة الأظهر خليل الرحمن . ومن نسله جاء أنبياء بني اسرائيل ؛ حيث أن النبوة قد كانت في ذرية إبراهيم في ولديه اسماعيل وإسحق كما قال تعالى ﴿وجعلنا في ذُرِّيَّتِهِ النّبوةَ والكتابَ﴾ وسيأتي تفصيل لهذا إن شاء الله تعالى .

### رسائله عليه السلام :

يرجع أن ( إسحاق ) قد أرسل إلى الكنعانيين في تلك الأراضي التي كانوا يسكنونها وهي ( بلاد الشام وفلسطين ) في البيعة التي عاش فيها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ، فكانت رسالة إسحاق إلى هؤلاء الأقوام الذين عاش بينهم عليه السلام .

### حياة إسحاق عليه السلام :

لما بلغ إبراهيم من العمر ( ١٠٠ ) مائة سنة ولدت له زوجته ( سارة ) المرأة المعجزة العقيم إسحاق عليه السلام قال تعالى ﴿فألت يا ويلنا أألدُّ وأنا عجوزٌ

وهذا بعلي شيعتاً إنَّ هذا لشيءٌ عَجيبٌ. وقد أوصى إبراهيم ابنه اسحاق ألاَّ يتزوج إلاَّ امرأةً من أهل أبيه فتزوج اسحاق عليه السلام ( رقيقة ) بنت ابن عمه وقد أنجب منها ولدَيْن ( العيص ) ويسميه أهل الكتاب ( عيسو ) والثاني ( يعقوب ) عليه السلام وهو المسمَّى ( إسرائيل ) وإليه ينتسب اليهود من بني إسرائيل .

#### وفاته عليه السلام :

عاش اسحاق عليه السلام ( ١٨٠ ) سنة : ومات في أرض الكنعانيين : ودفن في الخليل ( حبرون ) في المغارة التي دفن فيها أبوه إبراهيم عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم .

## ٧ - يعقوب عليه السلام

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا فِيهِمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝﴾ .

نسب يعقوب عليه السلام :

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وأمه ( رقيقة ) بنت بنوئيل ابن ناحور بن آزر الذي يسميه المؤرخون ( تارح ) . وناحور هو أخو إبراهيم عليه السلام . و ( يعقوب ) عليه السلام هو أبو الأسياط الاثني عشر ، وإليه ينسب شعب بني إسرائيل ويسمى يعقوب ( لإسرائيل ) قال تعالى ﴿كُلُّهُمَّ لِلطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِهِ إِنَّهُ نَزَّلَ التَّوْرَةَ﴾ .

وقد جاء عند أهل التوراة أن الله سمّاه ( إسرائيل ) ومعناه في العبرمة ( روح الله ) ، والمقصود هنا أن نعلم أنّ ( إسرائيل ) هو اسم يعقوب عليه السلام كما وضّحنا وإليه ينسب اليهود .

حياة يعقوب عليه السلام :

ذكر المؤرخون أنّ ( يعقوب ) عليه السلام قد ولد في أرض الكنعانيين ( فلسطين ) وشبّ في كنف أبيه إسحاق ، وقد أمرته أمه ( رقيقة ) أن يسافر إلى خاله ( لايان ) في ( قدان آرام ) من أرض بابل بالعراق ويقم عنده ، لأنها خافت عليه من أخيه ( لعيص ) أن يبغضه به لأن أخاه كان قد نوعده ، فخرج يعقوب عليه السلام يريد خاله فأدركه المساء في موضع فنام فيه ، فرأى في نومه الملائكة يصعدون إلى السماء وينزلون ، ورأى الرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول

له : (إني سأبارك عليك ، وأكثر قربتك : واجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك) فلما هب من نومه فرح بما رأى ونفر أن يبني لله تعالى (معبداً) في ذلك الموضع الذي رأى فيه تلك الرؤيا السارة ، فعمد إلى حجر فصبه بدهن ليتعرف به المكان وسمى ذلك الموضع (بيت إيل) أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك . ثم تابع سفره فلما وصل إلى خاله في أرض العراق وجد عنده ابنتين هما (ليئة) ويقال (ليا) بالسهييل وهي الكبرى ، و (راحيل) وهي الصغرى ، فخطب يعقوب من خاله ابنة الصغرى (راحيل) وكانت أحسنهما وأجملهما ، فوافق خاله مقابل أن يخدمه سبع سنين يرعى له غنمه ، فلما مضت المدة صنع خاله طعاماً وجمع الناس عليه وزف إليه ليلاً ابنته الكبرى (ليئة) وكانت ضعيفة العينين فيبحة انظروا ، فلما أصبح يعقوب إذا هي (ليئة) فقال خاله لم تحدرت بي وأنا إنما خطبت (راحيل) فقال له : إنه ليس من سنتنا أن تزوج الصغرى قبل الكبرى ، فإن أحببت اختها فارح في الغنم سبع سنين أخرى وأزوجك (راحيل) فعمل سبع سنين أخرى فزوجه إياها ، وجمع له بين الأختين ، ولم يكن الجمع بين الأختين في شريعتهم محرماً ، ثم نسخ في شريعة التوراة كما هو الحال في الشريعة الإسلامية ووهب (لابان) لكل واحدة من ابنته جارية فوهب (زلفى) لابنته ليئة ، ووهب (بلها) لابنته راحيل فوهبت كل منهما جارتها ليعقوب فأصبح عنده أربع نسوة وقد ولدن له أولاده الاثني عشر ، الذين يسمون بالأصباط .

أما (ليئة) فقد ولدت له ستة أولاد وهم :

( ١ - روبيل . ٢ - شمعون . ٣ - لاوي . ٤ - يهوذا . ٥ - إسحاق .

٦ - زابلون ) وروبييل هو أكبر أولاده ، ولاوي جاء من نسله موسى عليه السلام ، وكلمة يهود أخذت من يهوذا أحد أبناء يعقوب .

وأما (راحيل) فقد ولدت له ولدين وهما :

( ١ - يوسف الصديق عليه السلام . ٢ - بنيامين ) .

وأما (بلها) جارية راحيل فقد ولدت له ولدين وهما :

( ١ - دان . ٢ - تفتالي ) .

وأماً ( زلفى ) جارية لينة فقد ولدت له ولدين أيضاً وهما :

( ١ - جاد . ٢ - أشير ) فأصبح أولاد يعقوب عليه السلام اثني عشر سنة من نية ، واثنان من راحيل ، واثنان من بلها ، واثنان من زلفى ، وهؤلاء كلهم إخوة يوسف الصديق الذي رأى في منامه أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين كما سيأتي قريباً في قصته عليه السلام .

وقد أصبح كل واحد من أولاد يعقوب أباً لسبط من أسباط بني اسرائيل ، ويقول المورخون إن كل أولاده قد ولتوا له وهو في العراق وعند خاله يرمي له الغنم إلا ( بنيامين ) فقد ولد له بعد أن رجع يعقوب إلى وطنه في أرض الكنعانيين في فلسطين .

#### وفاته عليه السلام :

فقد يعقوب عليه السلام بصره حزناً على ولده ( يوسف ) الذي مكر به إخوته ثم ردَّ الله إليه بصره بعد أن اجتمع به بعد طول غياب وشدة حزن وألم كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِبَصِيرَةٍ ۗ وَوَقَدْ اجْتَمَعَ بِهِ فِي مِصْرَ وَتَوَفَّىٰ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ ١٤٧ سَنَةً وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ ١٧ عاماً من اجتماعه بولده الحبيب يوسف عليه السلام ، وقد أوصى يعقوب ابنه يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق ففعل ذلك وسار به إلى فلسطين ودفنه عند أبيه في المغارة بحبرون ( مدينة الخليل ) صلوات الله عليهم أجمعين .

## ٨ - يوسف الصديق عليه السلام

﴿ولما بلغ أشده آتيناہُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وكذلك تجزي المحسنين﴾ .

### نسبه عليه السلام :

هو ( يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ) وقد ذكره الله تعالى في مجموعة الرسل الكرام الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً . وأُتِيَ عليه بقوله ﴿ كذلك لنصرفاً عنه السوء والفحشاء ، إنه من عبادتنا المُخْلِصِينَ ﴾ ووصفه بالعفة والزهارة ، والصبر والاستقامة ، كما أُتِيَ عليه رسول الهدى ﷺ بقوله : ( إنَّ الكَرِيمَ بنَ الكَرِيمِ بنَ الكَرِيمِ بنَ الكَرِيمِ . يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم ) رواه البخاري .

### ذكره في القرآن :

ذكر اسم يوسف في القرآن الكريم في ٢٦ آية ، منها ٢٤ آية في سورة يوسف وآية في الأنعام وآية في سورة المؤمن ( غافر ) ، وقد وصفه الله تعالى بالصدّيقية ولهذا يسمى ( يوسف الصديق ) قال تعالى : ﴿ يوسفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ .. ﴾ الآية . وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام ، ومن سلالة النبوة ، ومن أشهر أنبياء بني إسرائيل ، وقد أرسل إليهم كما قال تعالى : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به . حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من

بعده رسولاً ﴿ الآية .

وله سورة ذكرت فيها قصته بالتفصيل وهي من طووال سورة القرآن تسمى (سورة يوسف) وفيها بيان لحياته عليه السلام ، ومحنته مع إخوته ، ومحنته مع امرأة العزيز ، ودخوله السجن ، ودعوته فيه إلى الله ، ثم خروجه من السجن وتعبيره الرؤيا للملك ، واستلامه لخزائن الأرض ، ثم مجيء إخوته إلى مصر بسبب القحط ، واحتياان يوسف لإيقاظ أخيه (بنيامين) عنده ، ثم التعرف على أبيه وإخوته ، ودخولهم عليه وسجودهم له : حسب الرؤيا التي رآها في صغره ، إلى غير ما هنالك من إشارات دقيقة ، وعظات بالغة ، من حياة هذا النبي الكريم.

من هم الأسباط :

قد سئنا أن (يعقوب) عليه السلام ولد له من البنين اثنا عشر ولداً ذكراً ، وإلى هؤلاء الأبناء نسب أسباط بني إسرائيل ، فجميع بني إسرائيل انحسروا وناسلوا من أولاد يعقوب ، وكان أشرفهم وأفضلهم وأعظمهم (يوسف) عليه السلام ، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن في أولاد يعقوب نبي غيره ، وأن جميع إخوة يوسف لم يوح إلى واحد منهم ، وقد أتيد (ابن كثير) رحمه الله هذا الرأي فقال ما نصه : (وظاهر ما ذكر من ضالهم ومغالهم ، في هذه القصة ، يدل على هذا القول ، ومن استدل على نبوتهم بقوله تعالى : ﴿ قَوْلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ لِيٰنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَاسْحَقَ ، وَيَعْقُوبَ ، وَالْأَسْبَاطَ ﴾ وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوي ، لأن المراد بالأسباط (شعوب بني إسرائيل) وكان يوجد فيهم من الأنبياء ، الذين نزل عليهم الوحي من السماء ، وبما يؤيد أن (يوسف) عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه لم ينص على واحد من إخوته سواء ، فدل ذلك على ما ذكرناه .

رؤيا يوسف الصديق عليه السلام :

ذكر المفسرون أن يوسف عليه السلام رأى في المنام وهو صغير لم يحتلم



بعد رؤيا عجيبة غريبة ، رأى في نومه أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر قد سجدوا له ، فهاله ذلك الأمر ، واستعظم تلك الرؤيا ، فلما استيقظ قصتها على أبيه ، فعرف أبوه أنه سيكون لابنه شأن عظيم ، وسنبال رتبة عالية ، وورقة سامية ، في الدنيا والآخرة ، بحيث يخضع له أبوه وأمه وجميع إخوته فيها ، فأمره بكتمتها ، وألا يقصها على إخوته ، خوفاً عليه منهم ، لئلا يحسدوه ويكيدوا له ويدبروا له أنواع المكائد ، فإن في طبيعة الإنسان الكيد والحسد ، ولهذا أوصى يعقوب ابنه بكتمان السر هذه الرؤيا ، وقد جاء في الأثر : (استترتوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود) .  
قال تعالى إشارة إلى هذه الرؤيا :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُتَّخِذَ رُؤْيَاكَ عَمَلًا وَإِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَلِيمٌ ﴾ .

والظاهر من النص القرآني أن يوسف عليه السلام قد قص الرؤيا على والده في غيبة إخوته ، وأن أباه قد أوصاه بعدم إخبار إخوته بما رأى ، وعبارة التوراة تفيد أن ذلك كان بحضرة إخوته ، وأن أباه انتهره على هذا القول قائلاً :  
لعلنا نسجد لك أنا وأملك وإخوتك ، فالها متهكماً ... وهذا الذي ذكر في التوراة خطأ ، لأن التوراة محرقة قطعاً ، والصحيح ما ذكر في القرآن الكريم .

### حباً يعقوب ليوسف :

كان يعقوب عليه السلام يحب من أولاده (يوسف) ويؤثره هو وأخاه (بنامين) على بقية أولاده في المحبة والقرب ، فكان ذلك سبباً لحسد إخوته وحقدهم على يوسف وأخيه ، وهم في حداثة السن والشباب ، فأضرموا له الشر وطلبوا من أبيهم أن يسمح لهم باصطحاب يوسف ، ليلهو ويلعب معهم في البرية ، وقد كان يعز ذلك على نفس يعقوب ، فهو لا يستطيع فراقه ، ويخشى عليه منهم لذلك تعلق لهم بقوته : ﴿ إِنِّي لَسِحْرٌ مُّبِينٌ : أَنْ تَذْهِبُوا بِهِ ،

واخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴿ وهو عليه السلام يتخوف عليه عدوانهم أكثر مما يتخوف عليه عدوان الذئب ، ولكنه أراد أن يصرّفهم عنه بتلك التعلّة ، ولكن إخوته كانوا بارعين في الهداء فقالوا لأبيهم : ﴿ ليس أكل الذئب ونحن عصبة إننا إذا نلّامسرون ﴾ .

### إلقاء يوسف في الحب :

ثم يجد يعقوب بدأ أن يرسل يوسف مع إخوته ، لئلا يشعروا بأن أباه يخشى عليه منهم ، فبدّروا له مكيدة في غيبه : تظاهروا بقبول كلامهم وأرسله معهم على كره ومضض ، وما أن غابوا به عن عينيه حتى جعلوا يشتمونه ويقرّبونه ويبينونه بسوء الكلام وقبيح المقام ، ثم اجتمعوا على إلقائه في غيابة الحب ( أي في قعره ) وكانت قليلة الماء ، فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه أنه لا بد من فرج ومخرج من هذه الشدة والضيق ، ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا ، في وقت يكون لك فيه نعمة والسيادة عليهم وهم لا يعلمون أمرك . ﴿ وأوحيتنا إليه لنبشروهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ . مرت سيارة ( قافلة ) فأرسلوا وأرادهم فأدنى دلوه في الحب فتعلق به يوسف ، فلما نزع الدلو بحسبها قد امتلأت ماء ، فإذا غلام جميل الصورة ، وسيم الخلق ، قد تعلق بها فاستبشر الرجل وقال : ﴿ يا بشرى هذا غلام ﴾ وأسروه بضاعة حتى وصلوا إلى مصر ، فباعوه على أنه عبد رقيق فاشتراه عزيز مصر واسمه ( قبطير ) من القافلة بشمن وخبص ، واحتلّ عنده مكاناً حسناً بسبب أمانيته ، وحسن خلقه ، وصدقه وزايعته ، وكان ذلك على وجه التقريب سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد . أما اخوة يوسف فقد رجعوا إلى أبيهم ومعهم قميص يوسف قد لطمخوه بدم شاة ذبحوها ليومئذ أباهم أن الذئب قد عدا على أخيهم فأكله ، ولكنهم نسوا أن يخرقوا القميص . - وآفة الكذب النسيان - فلم يفلحوا في هذا المكر ، قال تعالى : ﴿ وجاءوا أباهم عشاءً يبكون . قالوا يا أبانا إننا ذهبنا نبتغيك ونركنك يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ قال بعض

السلف : لا يغرنك بكاء المتظلم : قرب ظلم وهو باك كما فعل إخوة يوسف حين جاءوا أباهم عشاء ليكون : وروى أن ( يعقوب ) عليه السلام لما أتوه بقميص يوسف منطوحاً بالدم جعل يقلبه ويتظر فيه ويقول : ما أحله هذا الذئب أكل ابني دون أن يمزق ثوبه !! يقول ذلك تعريضاً بكذبهم وإيذاناً لهم بأن صنيعهم ومكرهم لم يبرح على أيهم ﴿فَأَنزَلَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون﴾ .

### محبة يوسف مع امرأة العزيز :

أقام يوسف الصديق في بيت عزيز مصر ، منعماً مكرماً ، وكان فائق الحسن والجمال ، فلما شب وكبر ، عشفته امرأة العزيز (زوجة سيده) وشغفت به حباً ودعت به نفسها ، وكان ذلك بداية انحطاثها له . أما المحنة الأولى فقد كانت عندما حسده اخوته ورموه في الحب ، وتعد كال يوسف طاهر النفس عفيف الخلق ، مستقيم السيرة ، ولذلك استعصى على تلك المنحة العارمة ، ووقف في وجه الشهوة والأغرة موقف المؤمن الحازم لأمرين اثنين :  
أولهما : الإيمان بالله الذي غمر قلبه ، والسيرة العطرة التي نشأ عليها في حجر أبيه وجده ..

ثانيهما : أن زوجها هو سيده الذي أحسن إليه ، وأكرم مثواه ، وأمنه على ماله وعرضه ، فكيف يخونه ؟ قال تعالى : ﴿وَرَأودتُهُ الّتي هوَ في بيّنها عن نَفْسِهِ ، وَغَلَقَتِ الأبوابَ . وَقَالَتْ : هَيْبَتُ لَكَ : قَالَ : معاذَ الله إنّه ربي (أي سيدي) أحسن مثواي ، إنّه لا يفسدُ انفلالمون﴾ .

هاج هائج الغرام في قلب امرأة العزيز فأرادت أن تحمله على الاتصال بها بالقوة ، فغلقّت الأبواب ، وأحكمت الخطة : ودعت صراحة إلى نفسها ، ولكنّه امتنع وأبى ، وأصرّ على العصيان لأمرها ، وغلبها الحب على حياتها : واستطارت الشهوة في نفسها فأمسكت به تريد أن تجبره على موافقتها ، ولكن

خوفه من الله عصمه عن ذلك فتجاذبا ، وأخيراً أفلت من يدها وأمسكت بثوبه من خلف فتمزق الثوب ، وظلت تلاحقه وهما يستبقان الباب ، هو يريد فتحه هرباً ، وهي تحاول بينه وبين الباب طلباً ، لتقضي منه لباتها ، وفي هذه اللحظة كان قد وصل زوجها فوجدتهما في هذه الحالة المرعبة .. وهنا يبدأ التكيد الحيث والمكر المدبّر فتنتطق صارخة باكية لتظهر أمام زوجها بالبراعة : زاعمة أن يوسف راودها عن نفسها ، فامتنعت منه ، وأنه قد عزم على عمل الفاحشة معها فهربت منه ، وفي لحظة عين يصبح الطالب مطلوباً ، والظالم مظلوماً ، وتصبح العقوبة واجبة لمن أراد أن يخون شرف سيده ، ويهتك عرضه ، وحقاً إنه التكيد والمكر والدهاء استمع إلى قوله تعالى ﴿واستبقنا الباب وقدت قميصه من دبر ، وأفينا سيدها لذي الباب ، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم ؟ قال هي راودتني عن نفسي ، وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قداً (أي شقاً) من قبّل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قداً من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ شهادة صادقة ، وحجة مقنعة ، شهد بها لفلان من أقربائها ، أنطقه الله بها لتكون براءة ليوسف الصديق ، وبرهاناً على عفته ونزاهته ، ولينخلص الصديق من العقوبة الشديدة التي أرادتها له امرأة العزيز ، وخلاصة الشهادة كما يلي :

إذا كان يوسف هو الطالب وهي الممتعة فلا بد أن يشق ثوبه من أمام لأنه يريدنها وهي تدنعه عن نفسها ، فالمنطق السوي أن يكون الشق من الأمام ، وإن كان يوسف هو المازب وهي الطالبة فلا بد أن شق ثوبه من خلف ﴿فلما رأى قميصه قداً من دبر قال إنه من كيد كُن ، إن كيد كُن عظيم﴾ يوسف أعرض عن هذا . واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴿.

### شروع الخبر في المدينة :

شاع الخبر في أرجاء المدينة ، وأخذت ألسنة النساء تلوّك في امرأة العزيز . استهجاناً ولوماً لها على صنعها ، كيف تعشق سيّدة عبدها ؟ وكيف نهوى وتحب

خادماً ؟ وبلغ ذلك امرأة العزيز ، فأرسلت إلى صديقاتها العاذلات ، من ذوات الثراء والجاه ، وديرت لهن مكيدة حتى يعدرنها في هذا الحب والغرام ، هيأت لهن مكاناً يجلسن فيه ، وقدمت إليهن طعاماً يحتاج إلى القطف بالسكين ، وكانت قد خيأت يوسف في مكان آخر ، وفي تلك اللحظة أمرته أن يخرج عليهن ، فبهرن جماله ، وألهاهن حسنه وتشاغلن عما في أيديهن فصرن يفتعن أيديهن ولم يشعرن في تلك اللحظة الغامرة بألم جراحة الأصابع حيث كان الدم يسيل على ثيابهن . وهن يحسبن أنهن يفتعن التماكيت ، والعقل غارق والبصر شارد في الاستمتاع بجمال يوسف . والتأمل في محاسنه ، ثم لم يمتعهن العتب والمذل إلا أن يعلنن إعجابهن لذلك الجمال الفائق قائلات : ﴿ حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا متلكت كريم ﴾ . وهنا باحت امرأة العزيز بسر عشقها له ، بعد أن أوقعتهن في شباك غرامه ، فقالت معانية هن ﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه . ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، وإن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكوثن من الصاغرين ﴾ . لقد كانت العدالة تفضي بأن يكرم يوسف على نزاهته وعفته وأن تعاقب زوجة العزيز على جنابتها وما أخرجته يدها ، ولكن الأمر كان بالعكس فقد قدم يوسف البريء النقي الطاهر ، فدية لسمعة تلك التي استهانت بكرامتها وكرامة زوجها وأرادت أن تلحق به عار الخيانة ، فبرئت تلك المرأة وأدين يوسف ، وحكم عليه بالسجن ، فمكث في السجن سنوات عديدة تبلغ سبعاً ، كما قال تعالى ﴿ ثم بدآ لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجنننه حتى حين ﴾ .

دخل يوسف السجن على غير جريمة اقترافها ، ودخل معه السجن فنيان : أحدهما رئيس سقاة الملك ، والثاني رئيس الخبازين ، فرأى كل منهما حلماً وعرضه على يوسف : أما رئيس السقاة فقد رأى أنه يعصر في كأس الملك الخمر ، وأما الثاني فقد رأى أنه يحسن فوق رأسه طبقاً من الخبز ، والظير تأكل من ذلك الخبز ، وطلب منه أن يخبر كل واحد منهما بتفسير رؤيته ، فقال للأول إنك ستخرج من السجن وتعود إلى عملك فتسقي الملك خمراً .. وقال لثاني :

إنك منتصب وتأكل الطير من رأسك ، وكان الأمر كما أخبر يوسف الصديق  
عليه السلام

### روياً للملك ومخروج يوسف من السجن :

بعد تلك السنين الشديدة التي مرت على يوسف وهو في السجن جاء الفرع  
من الله ، فقد رأى الملك في نومه رؤياً عجيبة غريبة : رأى سبع بقرات جميلات  
قد خرجت من النهر ، وأخذت ترعى في روضة ، ثم رأى سبع بقرات عجافاً  
هزيلة قبيحة المنظر قد خرجت من النهر وأكلت البقرات السمينه ، كما رأى  
سبع سنابل خضراء حسنة ، قد عدت عنها سبع سنابل باهية فأكلتها فاستفظ  
الملك فرعاً من رؤياه ، وطلب من السحرة والعلماء تأويلاً لها ، فلم يجد جواباً  
شافياً ، وهناك تذكر ساقى الملك قدرة يوسف على تأويل الأحلام فطلب من  
الملك أن يرسله إلى السجن ليأنيه بالخبر اليقين ، فذهب إلى يوسف وقص عليه  
رؤياً الملك ، فأخبره بتعيرها عن توجهه الدقيق ، قال له يوسف : إن البلاد  
ستمر عليها سنوات سبع فيها الخيرات تجود فيها الأرض بالفلات الوفرة ،  
ثم يعقبها سبع سنين مجذبة ، تأمكن الأخضر واليابس ، وأن عليهم أن يقتصدوا  
من سني الرخاء إلى سني الجذب والتحط ، وقد أعجب الملك بتأويل يوسف  
غاية الإعجاب ، فأمر بإخراجه من السجن ، ليجعله من خاصته المقربين ويسلمه  
إحدى وزارات الدولة ، ولكن يوسف أفي أن يخرج من السجن وعليه سمة  
المجرمين ، حتى يقر خصومه براءته ، فتبرأ ساحتهم من تلك التهمة الشنيعة ،  
ويشهد الناس بترأثته وذلك هو منتهى العزة النفسية والكرامة النبوية ، فان تعالى :  
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتِنِي بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ  
فاسأله ما بال النوسة اللاتي قطعن أيديهن ؟ إن ربى بكيدهن عليم .  
قال ما خطبكُن إذ راودتُن يوسف عن نفسه ؟ قمن حاشن لله ما علمنا  
عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن  
نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ . وقصة يوسف طويته وقد فصلها القرآن أجمل

تفصيل - وذكر في النهاية أن أباه وأمه وجميع إخوته قد جاؤوا إلى مصر ،  
 ودخلوا عليه وهو في عز وسلطان وجاء عظيم ، فسجدوا له سجود تحية وتكريم ،  
 وذكر أباه بما رأى وهو صغير حيث تحققت رؤياه كما قال تعالى : ﴿ وقال  
 ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً ،  
 وقال يا أبت هَذَا نَأْوِيكَ وَوِئَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا ، وقد  
 أحسن لي إذْ أخرجني مِنَ السِّجْنِ ، وجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ  
 أَنْ نَنْزِعَ الشَّيْطَانَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ لِيُحِثِّبُوا بَيْنَهُمْ وَهُمْ  
 يَبْغُونَ بَيْنَهُمْ أَلْحَامًا يَتَّخِذُونَ أَلْحَامَهُمْ آيَاتٍ لِلَّذِينَ يَدَّبُرُونَهُمْ وَلَكِن لِيَقْضِيَ  
 اللَّهُ أَمْرًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

#### محنة يوسف عليه السلام :

لقد مر يوسف بمحن شديدة ، وكثرت حياته عليه السلام حياة عصبية ،  
 فقد نقل بين عسر ويسر ، وشدة ورخاء ، وضيق وسعة ، ثم كانت نتيجة  
 هذه المحن والمصائب لعظيمة أن وسع الله عليه ، وأكرمه بالعز والسلطان ،  
 فخرج من السجن إلى الملك ، فملكه الله خزائن أرض مصر . حتى أصبح  
 الناس يأتون إليه من كل صقع ويند ليبتاروا ، ومن ضمنهم إخوته الذين أضرب  
 بهم الجذب فجدوا إليه من أجل الميرة فعرفهم وهم له منكرون . ولقد كانت  
 محنته سبباً لتلك المنة لعظيمة عليه وكما يقول بعض العارفين : ( ربما كنت المنة  
 في المحنة ) .

ولقد مرت على يوسف عليه السلام عن ثلاث :

المحنة الأولى : وذلك حين حسده إخوته فدبروا له مكيدة من أخطر المكائد  
 أرادوا بها قتله ، ثم اكتفوا بإلفائه في ( الحب ) ولولا عناية الله ورحمته به  
 لكان من أهالكين .

المحنة الثانية : حين أحببت امرأة العزيز . وراودته عن نفسها ، وعملت  
 كل حيلة من أجل إغرائه وإغوائه - وهو شاب في ريعان شبابه - ولكن الله

حفظه من كيدها ونجّاه من تلك الورطة العظيمة : ﴿فاستجاب له ربه فصرفه عنه كيدهنّ إنه هو السميع العليم﴾ .

المحنة الثالثة : وهي دخوله السجن - ظلماً وعدواناً - ومكته فيه سبع سنين ، بسبب تلك التهمة الملتصقة ، ولولا (روياً الملك) التي شملت ذهنه وباله لكث في السجن السنين الطوال .

### تبيه هام على عصمة يوسف :

ذكرنا في باب (عصمة الأنبياء) عشرة وجوه في عصمة يوسف الصديق نبي الله الكريم ، ونزيد هنا كلمة لطيفة للمفسر الشهير (الفخر الرازي) وهي تدل على نزاهة يوسف وعصمته وبراهمه من (الهم) الذي زعمه بعض الجهلة قال رحمه الله :

١ - إن يوسف قد شهد الله تعالى ببراهمه بقوله جل وعلا : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، إنه من عبادنا الْمُخْلِصِينَ﴾ .

٢ - وشهد ببراهمه الشاهد من أقرباء امرأة العزيز قال تعالى : ﴿وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل... الآية﴾ .

٣ - وشهد ببراهمه النسوة الثلاثي قطعن أيديهن قال تعالى : ﴿قلن نحاش لله ما علمنا عليه من سوء... الآية﴾ .

٤ - وشهد ببراهمه زوجة العزيز بقولها : ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَأودتُهُ عن نفسه وإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ...﴾ حَصْحَصَ : أي ظهر ووضح .

٥ - وشهد ببراهمه الشيطان بقوله ﴿فبئسَ نِكاحًا لَأَغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ...﴾ (١) .

فالذي يريد أن يتهم يوسف بـ (الهم) عليه أن يختار أن يكون من حزب

(١) انظر تفسير الفخر الرازي .



الله ، أو من حزب الشيطان ، وكلاهما شهد ببراءة يوسف : فلا مفر إذا من الاقرار بالحق على أي حال : وهو براءة يوسف عليه السلام من الهمّ بامرأة العزيز .. ) انتهى كلام الفخر الرازي .

### وفاة يوسف عليه السلام :

قال المؤرخون . ولما اجتمع يوسف بأبيه بعد الفراق كان عمر يعقوب مائة وثلاثين سنة (١٣٠) ثم توفي يعقوب بعدها بسبع عشر سنة (١٧) وعاش يوسف عليه السلام من السنين (١١٠) مائة وعشراً ، ومات في مصر وهو في الحكم ودفن فيها ، وكان قد أوصى إخوته أن يُحْمَل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن مع آبائهم ، وقد نقل وفاته إلى الشام أيام موسى عليه السلام ، ودفن بنابلس على الأرجح ، وكانت وفاة يوسف بعد ميلاد جده الأكبر (إبراهيم) عليه السلام بـ (٣٦١) سنة وقبل مولد موسى عليه السلام بـ (٦٤) سنة على الصحيح من الأقوال .

وقد طلب من ربه جل وعلا حين دنا أجله ان يميتته على الإيمان : وأن يلحقه بعباده الصالحين فقال ﴿ربّ قد آتيتني من الملك ، وعزمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفي مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ وقد استجاب الله دعاءه فنقله إلى الرفيق الأعلى رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا الموت على الإيمان : إنه سميع عليم الدعاء .

## ٩ - شعيب عليه السلام

﴿وإلى مدين أنصاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من  
إله غيرہ...﴾ الآية .

ذكره في القرآن :

ورد ذكر شعيب عليه السلام في القرآن عشر مرات : في مواطن متفرقة  
من سورة الأعراف ، وهود ، والشعراء ، والعنكبوت ، وقد أرسله الله إلى  
مدين ، ويعرفون أيضاً بـ ( أصحاب الأيكة ) لقوله تعالى ﴿كذب أصحاب  
الأيكة المرسلين . إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ؟﴾ ويرى بعض المفسرين  
أن ( أصحاب الأيكة ) قوم آخرون غير أهل مدين ، أرسله الله إليهم بعد هلاك  
مدين فكذبوه فأخذهم عذاب ( يوم الظلّة ) والصحيح أن أهل مدين هم  
أنفسهم أصحاب الأيكة ، لأن سورة الشعراء وضحت أنهم كانوا يطفثون المكبان  
والميزان ، وهذا وصف أهل مدين ، وسُموا بأصحاب الأيكة لأن الأيكة هي  
الغوطة التي يكثر فيها الشجر . وقد كانوا يجمعون بين التجارة والزراعة .  
وأراضيهم كانت كثيرة الأشجار ، والمرة الثمار ، وفيها الحدائق والبساتين  
العناء فلذلك سموا بأصحاب الأيكة .

نسبه عليه السلام :

هو ( شعيب بن ميكيل بن بشجر بن مدين أحد أولاد إبراهيم الخليل عليه  
أفضل الصلاة والسلام ) وأمه بنت لوط عليه السلام وقد كانت بعثته بعد ( لوط )

لقلوله تعالى في قصة قومه ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٌ مِنْكُمْ﴾ وبقيل رسالة موسى لأن الله تعالى لما ذكر نوحاً ثم هوداً ثم صالحاً ثم لوطاً ثم شعيباً أعقب ذلك بقوله ﴿وَلَمْ يَعْثُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ موسى بيّأيننا إلى فرعون وملأه ﴿فَدَلَّ عَلَى أَنْ﴾ (شعياً) كان من قبل زمن موسى وهرون عليهما السلام . وقد اخطأ بعض المؤرخين فظن أن (شعياً) كان زمنه بعد موسى بعدة قرون ، وهذا يناقض النص السابق ، وقد التبس الأمر عليهم بين (شعيب) وبين (شعياً) أحد الأنبياء الذين لم يذكرهم القرآن الكريم فظنوا أن (شعياً) هو شعيب ومن هنا جاء الخطأ كما نبه عليه بعض المحققين من العلماء .

### أين كانت مساكن أهل مدين ؟

كان أهل مدين قومياً عربياً يسكنون في بلاد الحجاز ، مما يلي جهة الشام ، قريباً من (خليج العقبة) من الجهة الشمالية منه ، ويقول (الطبري) أن بن مصر وأرض مدين ثماني ليال<sup>(١)</sup> ويظهر أنها في الأرض المسماة الآن (معان) وهي جنوب فلسطين ، وأهل (مدين) ينسبون إلى أحد أولاد إبراهيم وهو (مدين) ابن إبراهيم) ولي التوراة يسمى (مديان) وإنما سميت هذه القبيلة باسم (مدين) نسبةً إليه حيث عاش بينهم وصاهرهم فصار له فيهم رهط واسرة فسوا أهل مدين .

### دعوة شعيب لقرمه :

كان أهل مدين أهل تجارة وزراعة ، وكانوا أصحاب رفاهة وتعيم ، وقد كانوا على دينهم الذي ورثوه عن إبراهيم ، ولكنهم لم يطل بهم العهد حتى غيروا وبدلوا وكفروا بالله ، وأشرفوا عن الصراط المستقيم : قد فشت فيهم منكرات عديدة ، منها (التطفيف) في المكاييل والموازين . فكاثروا يبحسون الناس أشياءهم ، ويفسدون في الأرض ولا يصلحون .

(١) انظر تاريخ الطبري .

وقد بعث الله إليهم (شعياً) عليه السلام فدعاهم إلى توحيد الله وذكرهم بعذابه ، ونهاهم عن تعقيب المكبان والميزان وأمرهم بالاصلاح وعدم الانسداد فأمن به قليل وكذّبه الأكثرون ، وقد كان هؤلاء المكذّبون على غاية من الضلال والخبود ، يفعلون على الطرق يرددون الناس الذين يأتون إلى شعيب ليصدوهم عن الدين ، ويمنعونهم عن الإيمان به ، ويتوعدون من اتبعه بأنواع من التهديد والوعيد كما قال القرآن الكريم هل لسان شعيب عليه السلام (ولا تفعدوا بكل صراطٍ تُوعِدُونَ وتصعدُونَ عن سبيل الله من آمن به وتبخونها عبواً) ولما ألح عليهم شعيب عليه السلام في الدعوة والموعظة جأهروه في العداء ، وادعوا أنهم لا يفقهون كلامه ، ولا يعرفون غرضه وتوعدوه بأنه لولا أن له أنصاراً لغتله كما قال تعالى ﴿فألقوا يا شعيب ما نفقته كثيراً مما تقول﴾ ، وإنا نراك بيننا ضعيفاً ، ولولا رهطك لرجمناك ، وما أنت علينا بعزير ﴿ثم هدّوه وتوعدوه بالإخراج والطرده من القرية . هو والذين آمنوا معه إلا أن يعودوا في ملتهم ، ويدخلوا في دين قومهم استمع إلى قوله تعالى :

﴿قال المذنبون استكبروا من قومهم فنخرجناك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريبتنا ، أو نعودن في ملتينا قال أولو كنا كآلهين﴾ .

#### العبرة من قصة شعيب :

انعجب من هؤلاء القوم ، بأنهم نبيهم الكرم بدعوة انسانية كريمة ، واضحة وضح الشمس في رابعة النهار فيقولون له : ﴿ما نفقته كثيراً مما تقول﴾ وإنا نراك بيننا ضعيفاً . ﴿مع ان دعوته في غاية الظهور والبيان ، وبدعوهم إلى ترك عبادة غير الله فيتوعدونه بالطرده من القرية ، وإخراجه هو ومن آمن معه ، ويأمرهم بترك ذلك المنكر الفبيح (تطليق المكبان والميزان) فيجيبونه بأسخف جواب وأتفه كلام ، ساخرين منه ، متهاكمين عليه في صلاته وعبادته ﴿فألقوا يا شعيب أصلاتك نمرك أن ترك ما بعدنا آباؤنا ؟ أو أن تفعل في أمراك ما نشاء ؟ إنك لأنت الخبيث الرشيد﴾ .

عجبٌ والله أن يهزأ البخامل من العالم ، وأن يسخر المجنون من العاقل ، وأن يصبح السفيه صاحب حجة وبيان يريد أن يظهر بها على خصمه الذي يدعوه إلى الفضيحة والظهور والحقاف ؟ متى كانت الاستقامة نعمةً نفعاً ؟ ومتى كانت التفضيلة تعتبر عيباً يلام عليه الإنسان ؟ ولكنه منطلق النبي والعدوان كما قال قوم لوط لشيئهم وأتباعه من المؤمنين ﴿ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَافِسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ .. كذلك كان موقف أهل مدين من شعب عليه السلام ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنَّائِبَعْتُمْ شَيْعاً لَكُمْ إِذَا نَخَّسَرُونَ ﴾ .

### هلاك قوم مدين :

ولقد كان من شدة حماقتهم أن يطلبوا إلى (شعيب) أن يسقط عليهم كسفاً ( قطعاً ) من السماء ، إن كان من الصادقين في دعوته ، فأخذهم عذاب ( يوم النقلة ) بأن سخط الله عليهم لخر سبع أيام حتى غلت مياههم : ثم ساق إليهم غمامة فاجتمعوا تحتها للاستظلال فرأوا من شدة الحر ، فلما تكامل عددهم في ظلها تزلزلت بهم الأرض ، وجاءتهم النسيحة وأمطرت عليهم السماء فأرأوا فاحترقوا وصدق الله حيث يقول ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ النُّقْلَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقد عاش شعيب بعد هلاك قومه مدة من الزمن إلى أن توفاه الله تعالى : وذلك في الفترة الواقعة بين وفاة يوسف ونشأة موسى عليه الصلاة والسلام ، ويغيب عن الظن أن أحداث هلاك قومه كانت بعد انتقال بني إسرائيل إلى مصر والله تعالى أعلم .

## ١٠ - أيوب عليه السلام

﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مستي الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ .

### ذكره في القرآن :

ذكر اسم (أيوب) في القرآن الكريم أربع مرات . في سورة النساء ، والأنعام ، والأنبياء ، وفي سورة (ص) وقد ذكره الله في عداد مجموعة الرسل الذين يجب الإيمان بهم تفصيلا وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام على وجه التحقيق لقوله تعالى في معرض الحديث عن إبراهيم :

﴿ومن ذريته داود ، سليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وموسى ، وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين . .﴾ .

### نسبه عليه السلام :

يختلف العلماء في نسبه حتى قال أبو البقاء : (لم يصح في نسبه شيء) ولكن ابن كثير رجح أنه من سلالة (العيص بن اسحق) وذكر أن أمه بنت (لوط) عبه السلام حكاه عن ابن عساکر . والراجع من الأقوال في نسبه ما ذكره ابن اسحق وهو كالثاني وأيوب بن أموص بن زارح بن العيص بن اسحق بن إبراهيم الخليل ، عليه السلام .

## بلاء أيوب عليه السلام :

ابتلي أيوب عليه السلام بلاء شديداً في أهله وبدنه ، وماله ، ولكنه كان مثلاً للعبودية الحقّة لله تعالى ، فصبر على ذلك حتى أصبح يضرب فيه المثل على الأذى فيقولون ( صبراً كصبر أيوب ) وقد أنشئ الله تبارك وتعالى عليه بقوله ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

وقد كان أيوب عليه السلام من الأغنياء صاحب ثروة ومال وبنين ، وكان يملك أراض واسعة وحقولاً وبياتين . وقد ابتلاه الله بالنعمة والرخاء فأتاه الغنى والصحة وكثرة الأهل والولد فكان عبداً تقياً ذاكراً شاكراً لأنعم الله عليه لم تفتنه الدنيا ولم تخدعه ، ثم ابتلاه الله بسلب النعمة ، ففقد المال والأهل والولد ونشبت به الأمراض المضمية المضجرة : فصبر على البلاء وحمد الله وأنشئ عليه ، وما زال على حاله من التقوى والعبادة والرضى عن ربه ، فكان في حالتي الرخاء والبلاء ، مثلاً لعباد الله الصالحين في إرضاء الرحمن . وإرغام أنف الشيطان . قالوا : وكانت له امرأة مؤمنة صالحة اسمها ( رحمة ) من أحفاد يوسف عليه السلام ، وقد رافقت هذه المرأة حياة نعمته وصحته ، وزمن بؤسه وبلائه ، فكانت في الحالين مع زوجها شاكراً وصابرة .. ثم إن الشيطان حاول أن يدخل على ( أيوب ) في زمن بلائه فلم يؤثر فيه فحاول أن يدخل إليه عن طريق امرأته فوسوس لها : إلى متى نصبرين ؟ فجاءت إلى أيوب وفي نفسها اليأس والضجر مما أصابه فقالت له : إلى متى هذا البلاء ؟ فغضب أيوب وقال لها : كم لبثت في الرخاء ؟ قالت : ثمانين ، قال : كم لبثت في البلاء ؟ قالت : سبع سنين ، قال : أما أستحيي أن أطلب من الله رفع بلائي وما قضيت فيه مدة رخائي ، ثم قال : والله لئن برئت لأضربنك مائة سوط ، وحرّم على نفسه أن يتخذعه بعد ذلك ، ثم نادى ربه في حالة الوحدة والشدة ﴿ رَبِّ إِنِّي مَسَّيَ الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . فأجاب الله دعاءه ، وكشف بلاءه ، وأوحى إليه أن يضرب برجله الأرض ، تضرب الأرض فتضجر له منها الماء البارد ، فأمره

أن يشرب منه ويعتمل ، فشفاه الله ، وعاد أكل ما كان صحته وقوة قال تعالى :  
﴿ وَأُيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا  
لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ . وَأَنْبِئَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا  
وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ . ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ  
بِنُصِيبٍ وَعَذَابٍ . أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غَشِيلًا بَارِدًا وَشَرَابًا . وَوَهَبْنَا  
لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، وَخَذْنَا بِيَدِكَ حَبِيبًا  
فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتَسِبْ . إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . ﴾ .  
أمر الله أن يبر يمينه بأن يضربها بحزمة من قضبان خفيفة فيها مئة عود ،  
أو يأخذ عيداً قماً من النخس فيه مائة شمراخ ( عود ) فيضربها بها ضربة واحدة  
ويبر في يمينه ولا يحنت ، وقد شرع الله ذلك رحمة عليه وعليها لحسن خاتمها  
إياه ، وتحملها معه وقت الشدة والبلاء صنوف المحنة والابتلاء .

قال ابن كثير : هـ وهذا من التمرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سيما  
في حق امرأته الصابرة المحنبة . المكابدة الصديفة ، البارة الرشيدة ، رضي  
الله عنها ، ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعملها بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا  
نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . ﴾ .

ثم قال : وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الإيمان والنذور  
وتوسع آخرون فيها حتى وضموا الحبل في الخلاص من الإيمان ، وصدروه  
بهذه الآية الكريمة وأتوا فيه بأشياء من العجائب والغرائب<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر بعضهم أموراً لا يجوز اعتقادها بالنسبة لبلاء (أيوب عليه السلام)  
وهي منقولة عن اسرئيليات لم تصح منها : أن أيوب حين اشتد به المرض  
ومال به البلاء عاقه الجليليس ، وأوحش منه الأليس ، وانقطع عنه الناس ،  
وتعفن جسده حتى كان الدود يخرج منه ، فأخرج من البلد وألقي على مزبلة

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢٤ .



خارجها .. إلى غير ما هنالك من الحكايات المنقولة عن أنوراة المحرقة أو هي من أقوال أهل الكتاب .. وهذا مما يتنافى مع منصب النبوة ، وقد تقرر علماء التوحيد أن الأنبياء مترهون عن الأمراض المنقورة ، فكيف يتفق هذا القول مع منصب النبوة ؟ والصحيح أن المرض الذي ألم بأيوب لم يكن مرضاً منفرراً وليس فيه شيء من هذه الأقوال التعليلة ، وإنما هو مرض طبيعي ولكنه استمر به سنين عديدة تبلغ سبعاً وقيل إن مرضه استمر ثمانين عشر سنة ، وهو - بلا شك - أجل طویل لا يصبر عليه عادة الإنسان ، ثم أن بلاءه لم يكن في جسده فحسب بل شمل المال والأهل والولد ولهذا قال تعالى ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ .

وقد عاش أيوب عليه السلام (٩٣) سنة ورزقه الله المال واليتيم وقد ولد له ٢٦ ولداً ذكراً منهم واحد يسمى (بشراً) الذي يقول بعض المؤرخين إنه (ذو الكفل) الذي ذكره القرآن في ضمن الرسل الكرام وقد كانت رسالة أيوب إلى أمة الروم ولهذا يقولون إنه من أمة الروم ، وكان مقامه في دمشق وأطرافها على ما ذكره بعض المؤرخين .. .

## ١١ - ذوالكفل عليه السلام

﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ، وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ .

نسبه عليه السلام :

قال أهل التاريخ . ذو الكفل هو ابن أيوب عليه السلام ، الذي مرّ معنا ذكره ونسبه هو نسب أيوب عليه السلام واسمه في الأصل ( بشر ) وقد بعثه الله بعد أيوب وسماه ( ذا الكفل ) لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفى بها ، وكان مقامه في الشام ، وأهل دمشق يتناقلون أنّ له قبراً في جبل هناك يشرف على دمشق يسمى ( جبل قاسيون ) .

يرى بعض العلماء أنه ليس بنبي وإنما هو رجل من الصالحين من بني إسماعيل وقد رجّح ابن كثير نبوته لأن الله تعالى قرنه مع الأنبياء فقال جلّ وعلا في سورة الأنبياء :

﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصّٰبِرِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصّٰلِحِينَ﴾ .

وقال في سورة ( ص ) بعد قصة أيوب :

﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ .

قال ابن كثير : ( فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور<sup>(١)</sup> )

(١) البداية ونهاية ج ١ ص ٢٢٢ .

والقرآن الكريم لم يرد على ذكر اسمه في عداد الأتبياء ، أمّا دعوته ورسالته والقوم الذين أرسل إليهم فلم يتعرض لشيء من ذلك لا بالأجمال ولا بالتفصيل لذلك نعلمك عن الخوض في موضوع دعوته حيث إن كثيراً من المؤرخين لم يوردوا عنه إلا التور اليسير ، ومما ينبغي التنبيه له أنّ ( ذا الكفل ) الذي ذكره القرآن الكريم هو غير ( الكفل ) الذي ذكر في الحديث الشريف ، ونص الحديث كما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

( كان الكفل من بني اسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله ، فأنته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت ، فقال فما يبكيك ؟ أكرهتُك ؟ قالت : لا ، ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنا حملتني عليه الحاجة .. قال : فتضلعين هذا ولم تفعليه قط ؟ ثم نزل فقال اذهبي بالدنانير لك ، ثم قال : والله لا بعصي الله الكفل أبداً فمات من ثيلته فأصبح مكتوباً على بابهِ : قد غفر الله للكفل ) .

قال ابن كثير : ورواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وروى موقوفاً على ابن عمر ، وفي إسناده نظر ، فإن كان محفوظاً فليس هو ( ذا الكفل ) وإنما لفظ الحديث ( الكفل ) من غير إضافة ، فهو إذاً رجل آخر غير المذكور في القرآن<sup>(١)</sup> ...

ويذكر بعض المؤرخين أنّ ( ذا الكفل ) تكفل لبني قومه أن يكفهم أمرهم ، ويقضي بينهم بالعدل ، فسعيّ ذا الكفل ، وذكروا بعض القصص في ذلك ، ولكنها قصص تحتاج إلى تثبت ، وإلى تمحيص وتلقيب ، لذلك فقد ضربنا صفحاً عن ذكرها لأنّ في الروايات الصحيحة غنية عنها ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

(١) انرجع السابق بالصفحة واجزء .

## ١٢ - هارون عليه السلام

﴿لَمْ بَعَثْنَا مِنْهُمُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ إِنَّا كَرِهْنَا لِمَ كَانُوا سَاجِدِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ .

### نسبه عليه السلام :

هو ( هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ) عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، وهو شقيق موسى عليه السلام ، وقد بعثه الله رسولا مع ( موسى ) معيناً له في دعوته ، وقد استجاب الله دعاه موسى حين طلب من ربه أن يجعل له هارون وزيراً ومعيناً في تبليغ الدعوة ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِمَّنْ أَمَلِي ۖ هَارُونَ أَخِي ۖ أَشَدُّ دَعْوَىٰ لِي ۖ وَأَشْرِكٌ فِي أَمْرِي ۖ﴾ فوهب له هارون وأعطاها النبوة رحمة منه جلّ وعلا كما قال تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ﴾ .

### حياته عليه السلام ودعوته :

ولد هارون عليه السلام قبل ولادة موسى بثلاث سنين ، وقد بعثه الله رسولا إلى بني إسرائيل مع أخيه موسى عليه السلام ، وقد كان فصيح اللسان قويّ الجنان ، وكذلك أرسله الله مع أخيه ، ليكون له ردها ومعيناً في تبليغ الدعوة إلى فرعون الجبار كما قال تعالى حكاية عن موسى :

﴿وَإِخِي هَارُونَ ۖ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ﴾

إني أخاف أن يكذبون . . ﴿٤٠﴾

وإذا ذكرت دعوة موسى ذكرت دعوة هارون مقرونة بها ، فقد أرسلنا إلى ( فرعون وهامان وقارون ) وكانا رسولين إلى بني إسرائيل ولكن ( موسى ) عليه السلام أعظم شأنًا ، وأفضل منزلة من هارون . فهو من كبار ( أولي العزم ) بينما هارون عليه السلام كبقية الرسل الكرام . وقد بسط القرآن الكريم حياة موسى في ولادته ، ونشأته وفراره من مصر ، ودخوله أرض مدين . وزواجه ابنة شيخ مدين ، وتكليم الله له في جانب الطور ، وتحميله الرسالة ، والمعجزات التي جرت في حياته ، وسائر الأحداث العظيمة التي وقعت لبني إسرائيل ، وقد ذكرنا طرفاً منها حين تحدثنا عن قصة ( موسى الكليم ) عليه السلام ضمن الرسل الخمسة من أولي العزم . . وفي كل هذه كان هارون عليه السلام مرافقاً لأخيه في الدعوة لم يفارقه في سفر ولا في حضر .

وحين ذهب موسى لمكاملة ربه عند جبل الطور ، ووعد موسى قومه أن يأتيهم بالتوراة لتكون دستوراً وشرعية لهم ، استخلف أخاه ( هارون ) على بني إسرائيل ، وأكد عليه الأمر بالنظر في مصالحهم . وإصلاح شئونهم . واليقظة في أمرهم خشية أن يفتنهم أحد عن دينهم كما قال تعالى .

﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلقي في قومي ، وأصيح ولا تتبع سبيل المفسدين . . ﴿٤١﴾﴾

وقد كانت مدة غياب موسى عن قومه أربعين يوماً كما قص علينا القرآن الكريم . وفي أثناء هذه الفترة كانت المنحة العظمى والابتلاء الفكري على شعب بني إسرائيل ، حيث عبدوا ( العجل ) في غياب موسى . ذلك العجل الذي صنعه ( السامري ) من الذهب والحلي . وألقى عليه قبضة من تراب ككاف قد أخذها من أثر فرس جبريل حين نزل مع الملائكة لإغراق فرعون وجناته . وقد أصبح لهذا العجل صوت يشبه نحوار البقر ، وزعم هذا الخبيث الضال أن هذا العجل هو الرب الذي يبحث عنه موسى فلم يعرف مكانه . وحذروهم هارون فتنه ذلك المجرم العبيد ، ولكنهم لم يلتفتوا إلى كلامه وعبادوا العجل من دون

الله ، فلما رجع موسى ووجد قومه في هذه الفتنة العظيمة غضب غضباً شديداً عنى قومه ، وعلى أخيه وأخذ بلحجته ورأسه يجره إليه فأخبره هارون بما حدث لهم ، وبموقفه معهم وعدم انصياعهم لأوامره ، اقرأ قوله تعالى :

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبانَ أسيفاً قالَ بِسْمَا غَنَفْتُمْوِي مِنِّي بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رِبْتِكُمْ ۚ وَأَلْتَمَى الْأَلْوَابِحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِي أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا بِقَتْلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . .﴾ .

وقد ذكرت القصة مفصلة في كتب التفسير والتاريخ فارجع إليها . وقد عاش هارون (١٢٢٢) سنة انتقل إلى جوار ربه قبل أخيه موسى بأحد عشر شهراً وكانت وفاته في أرض التيه قبل دخول بني إسرائيل أرض فلسطين رحمه الله وأسكنه فسيح جنته<sup>١٩١</sup> .

---

(١) راجع تاريخ الطبري وتاريخ ابن كثير في تفصيل القصة .

## ١٣ - داود عليه السلام

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا...﴾ .

### ذكره في القرآن :

ورد اسم ( داود ) في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً ، في ( البقرة ،  
وانساء ، والمائدة ، والأنعام ، والإسراء ، والأنبياء ، والنمل ، وسبأ ، وسورة  
ص ) وهو من أنبياء بني إسرائيل الكرام ومن سبط ( يهوذا بن يعقوب ) وقد  
جمع الله تعالى له بين ( النبوة والملك ) وأعطاه خيري الدنيا والآخرة فكان نبياً  
ملكاً كما كان ولده سليمان عليه السلام .

### نسبه عليه السلام :

هو ( داود بن إيشا بن عويد .. من أولاد يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن  
إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ) وقد ذكر أهل التوراة وأهل الإنجيل نسبه  
في كتبهم منفصلاً وهم جميعاً متفقون على أنه من سبط يهوذا بن يعقوب المسمى  
( إسرائيل ) عليه السلام وهو أحد الرسل الذين نزلت عليهم الكتب السماوية  
بعد موسى عليه السلام . وأعطاه الله الزبور كما قال تعالى : ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

### مكانة داود بين بني إسرائيل :

بعد وفاة موسى وهارون - نولى أمر بني إسرائيل نبي من أنبيائهم يدعى  
( بوشع بن نون ) عليه السلام فدخّل بهم بلاد فلسطين ( الأرض المقدسة ) التي

كانوا قد وعدوا بها على نسان موسى في التوراة . وقسم لهم لأرضين . وقام  
بأمرهم إلى وفاته . ولما توفي (يوشع بن نون) تولى أمرهم قضاة منهم ويشوا  
على ذلك ٥٦ سنة وبسبب احتكم في هذه الفترة (حكم القضاة) .

وفي هذه الفترة دب إلى بني إسرائيل الوهن والضعف . وفشت فيهم  
المعاصي والشكرات . وضيعوا الشريعة . ودخلت في صفوفهم الوثنية . فسلبت  
الله عليهم الأمم القريبة منهم . فزاهم العمالقة . والأرميون . والفلسطينيون  
وغيرهم . وكانوا إلى الخذلان أقرب منهم إلى النصر في كثير من حروبهم مع  
عدوهم .

قال ابن جرير في تاريخه : ثم مرج أمر بني إسرائيل . وعظمت عندهم  
الخطوب والخطايا ، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء فسلبت الله عليهم بدل الأنبياء  
ملوكاً جبارين يظلمونهم . ويسفكون دماءهم . وسلبت عليهم الأعداء من  
غيرهم . وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم (تابوت الميثاق)  
ويسميه أهل الكتاب (تابوت العهد) فيه أرواح موسى وعصاه . وهو الذي  
أشارت الآية الكريمة إليه في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُسْكِنِهِ  
أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ . وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى  
وآلُ هَارُونَ .﴾ الآية .

وقد كانوا ينصرون بركة فدمت كانوا في بعض حروبهم مع أهل (غزة  
وعسقلان) غنبرهم على أخذهم فانزعوه من بين أيديهم . ومات مسكهم كسداً  
ويضي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع . حتى بعث الله إليهم نبياً من الأنبياء يقال  
له (شمعون) وأهل الكتاب يقولون (صمويل) فطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكاً  
منهم ليقاتلوا معه الأعداء فكان من أمرهم ما قص الله علينا في كتابه العزيز :  
﴿أَمْ تَرَى إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّنْ بَعَثَ فِيهِمْ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ  
لَسْنَا بِمَلَائِكَةٍ نُنزِّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ : هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ  
بِقِيَّةٍ أَنْ تَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَأَلَّا تَفْقَهُوا ؟ قَالُوا : وَمَا لَنَا أَلَّا نَفْقَهُ لَنَبِيِّ  
نَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَدْ كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ



أَعْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ نَوَلُّوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ .

وقد جعل عليهم نبيهم ( طالوت ) منكأً موحى من الله فملكه أمرهم لقوته ( الجسمية والعلمية ) ولكن بني إسرائيل تمردوا على نوابه انك وقالوا لنبيهم ﴿ أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنْ الْمَالِ ؟ ۚ قَالَ : إِنْ اللَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ زَادَهُ نَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ أصبح ( طالوت ) ملكاً على بني إسرائيل ، وأبده الله على الملك بمجيء الثابت الذي كان قد تزع منهم : فاختار الجنود الأقوياء الأشداء ، وخرج بهم لقتال عدوهم ، وفي الطريق اختبرهم بعد أن اشتد بهم الظمأ في رحلة برية شاقة بالمرور على النهر فأمرهم ألا يشربوا منه إلا من أخذ جرعة من الماء ليبل بها ظمأه ، وكان ذلك اختباراً وامتحاناً من طالوت لجنوده في قوة بأسهم وإرادتهم قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنْ اللَّهُ مِثْلِكُمْ فَشَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ . ﴿١١﴾ .

لم يبق مع طالوت إلا عدد قليل يقدر به ٣١٩ وكان عددهم على ما يذكر السدي ٨٠ أماً فرجعوا حيث إن إرادتهم كانت خوارة فلم يصحبهم طالوت معه لقتال الأعداء وإنما اكتفى بهؤلاء القلة في قتال خصومه ( الوثنيين ) الفلسطينيين وكان رئيس جيش العدو يسمى ( جالوت ) وكان جباراً شديداً يهابه الناس . فرهبه بنو إسرائيل وقالوا : ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَرِهَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . ﴿١٢﴾ .

كان ( جالوت ) يطلب المبارزة فتقدم إليه في صغير اسمه ( داود ) من

(١) انظر تاريخ الطبري .

سببط يهوذا ولم يكن في الحسبان أن يدخل مثله في المعانين لصغر سنه ، فلمّا أُقْبِلَ عليه احتقره وازدراه وقال له : ارجع فإنّي أكره قنلك فقال له ، داود : ولكنّي أحب قنلك ، ثم حصلت مباراة بينهما فقتل ( داود ) جالوت وأهزم جيشه شر هزيمة وتم النصر لداود عليه السلام قال تعالى :

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ، وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ، وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ .﴾

منذ ذلك الحين لمع اسم ( داود ) بين شعب بني إسرائيل ، وتتابع الانتصارات على يديه وأعزّ الله بني إسرائيل بعد أن كانوا في ذل وهوان ، فاجتمع بنو إسرائيل بعد وفاة ( طالوت ) وبايعوا هذا الغلام النقي على الملك ، فأصبح ملكاً عليهم ، وكان عمره لا يزيد على ٣٠ عاماً ، وقد حكم بين شعبه بالعدل ، وساسهم بالمساراة ، وطبّق عليهم أحكام التوراة ، إلى أن أوحى الله بالزبور ، أحد الكتب الأربعة السماوية .

### رسالته ودعوته عليه السلام :

لمّا بلغ داود عليه السلام من العمر ٤٠ سنة آتاه الله النبوة مع الملك وأرسله رسولاً إلى بني إسرائيل ، وأنزل عليه الزبور فيه مواعظ وعبر ، ورفائش وأذكار ، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

وقد كان ( داود ) عليه السلام حسن الصوت ، جميل الانشاد ، حتى أصبح يضرب به المثل في حسن الصوت ، فيقال : أعطي مزماراً من مزامير داود ، وقد سمع رسول الله ( ص ) صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ القرآن - وكان حسن الصوت - فوقف يستمع لتلاوته فأعجيب بصوته الجميل وتلاوته الرائعة فقال له : لقد أعظيت مزماراً من مزامير آل داود ، فقال يا رسول الله أكنت تستمع لقراءتي ؟ قال نعم ، قال لو علمت أنك تستمع لحبسته لك تحبيراً ( أي بحسنت قراءتي وحسنتها لك أكثر .. )

كان داود عليه السلام إذا قرأ الزبور تكفّ الطير عن الطيران ، وتقف

على الأغصان والأشجار ، فترجع بترجعه ، وتنبج بتسبيحه ، وكذلك الجبال تردّد معه في العشيّ والإيكار . وكان يقرأ الزبور بصوت لا تسمع الآذان بمثله فيعكف الجن والإنس والطير على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً<sup>(١)</sup> فهو يصدح بصوته العذب الجميل بتسبيح الله وتحميده . وبتغني فيه بكلام الله في الزبور فتسبح معه الجبال والطير قال تعالى :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا آتَيْنَا دَاوُدَ مِثْرًا قَضَلْنَا بِأَجْبَانٍ أُوْتِي مَعَهُ وَالنَّعِيرُ ﴾

وكان مع ذلك الصوت الرخيم سريع القراءة للزبور ، مع التدبير والشم والنفسي به على وجه التخشع فقد جاء في الحديث الشريف : ( خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرح ( أي يوضع على ظهرها السرج للمركوب ) فيقرأ القرآن قبل أن تسرح دوابه . وكان لا يأكل إلا من عمل يديه )<sup>(٢)</sup> وقد كان داود عليه السلام مع هذه العظمة والملئك والجاه كثير العبادة به سبحانه وتعالى ، كان يقوم الليل ويصوم النهار ويقضي جزءاً كبيراً من يومه في حجه ومصلاه ، فكان ذا قوة في العبادة والطاعة وعمل الصالحات كما قال تعالى :

﴿ وَادْكُرْ عَبْدَتَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِي إِنَّهُ أُوْتِي .. ﴾ .

قال ابن عباس : أوتيت القوة في الطاعة والعبادة ، وفي التصحيحين ( أحب الصلاة إلى الله صلاة داود . وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه . وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .. ) .

المزاي التي خصّ الله بها داود عليه السلام :

١ - تسخير الجبال معه بسبحن بكرة وعشيا : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ

مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ .

(١) نهاية ونهاية ج ٢ ص ١١ .

(٢) رواه البخاري وأحمد .

- ٢ - ترجيع الضير معه كلمًا فرأى الزبور : ﴿والطيرَ محشورةٌ كلٌّ له أبوابٌ﴾ .
- ٣ - تعليقه منطق الطير : ﴿علّمنا منطقَ الصيّرِ ..﴾ .
- ٤ - إلهة الحديد له فكان بين يديه كالعجيين : ﴿وأنما له أخيد ..﴾ .
- ٥ - علّمه الله صناعة الدروع لئلا يخطر الحرب : ﴿وعتّمناه صنعة لبوسٍ لكم ليُنحِصنكم مِن بأسِكُمْ ..﴾ .
- ٦ - قوى الله ملكه وجعله منصوراً على أعدائه مهياً في قومه : ﴿وشدّدنا ملكه ..﴾ .
- ٧ - آتاه الله الحكمة (النبوة) وفصل الخطاب (تميز الحق عن الباطل) ﴿وآتاهُ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ ..﴾ .

#### قصة عظيمة على داود :

وقع بعض المفسرين في خطأ فاحش . حين تقلوا بعد التخصيص الإسرائيلي في تفاسيرهم . اعتماداً على ما جاء عند أهل الكتاب . مما لم يصح سنده ، ولا يجوز اعتماده . لأنه من ضلالات أهل الكتاب ، ولأنه يتنافى مع عقيدة المسلمين في (عصمة الأنبياء) من هذه الأباطيل المأسوسة ما روى عن داود عليه السلام من أمر عشقه لزوجة قائد جنده وخالصتها : أن داود كان يمشي على سطح داره فنظر إلى امرأة تستحم فأعجبته وأعزم بها . وكانت زوجة أحد قواده في المعارك وهو (أوريا) فأراد أن يتخلص منه ليتزوج بها فأرسله في أحد الحروب وحمّته الرابة وأمره بالتقدم . وكان قد أوعز إلى الجنود أن يتأخروا عنه إذا تقدم نحو الأعداء . وبهذه الوسيلة قتل الرجل وتزوج داود بتلك المرأة التي عشقها . ويدعي أهل الكتاب أن داود عاشرها في غياب زوجها (أي زنى بها) ثم دبر تلك المكيدة ليتخلص منه ، وأن سليمان جاء من تلك المرأة العشيقة إلى آخر ما هنالك من زور وضلal وبهتان . على هذا النبي الكريم : وهذه قصة مفتراة على داود ، ومن يقرأ في كتب أهل الكتاب يجد فيها الشيء

الكثير من نسبة الكبائر إلى أنبيائهم وقد بسبهم ، بلفظونها ليرروا لأنفسهم ارتكاب الآثام ، والوقوف في الكبائر .

قال ابن كثير : وقد ذكر كبير من المفسرين هنا فصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية . ومنها ما هو مكذوب لا محالة ، تركنا إيرادها في كتابنا فصداً اكتفاء بمجرد تلاوة القصة من القرآن الكريم . والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم .

وقال الفيضوي : وما قبل إتيه أرسل ( أوروبا ) مراراً إلى الحرب ، وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها داود هزواً وانفراه ، ولذلك قال ( علي ) رضي الله عنه : ( من حدث بحديث داود علي ما يرويه القصاص جندته مائة وستين جندة <sup>(١)</sup> وهذه عذوبة حد القذف مغلظة لأنها في حق نبي من الأنبياء . أما القصة التي ذكرها القرآن الكريم فليس فيها ما يقدم بعصمة داود ، وليس فيها شيء من هذا الشطط والبهتان الذي زعمه أهل الكتاب . وأخذه عنهم بعض المفسرين بدون تثبيت ولا تحقيق ، وسنورد الآية الكريمة التي ذود فيها بعض الناس ، ونبين معناها على الوجه الذي ذكره المحققون من المفسرين .

قال تعالى في سورة ( ص ) :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَتَفَرَّقَ مِنْهُمْ قَالَوا : لَآ نَخْفُ خَضِرًا يَتَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . إِن هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَذَاتَ أَكْفِينٍ بِهَا وَعَزَّزِي فِي الْحَطَّابِ : قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ . وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . ﴾

(١) انظر تفسير الفيضوي .

وتفصيل القصة على ما ذكر المحققون : أن داود عليه السلام جزأ أزماته يوماً للعبادة ، و يوماً للقضاء ، و يوماً للوعظ والارشاد و يوماً لتخاصة نفسه فنسور عليه ملائكة في صورة البشر في يوم الخلوة والاحتجاب - وكان الحرس عنى اليا ب لا يتركون من يدخل عليه - فلم يشعر داود إلا وأمامه بعض الأشخاص فنزع منهم فقالوا له : لا تخف نحن فوجان مختصمان ( بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط .. ) .

أي لا تجر ولا تظلم في الحكم ( واهدنا إلى سواء الصراط .. ) والمراد عين الحق وهو العدل ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ وهي الأثني من الضأن وقد يكتنى بها عن المرأة فيكون الغرض أن عنده تسعاً وتسعين امرأة ﴿ولي نعجة واحدة﴾ فقال : ﴿كفليتها﴾ أي ملكيتها ﴿وعزتي في الخطاب﴾ أي غلبي في الخصومة فأجابه داود بقوله : ﴿لقد ظلمتك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ وفي ذلك استنكار لفعل غلبه وسهجن لطمعه حيث أراد أن يتنازل له صاحبه عن نعجته وعنده تسع وتسعون ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ أي علم وأيقن أنما ابتليناه ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾ أي رجع إلى الله بالثوبة والابانة ولعل داود رأى أنه أسرع بالحكم قبل سؤال المدعي عليه وأنه تجاوز الحق إذ لا يجوز له أن يحكم قبل أن يسمع كلام الخصمين . هذه خلاصة القصة وليس فيها ما يزيد على أن ( داود ) استغفر ربه من شيء وقع منه ولعله أراد الفلك لن تسوروا عليه المنجرب حيث حن بهم الشر والسوء فأراد قتلهم ثم سمع كلامهم فاستغفر ربه مما ظن بهم من سوء وليس في القصة شيء مما ذكروا في الأثر والبهتان فأين فيها الحب والغرام لزوجة فائده ؟ وأين فيها تدبير المؤامرات لا تحتطافها منه بعد تعريضه للقتل في الحرب ؟ سبحانه هذا بهتان عظيم ..

ولسنا نعجب من اقتراف أهل الكتاب على رسلهم وأنبيائهم ، ولكننا نعجب من اغترار بعض علماء المسلمين بمثل هذه المفتريات والحكايات الاسرائيلية على الأنبياء والمرسلين ، حتى يتقلوها في كتبهم ويرووها على أنها من قصص القرآن

فهل تليق هذه الأساطير بمقام نبي الله الكريم (داود) عليه السلام الذي قل  
 عنه القرآن: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ . وقال عنه: ﴿وإن نه عندنا لرؤيتي  
 وحسن مآب﴾ . وقال أيضاً: ﴿وأبناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ . ؟  
 والأغرب من هذا أن نجد في التوراة أمثال هذا الخبر المتري ، الواضح  
 البطلان في شأن داود عليه السلام ، فقد ورد في التوراة ما يلي : ( وكان داود  
 يدخل المعابد الوثنية فيقيم فيها الطقوس الدينية لإرضاء لرغبات زوجته الوثنيات )  
 أقول : ينبغي على العلماء الثبوت في نقل الأخبار ، وخاصة ما ذكر في كتب  
 أهل الكتاب من قصص إسرائيلية ، فإنه مما لا شك فيه أن الكتب السماوية قد  
 دخل إليها التحريف والتبديل . وكل ما خالف العقيدة الإسلامية الصافية فهو  
 باطل مردود .

#### وفاة داود عليه السلام :

يقول أهل الكتاب إن ( داود ) عاش سبعا وسبعين سنة ثم توفاه  
 الله تعالى وقد ردّ هذا القول ابن جرير وقال إنه غلط ، وقال إنه عاش  
 مائة سنة وذلك للحديث الذي رواه أحمد ( إن آدم عليه السلام لما استخرج  
 ذريته من ظهره رأى فيهم الأنبياء عليهم السلام ، ورأى فيهم رجلاً يزهر :  
 فقال أي رب من هذا ؟ قال هنا ابنك داود ، قال أي رب كم عمره ؟ قال  
 ستون عاماً قال أي رب زد في عمره ، قال لا ، إلا أن يزيد من عمرك - وكان  
 عمر آدم ألف عام - فزاده أربعين عاماً ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك  
 الموت ، فقال بقي من عمري أربعون سنة ، ونسي آدم ما كان وهيه لولده  
 داود فأثمتها الله لآدم ألف سنة ، ولد داود مائة سنة<sup>(١)</sup> وقد دام ملكه ٤٠ سنة  
 رحمه الله تعالى .

(١) انظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٤٦ .

## ١٤ - سليمان عليه السلام

﴿وَحُشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جَنُودَهُ مِنْ الْبَحْرِ وَالْأَنْدُسِ وَالطَّبْرِ فَهُمْ يُؤَدُّونَ﴾

### ذكره في القرآن :

ذكر اسم سليمان عليه السلام في القرآن الكريم في ست عشرة آية ، في البقرة . والنساء ، والأنعام ، والأقبياء ، والنمل ، وسبا ، وفي سورة ( ص ) وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ، وقد رزقه الله ( النبوة والملك ) وجمع له بينهما كما جمعهما لوالده ( داود ) عليه السلام ، وكان ملكه واسعاً وسلطانه عظيماً ، لم يداته أحد في تلك الرتبة والمنزلة ، فقد استجاب الله دعاءه وأعطاه ملكاً عظيماً لم يعطه لأحد بعده كما قال تعالى حكاية عنه :

﴿فَإِنَّ رَبَّ الْغُثَيْرِ لِيَ وَهَبَ لِي مُنْكَأً لَا يَتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُجْحَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَأَخْرِينَ مَقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .﴾

### نسبه عليه السلام :

هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد ... من سبط ( يهوذا بن يعقوب ) وينتهي نسبه إلى إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأهل الكتاب يذكرون نسبه مغلوياً . ويقولون إنه كان عظيم الحكمة ، ولذلك يسمونه



( سليمان الحكيم ) ولا يلقبونه بالنبي أصلاً (١).

### حكمة سليمان عليه السلام :

أوصى داود عليه السلام بالملك لولده سليمان ، ولما مات داود ورثه سليمان في الملك وكان عمره حينئذ (١٢) سنة ويروي ابن الأثير في التكميل : أن عمره كان ثلاث عشرة سنة ، وقد كان مع جدائه سنة من ذوي الفطاقة والذكاء ، وحسن التدبير والسياسة ، وقد أعطاه الله الحكمة وحسن القضاء منذ الصغر . وقد ذكر القرآن الكريم طرفاً من ذلك النبوغ والذكاء الذي كان عند سليمان وذلك في القصة التي عرضت عن أبيه ، فأنفي فيها ( داود ) بوجه وأفي فيها ( سليمان ) بوجه آخر ، كان أضمن للحق وأقرب للصواب كما قال تعالى :

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ . إِذْ نَفَسَتَا فِيهِ غَمًّا اتَّخُومًا وَكُنَّا لِحُكْمِهِمَا شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّامًا آتِينَا حُكْمًا وَعِلْمًا .﴾ الآية ف قوله تعالى : ( فهمنهاها سليمان ) يدل على أن ما أفي به سليمان كان أقرب لنصواب وقونه ( وكلاماً آتينا حكماً وعلماً ) يدل على أن داود وسليمان كانا على جانب عظيم من الحكمة والعلم .

وتفصيل القصة ذكرها المفسرون : أن زرعاً دخلت فيه غم لغوم لبلاء فأكلته وأفسدته ، فجاء المتخاصمون إلى داود وعنده سليمان ، وقصوا عليه القصة فحكم داود بالغم لصاحب الزرع عوضاً عن حرثه الذي أتلفته الغم لبلاء فكان سليمان - وهو ابن إحدى عشرة سنة - غير هذا أرفق ، تدفع الغم إلى أهل الحرث فينتفعون بأبنائها وأولادها وأشعارها وتدفع الحرث إلى أهل الغم بقومون بإصلاحه حتى يعود كما كان ، ثم يبرأ أن بعد ذلك فيعود لأهل الغم غنمهم . ولأهل الحرث حرثهم .

ومما يدل على حكمة سليمان ، وجودة رأيه في الحكم والتنقضاء ، ما روي

(١) انظر قصص القرآن لتجار ص ٢٦٨ .

في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال : ( بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا للذئب فأخذ ابن إحداهما ، فتنازعتا في الآخر فقالت الكبرى : إنما ذهب بابنك ، وقالت الصغرى بل إنما ذهب بابنك ، فتنازعتا إلى داود فحكم به للكبرى ، فخرجتا على سليمان فقال : انتوفي بسكين أشقته بينكما نصفين لكل واحد منكما نصفه ، فقالت الصغرى لا تفعل برحمتك الله هو ابنها فقضى به فما<sup>(١)</sup> ) وهذه الحادثة تدل على أسلوب بارع في معرفة الحق ، واستخراجه بطريق الحيلة ، فداود عليه السلام حكم به للكبرى لأنها كانت أقوى بالحجة من الصغرى ، ويظهر أنها استطاعت ببعض الترائن أن تثبت الحق لطرفها ، وأما سليمان عذو السلام فقد سلك طريقة بديعة لمعرفة صاحب الحق فحينما عرضتا عليه أمرهما فإن : أعطوني السكين أشقته بينهما نصفين ، فسكنت الكبرى عن غفلة وبلاهة ، واندفعت الصغرى بعاطفة الأمومة وحنانها تقول : لا تفعل برحمتك الله هو ابنها فنتأ منها أنه سينفذ الحكم في ولدها فعرف أنه ابنها بسبب شفقتها عليه فحكم به لصغرى .

### بناؤه لبيت المقدس :

قام ( سليمان بن داود ) بعمارة بيت المقدس ، تنفيذاً لوصية أبيه داود عليه السلام بعد أربع سنين من توليه الملك ، وأنفق في ذلك أموالاً كثيرة ، وانتهى من بناؤه بعد سبع سنين وأقام السور حول مدينة ( أورشليم ) أي مدينة القدس . وقد روى أن سليمان لما بنى بيت المقدس ، سأل ربه عز وجل خلالاً ثلاثة فأعطاه اثنين : ( سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أن يبارك له في بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يخرج من خطيبته مثل يوم ولدته أمه<sup>(٢)</sup> ) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد والنسائي .

قال ابن كثير : بعد أن أورد تلك الرواية فنحن نرجو أن تكون الثالثة لنا  
وأن الله قد أعطانا إياها .

ولما انتهى من بناء بيت المقدس بنى ( الميكل ) أي اقصر المنكي فسكن  
المورشون : وقد أممّ بناءه في مدة ثلاث عشرة سنة وأنشأ مذبح القربان ، وكان  
له اهتمام عظيم بالإصلاح والعمران . وكان له اسطول بحري . قالوا : وكانت  
السفن تجلب له من اخمد الذهب ونفضة والبضائع . وكانت له غنابة مائقة بالحليل  
بروضها وبعدها للحرب ، وكانت له مجموعة كبيرة من ثناء الحرار والسراري  
حيث لم يكن في شريفه تحميد لعدد الزوجات . روى عن النبي ﷺ أنه  
قال : ( قال سليمان بن داود لأطرفن الليلة على مائة امرأة ، نذ كل واحدة  
منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله - ولم يقل إن شاء الله - فما وادت إلا واحدة  
منهن يشق إنسان ، فقال رسول الله : لو قال إن شاء الله نوات كل امرأة  
منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله عز وجل <sup>(1)</sup> .

### نعم الله على سليمان :

أكرم الله سبحانه ( سليمان بن داود ) بنعم عظيمة . وخصه بجزايا رائعة  
كانت عنواناً تاممةً وامجد . ومظهراً من مظهر الملك العظيم . والجاه الكبير  
الذي أعطاه الله لسليمان عليه السلام . فكان له سيادة الدنيا . وعزة الآخرة .  
وهذه بعض نعم الله تعالى على سليمان :

أولاً : ورثه الله تلك عن أبيه كما أعطاه الله نبيه . فكان نبياً ملكاً جمع  
بين الشرفين . قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ الآية . قال ابن كثير :  
أي ورثه في النبوة والملك . وليس المراد ورثه في المال لأنه كان له بتون غيره .  
وفي الحديث الشريف ( نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ) فأنخير  
الصادق والمصدق أن لأتبياء لا نورث أموالهم عديم من تكون أموالهم صدقة

(1) رواه البخاري وأحمد بلفظ متفارب .

ثانياً : علمه الله منطق الطير ، وسائر لغات الحيوانات . فكان يفهم عنها ما لا يفهمه سائر الناس : وربما تحدث معها كما كان الأمر مع الغدده أو النمل أو غيرها . روى ابن عساكر قال : مرّ سليمان بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه أندرون ما يقول ؟ قالوا وما يقول يا نبي الله : قال بخطبها إلى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أيّ غرف دمشق شئت . قال سليمان وغرف دمشق مبنية بالصخر لا يسكنها أحد ولكن كنت خاطب كاذب<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء . إن هذا هو الفصل المبين﴾ . وقال تعالى : ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخسوا مساكنكم لا يحطيمتكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون : فتبتم ضاحكاً من قوما﴾ الآية .

ثالثاً : إن الله تعالى آتاه الحكمة على حدائمه منه . ويشهد لذلك ما أوردنا من بعض النصوص التي حكم فيها بحكم أقره القرآن الكريم عليه : ﴿فنفهناها سليمان﴾ وبما حصل له في قصة النمل الذي عاد على ولد إحدى المرأتين كما مرّ سابقاً .

رابعاً : سخر الله تعالى له (الرياح) فكانت تنقله إلى أي أطراف الدنيا شاء . ونقطع به الصفات الثامنة الثعبانة في ساعات معبودات . كما قال تعالى ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ والمعنى أنها تقطع به من الصباح إلى الظهر مسيرة شهر ، ومن الظهر إلى المساء مسيرة شهر ، فتقطع به في النهار الواحد مسيرة شهرين . قال الحسن البصري : ( كان يغدو من دمشق فينزل ناصطخر فيشغدى بها . ويذهب وأحياناً منها فيبيت بكابل وبين دمشق

(١) بداية ونهاية ج ٢ ص ١٨ .

(٢) بداية ونهاية ج ٢ ص ١٩ .

واصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر .

وذكر ابن كثير أنه كان له بساط نحمله الريح فيه الدور المبنية والحمام والأمتعة والخيل والجمال والرجال وغير ذلك من الحيوانات والطيور فإذا أراد سرفاً حملته الريح .

اقول : ليس هذا بغريب ولا عجب على قدرة الله تعالى ، فالإنسان الذي يقطع الآن بالطائرة النفاثة أقاصي المعمورة ، ويتقل من بلد إلى آخر في سويعات معدودت قد سخره الله تعالى لنبيه الكريم (سليمان) بواسطة الريح ، وهذا التسخير من المعجزات التي اختص بها سليمان عليه السلام .

وقد أنكر الشيخ النجار في كتابه (قصص الأنبياء) موضوع البساط : ولا محل لهذا الإنكار لأن قدرة الله تصنع العجائب ، ونحن نؤمن بما أتته القرآن من أن الريح تقطع به المسافات البعيدة . ولكن كيف كانت الريح تحمله هل تحمل به القصر ؟ أم تحمل به الخيل ؟ أم تحمل البساط ؟ نترك عنهم ذلك إلى الله تعالى ونكتفي بما حدث عنه القرآن . قال تعالى : ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها . وكنا بكل شيء عالمين .﴾

و نحن مع الشيخ نقرأ بالمعجزات والعجائب ، ولكن لا نبتدأ فيها ولا نسرف ولعل الذي دعاه إلى انكار ذلك تلك الصورة الغريبة العجيبة التي ذكرها بعض أهل القصة أو المبالغة التي اعتمد عليها بعض أهل التفسير ، في ذكر أوصاف البساط .

خاتماً : سخر الله تعالى له الجن ومردة الشياطين ، يفوضون له في البحار لاستخراج الخواصر والآباء . ويعملون له الأعنان التي يعجز عنها البشر ، كبناء الصروح الضخمة ، والقصور العالية ، والقصور الراسيات ، والخلجان التي تشبه الأحواض كما قال تعالى :

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه . ومن يزرع منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محراب . وتماثيل

وجيفان كالجواب ، وقلوب راسيات ، اعصموا آل داود شكراً وقليل  
من عبادي الشكور... ﴿١﴾ .

كما جعل الله له سلطة على جميع الشياطين ، يسخر من يشاء منهم في الأعمال  
الشاقة ، ويفسد من يشاء في الأغلال ليكف شرهم عن الناس كما قال تعالى :  
﴿وَأَشْيَاطِينَ كُلَّ بَتْنٍ وَغَوَاصِرٍ ، وَآخَرِينَ مَفْرَقِينَ فِي الْأَصْفَادِ...﴾ أي  
الأغلال .

ولم يكن هذا التسخير لأحد من الأنبياء غير ( سليمان ) عليه السلام : وذلك  
غاية العظمة ، ونهاية الملك والسلطان لسوك الدنيا ، فلم ينل أحد من الملوك ما  
نالته نبي الله سليمان عليه السلام ، روى الإمام البخاري في صحيحه عن رسول  
الله ﷺ أنه قال : « إِنْ عَفِرْنَا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي  
فَأَمْكِنِّي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَرَمْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى  
تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلَّكُمْ . فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي  
مُلْكًا لَا يَنْفِي لَأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فَرَدَّدْتُهُ خَاسِتًا .

سادساً : أسأل الله له عين القطر ( وهو النحاس المذاب ) فكان النحاس  
يندفع له مذاباً من عين خاصة كتندفق الماء فيصنع منه ما شاء قال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُكَ  
لَهُ عَيْنٍ تَقِيطُرُ﴾ وهذه من خصوصيات سليمان عليه السلام كما أن الله  
تعالى لأبيه الحديد .. ﴿وَأَنْتَ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ فكان بين يديه كالمعجزة يقنله بيده  
لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة ، وقد قال ابن عباس في تفسير ( القطر ) بأنه النحاس  
وكانت باليمن تبعها الله نه فكان يأخذ منها ما يحتاج إليه للنباتات وغيرها (١) ،  
ويعرفون بعض العلماء : ولعل ذلك كان في أرض بركانية .

سابعاً : كان حننه مولغاً من ( الإنس والجن والطيور ) وقد نظم لهم أعمالهم  
ورتبهم قسم شئونهم . فإذا خرج نخرجوا معه في موكب حافل : يحيط به الجن  
والخدم من كل جانب ، فالإنس والجن يسرون معه ، والطيور تظلمه بأجنحتها

(١) انظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨ .

من الحر ، وعلى كل من هذه الجيوش فقياء وروساء يسبرون في عرض رائع ،  
وموكب ملكي حافل ، ثم نَرَ العينُ مثله ، وقد قصَّ علينا القرآن الكريم قصته  
عندما خرج بجنده فمرَّ على واد النمل . فتكلمت نملة مع رفيقائها ، وقدم سليمان  
كلامها واعتذارها فنبستم ضاحكاً من قولها وشكر الله على نعمه العظيمة التي  
أخذها عليه ، وطلب من ربه أن يرزقه الشكر على هذه النعم إقرأ قوله تعالى :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ  
حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّسْلِ قَالَتْ يَا أَيُّهَا النَّعْلُ ادْخُلُونَا مَا سَكَيْتُكُمْ  
لَا يَحْطِئَتِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَنبَسَطْ ضَاحِكاً مِنْ  
قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي  
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ . وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . . . ﴾

قال ابن كثير : وفي هذا السبب ، دليل على أنه كان في موكبه راكياً في  
خيونه ورفسانه . لا - كما زعم بعضهم - من أنه إذ ذاك على البساط . لأنه  
لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء ، لأن البساط كان عليه جمع  
ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثاث والخيام . وانظروا من  
فوق ذلك كله كما سنبيته إن شاء الله .

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة أسراب  
النمل حين أمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ، لئلا ينحطموا تحت وطأة الأقدام .  
ثم اعتذرت عن سليمان وجنده بذلك الاعتذار اللطيف ، الذي ينادى على فهم  
وإدراكها لنفسية سليمان الكريمة ، وجنده الأوفياء الأبرار ﴿ لَا يَحْطِئَتِكُمْ  
سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أفليس هذا دليلاً على أدب هذه النملة ،  
وتحيزها بين الأشرار والأبرار ؟

وروي عن السدي أنه قال ( أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه  
السلام ، فأمر الناس فخرجوا للاستسقاء ، فإذا بنملة قائمة على رجلها ، باسطة

(١) انظر البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩ .

يديها وهي تقول : ( اللهم إنا خلقنا من خلقك ، ولا غنى لنا عن فضلك .. )  
فقال ارجعوا فقد سئتم من أجل هذه التملة .

### قصة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ :

فصل عشرين اقرآن الكريم قصة سليمان مع ملكة سبأ ، وهي قصة رائعة فيها مغزى دقيق للملوك والعظماء وفيها بيان لسعة ملك سليمان حيث امتد من بيت المقدس ، إلى أفاصي اليمن ، ودانت له الملوك والأمراء ، وقد اتخذ الملك وسيلة للدعوة إلى الإسلام فتم بترك ملكاً كافراً ، ولا حاكماً جائراً ، ولا سلطاناً ذا بأس وقوة إلا ودعاه إلى التسلم في دين الله : فمن لم يجهه كان السيف هو المحكم الفصل : وهكذا انشر دينه في أقطار المعمورة وعم أرجاء الدنيا .

ذكرنا أن جنده كانوا - من الإنس والجن والطيور ، كل له عمل يقوم به - وكان الجميع يحضرون لديه كما هي حالة الجنود مع الملوك - وكانت وظيفة الهدهد - على ما ذكره ابن عباس - البحث عن الماء في القفار في حالة الأسفار فيجيء فينظر لهم هل يهده البقاع من ماء ؟

وتفقد سليمان الطير يوماً فلم يجد ( الهدهد ) فعاد ذلك جريمة أقرفها وتهدده بالذبح أو التعذيب إلا إذا أتوه بتذر مقبول عن سبب هذا التخلف ، فلما جاء ( الهدهد ) سأله عن غيبته فأخبره أنه كان في اليمن في بلدة سبأ ، وهناك ملكة تسمى ( بلقيس ) قد ملكت عن تلك الأمة ، ولملكنتهم عرش عظيم فيه أنواع الثروة والجواهر ، وأنها وقومها جماعة وثنيون يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله وأخذ يحرص عليه نيا تلك المملكة العظيمة وما فيها من الأقوام الوثنيين الكافرين بالله .

تعجب سليمان من هذا الخبر ، كيف يكون في الدنيا من يعبد غير الله ؟ وأراد أن يختبر الهدهد هل هو صادق في خبره أم كاذب ؟ فأعطاه كتاباً ليوصله إلى الملكة : فذهب ( الهدهد ) بالكتاب إلى اليمن وأفناه على سريرها ، وكان



فيه الدعوة إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، والابانة والاذعان إلى الخضوع للملكه  
وسلطانه .

أخذت الملكة الكتاب وفتحته فإذا به : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ  
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتْرَفِي مُسْلِمِينَ ﴾ .

لم ترد الملكة أن تسبب بالإجابة على هذا الكتاب ، فجمعت رجال دولتها  
وأهل مشورتها الوزراء والأعران وأضعتهم على هذا الكتاب وما فيه من الخطاب  
الشديد ، فأخذتهم العزة بالأنف ، وثارَت فيهم الحماسة ، وقالوا لها : ﴿ نحنُ  
أولوا قُوَّةٍ وأولوا بأسٍ شديدٍ ، والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين ؟ ﴾ كانت  
الملكة ( بلقيس ) ذكية عاقلة ، فنظرت في الأمر بعين الفطنة - ولم تقتر بما  
أبداه رجالها من القوة والحماسة - وقالت لهم إن دخول الملوك إلى المدن ليس  
بالأمر اليسير السهل ، بل هو خراب للبلاد ، وخاصة إذا دخلوها عن ثورة  
وغضب : ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة  
أهلها أذلةً وكذلك يفعلون ؟ ﴾ وعرضت عليهم رأياً آخر وجدته أقرب  
إلى حل هذه الأزمة التي أتتها من حيث لا تحسب ، وذلك بأن ترسل إلى سليمان  
بهدية تصانعه بها ، وتستنزل مودته بسببها ، وتحمل هذه الهدية لرجال دهاة  
يتظرون مندى قوة سليمان : ثم بعد ذلك تقرر ما يجب أن تفعله على ضوء ما  
بأنبأها عنه من أخبار .

يقول الشيخ عبد الوهاب الأنجاري في كتابه ( قصص الأنبياء ) ما نصه :  
« وظاهر أنها كانت تريد من إرسال الهدية أن يقف رسلها على أحوال  
هذا الملك الذي أرسل بتهديدها على غير جريرة وبطلب حضورها إليه خاضعة  
بلا تردد ، ثم يعودون إليها بالتقرير الوافي عن حقيقتها ، وتوثق في ملكه . ومبلغ  
ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة إذا لم تخضع لأمره : لتكون على بيعة مما تأتي  
وتدع ، وتكون على رأس أمرها ، حتى إذا فعلت أمراً فعلته بعد تقدير عواقبه ،  
فلما جاءت رسلها إلى سليمان بالهدية لم يقبلها ، وأظهر أنه ليس في حاجة إلى  
أموالهم وأنه في حال حسنة ، وانفساح ثروة أكثر مما فيه للملكة وقومها ،

وتوعدهم وملكنهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها (أي لا قدرة  
 لهم على قتالها) وأن عاقبة ذلك إخراجهم من بلادهم أذلة صاغرين<sup>(١)</sup> .  
 رجع الرسل إلى الملكة . ووصفوا لها ما شاهدوه من عظمة ملك سليمان .  
 وكثرة جنده . وقوة بأسه وأخبروها بأنه رد الهدايا إليها . ولم يرض انصاعة  
 وأنه مصمم على غزو البلاد بجيش عرمرم فعزمت الملكة على الاستسلام والانقياد  
 وشدت رحلتها وأحمافها . وسارت مع جماعتها إلى سليمان ، أقرأ الآيات الكريمة  
 ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ سُدَّ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ .  
 لَأَعْلَبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بَسُلْطَانٍ مَبِينٍ . فَسَكَتَ غَيْرَ بِعِيدٍ  
 فَقَالَ أَطَعْتُم بِمَا أُرْسِلُ بِهٖ وَجِئْتُكُمْ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُحْيِينَ . أَنَّى وَجَدْتُمْ امْرَأَتَ  
 تَمَلِكُهَا وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَحَسْبُ عَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ وَوَجَدْتُمُهَا وَفَوَّضْتُمُهَا بِمَسْجِدٍ وَ  
 لَمْ تَحْشُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ . وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ  
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ النَّبَاتِ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ . وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ؟ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
 الْعَظِيمِ ۚ قَالَ : سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ . إِذْ هَبَّ بِنْتُهَا هَذَا  
 فَالْقِدِّ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ؟ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ  
 إِلَهِتِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .  
 أَلَا تَتَعَلَّوْا عَلَيَّ وَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مُسْلِمِينَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفُنُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ  
 قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ . قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُلُوًّا بِأَمْرِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ  
 إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا  
 وَجَمَعُوا خَيْرَهَا أَجْرَةً أَكْثَرًا مِنْهَا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَانظُرْ  
 بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۚ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ  
 خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ أَفْرَحُونَ . ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ

(١) انظر قصص الأنبياء للبخاري ص ٣٤٤ .

يخون لا يقبل لهم بها ولنخرجهم منها نزيهة وهم صاغرون ﴿١﴾ .  
حين علم سليمان بأن ملكة سبأ قادمة عن ربانته في عاصمة ملكه شيد لها  
صرحاً (قصرأ) عظيماً من زجاج ، وعمل في ممره ماء ، وجعل عيه سقفاً  
من زجاج وحمل فيه السمك وغيرها من دواب الماء ، بحيث يخفى تناظر أنه  
(بلحة) ثم حوس سليمان على سريره فلما دخلت تصرح كشفت عن ساقها  
لأنها خفت أن في طريقها الماء ، فقال لها سليمان : إنه صرح عمرك من فوارير  
(زجاج) وهذا شيء عظيم لا عهد لأهل اليمن بمثله .

وقد أورد سليمان أن يظهر لها من دلائل عظمته وسطوته ما يبهرها ، وأن  
تري بعينها عالم تره بالأحلام .. وهو أن يأتي بعرشها الخليل ليكون جلوسها  
عليه في ذلك الصرح ، فامر جنوده بأن يخبروه عن شخص قوي ليأتي بعرش  
القبس ، فانتدب له عفرين من الحن والخبره بأنه قادر على المعية به في ساء  
قصيرة لا تتجاوز نصف نهار ، وكان هناك رجل من أهل تعلم والإيمان مشهور  
بالولاية قال لسليمان ﴿إنا آتيناك به قس أن يرفدك إلى عرقك﴾ أي في  
ضرفه عين وإذا بالعرش قد حضر وهذا الرجل هو (أصف بن برخيا) كما  
يذكر المفسرون وهو ابن خاتمة سليمان ، وهو من أهل نولاية وانصلاح : وقد  
كان هذا من كراماته ، وتكرامات الأولياء الله تبارك . لا يكرها إلا مكارم  
قال في خواهره : (وَأَيْتَيْنِ نُلَاقِيَهُ بَكْرَةَ : وَمَنْ نَقَاهَا فَالْبُرِّانُ  
كلامه) . ويحمل بعض المفسرين بل أن انتهى أمر بعرشها هو (سليمان) عليه  
السلام فسه ويحمل نقل العرش معجزة لسليمان ، وقد ورد هذا القوم اسهبي  
وإن كثير وقان إنه ضرب جداً لأن سبب تكلاء لا يؤيد هذا الرأي .

وقد أمر سليمان أن يغير بعض معالم العرش ليتمحن بها قوة ملاحظتها  
و نتائجها فتمت جاءت فوجئت بأول ظاهرة عجيبة فعرض عليها عرشها وقيل  
له : (أهكذا عرشك؟) فأجبت كأنه هو ، وهذا من عظمتها وعزارة مهمها  
لأنها استعدت أن يكون عرشها لأنها لحفته ورءها أرض اليمن . ولم تكن تعلم

(١) انظر شرح جرير، التوحيد، فتيح الثاني .

أن أحداً يفكر على هذا الصنع العجيب ولما رأت هذه الأدلة الباهرة ، والحوارق العجيبة أعلنت إسلامها ، وتبرأت مما كانت عليه هي ونومها من ضلال فقالت ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ..﴾ . قرأ هذه الآيات الكريمة في نعمة القصة :

﴿قال يا أيها الملأ أئكم يأتي بيبرشيتا قبل أن يأتيوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده عليم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن ننادي إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ؟ ومن شكرت فإتسا يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم . قال فكروا لما عرشتها ننظر أهندي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قبل أهكذا عرشتك قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدّها ما كانت تعبد من دون الله : إنيها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبت لها كفة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح مرده من قوارير . قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ..﴾ .

### فتنة سليمان عليه السلام :

بخرع بعض المغررين بالروايات الضعيفة ، والحكايات الإسرائيلية المصطنعة صورة عجيبة غريبة لفتنة سليمان التي أشار إليها القرآن الكريم إشارة خاطفة في قوله تعالى : ﴿ ولقد فتنا سليمان بألقينا على كرسیه جسداً ثم أناب ..﴾ ويحكون بعض الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان حول (خاتم سليمان) وأنه كان يلبس الخاتم فيحضر إليه الجن والعفاريت ثم إن الخاتم ضاع وألقي في البحر ففقد سليمان ملكه ، وجلس الشيطان بدل سليمان على كرسي الملك إلى آخر ما هنالك من أباطيل تنافى مع الرسالة والنبوة ولا يقبلها عقل ولا نقل ،

وقد رَدَّها المحققون من العلماء كابن كثير ، والفخر الرازي . والبعضوي وغيرهم من العلماء الأجلاء .

قال ابن كثير : ( وقد أُورِدَ بعض المفسرين آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف ، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة<sup>(١)</sup> )  
والعلل ( الفتنة ) المذكورة في الآية الكريمة بمصداقها فتنته في جسده : حيث إن سليمان ابنه بمرض شديد نحل منه وضعف ، حتى صار لشدة المرض كأنه جسد بلا روح ( ثم أناب ) أي رجع إلى حالة الصحة ، وهذا ما اختاره المصنف الرازي من الوجوه التي ذكره . أو المراد فتنته بكلمته التي قال فيها لأطوفن على مائة امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة منهن جاءت بشو رجل ( أي نصف إنسان ) فوضع على كرسية فلما رأى ذلك رجع وأناب إلى الله : وأخذه قد مر سابقاً وهو مروى في الصحاح . وقد مال إلى هذا الرأي البيضاوي والنسفي وغيرهما .  
وعلى كل حال فإن ما ورد في قصة الخاتم كنه يامل ويهتان وقد قال النسفي رحمه الله : ( وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة ثورين في بيت سليمان عليه السلام فمن أباضين يهود<sup>(٢)</sup> ) .

#### وفاة سليمان عليه السلام :

عاش سليمان عليه السلام ٥٢ سنة ، وقد لبث في الملك ٤٠ سنة عن رأي الرابع الذي ذكره ابن ( سحاق ) ثم توفي عليه السلام ، وكان أمر وفاته حدثاً غريباً ، لم تعلم به الإنس ولا الجن حتى بعد مرور سنة على أوفاته ، وذلك بعد أن أكلت ( الأرملة ) عصاه فخرت على الأرض ، وتحقق الناس من موته ، وقد دخل معبده فمات وهو متوكئاً على العصا . . روى ابن كثير عن وهب بن منبه أنه قال : إن ( سليمان ) عليه السلام قال للملك الموت إذا أمرت بقبض

(١) راجع الجزء الرابع من تفسير ابن كثير .

(٢) انظر تفسير نسفي الجزء الرابع من ١٢ .

روحي فأعجبني ، فأثناء فقال يا سليمان : قد أمرتُ بك ، فدعا الشياطين  
 قبتوا عليه صرّخاً من غوارير له باب ، فقام يصلي فاتكأ على عصاه ، فدخل  
 عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوك على عصاه ، والجنّ تعمل بين يديه  
 وينظرون إليه ويحسبون أنه حيّ قال فبعث الله دابة الأرض إلى منسأته (بمعنى  
 عصاه) فأكتها حتى إذا أكلت جوف العصا . خرّ على الأرض فما رأته  
 الجنّ ذلك نبتوا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في الذاب المهين قال تعالى  
 إشارة إلى حادثة موته :

﴿قُلْعَمًا قَضَيْتَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ  
 مِنَسْآتَهُ ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجِنِّ أَن تَدْوَأُ كَانُوا يَعْمُرُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي  
 الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وهنا إشارة لطيفة وهي أن الجنّ كانت توهم الناس بمعرفة  
 العيب ، فمما مات سليمان ولم يعلموا بموته وهم في أعمالهم الشاقة التي كلّفهم  
 بها سليمان اتضح الأمر بكذب دعواهم ، وقد دفن سليمان في بيت المقدس  
 رحمه الله رحمة واسعة ..

## ١٥- إلياس عليه السلام

﴿وإن إلياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون  
بمعلاً وتذرّون أحسن الخالقين .﴾ .

### ذكره في القرآن الكريم :

ذكر اسم (إلياس) عليه السلام في القرآن الكريم في ثلاثة مواطن في آية  
من الأنعام ، وفي آيتين من الصفات ، أولاها ذكر فيها لفظ (إلياس) والثانية  
ذكر فيها لفظ (إلياسين) قال تعالى : ﴿سلامٌ على إلياسين﴾ قال ابن كثير :  
أي إلياس والعرب تلحق النون في أسماء كثيرة ، وتبدلها من غيرها ، كما تقول :  
إسماعيل وإسماعين ، وإسرائيل وإسرائيلين ، وإلياس وإلياسين<sup>(١)</sup> .

### نبه عليه السلام :

فإن علماء النسب هو : (إلياس بن ياسين بن قنحاص بن العيزار بن هارون)  
هذا ما ذكره المؤرخ ابن جرير الطبري في تاريخه واختاره ، وذكر غيره نسباً  
آخر يختلف بعض الشيء عما ذكره ابن جرير ، ولكن الجميع متفقون على  
أنه من ذرية (هارون) عليه السلام بل أنه ينتهي نسبه صاعداً إلى إبراهيم الخليل  
صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن المقطوع به أنه من أنبياء بني إسرائيل .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٩ .

## دعوته عليه السلام :

جاء في تاريخ الطبري عن ابن اسحق ما ملخصه :

« إن إلیاس عليه السلام لما دعا بني إسرائيل إلى نبذ عبادة الأصنام ، والاستمساک بعبادة الله وحده ورفضوه ولم يستجيبوا له ، فدعا ربه فقال : اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلاّ الكفر بك والعبادة لغيرك ، فغير ما بهم من نعمتك ، فأوحى الله إليه : إنّنا جعلنا أمر أرزاقهم بيدك فأنت الذي تأمرني ذلك ، فقال إلیاس : اللهم فأمسك عليهم المطر ، فحبس عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت الماشية والشجر ، وجهد الناس جهداً شديداً ، ولما دعا عليهم استخفى عن أعينهم ، وكان يأتيه رزقه حيث كان ، فكان بنو إسرائيل كلّموا رجدوا ريح الخيز في دار قالوا هنا إلیاس فيطلبونه وينال أهل المنزل منهم شرّاً ، وقد أوى ذات مرة إلى بيت امرأة من بني إسرائيل ، لها ابن بقانا له (إليسع بن أخطوب) به ضرر فأوته وأخفت أمره فدعا ربه لابنها فعاقاه من الضر الذي كان به : واتّبع (إلياس) وآمن به وصدقته ووزمه ، فكان يذهب معه حينما ذهب وكان (إلياس) قد أسن وكبر ، وكان (إليسع) غلاماً شاباً ثمّ إن (إلياس) قال لبني إسرائيل إذا تركتم عبادة الأصنام دعوت الله أن يفرّج عنكم ، فأخرجوا أصنامهم ومعدناتهم فدعا الله لهم لفرّج عنهم وأغاثهم ، فحببت بلادهم ولكنهم لم يرجعوا عما كانوا عليه ولم يستقيموا فلما رأى (إلياس) منهم دعا ربه أن يقبضه إليه فقبضه ورفع ثمّ إنّ الله أرسل إليهم (إليسع) بعد إلیاس<sup>(١)</sup> .

ويذكر (ابن كثير) : أن رسالته كانت لأهل (بعليك) غربي دمشق ، وأنه كان لهم صنم يعبدونه يسمى (بعلاً) وقد ذكره القرآن الكريم على لسان إلیاس حين قال لقومه ﴿أتدعون بعلاً وتذرون أحسنّ الخالقين ، الله ربّكم وربّ آبائكم الأولين﴾ ٩ .

وبذكر بعض المؤرخين أنه عقب انتهاء ملك (سليمان بن داود) عليه

(١) انظر تاريخ الطبري .



السلام وذلك في سنة ٩٣٣ قبل الميلاد انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى قسمين :  
الأول - يخضع للملك سلالة ( سليمان ) وأول ملوكهم ( رُحَبَام بن  
سليمان ) .

الثاني - يخضع لأحد أسباط ( أفرايم ) بن يوسف الصديق ، واسم ملكهم  
( جُرَّ بعام ) .

وقد تشتتت دولة بني إسرائيل بعد ( سليمان عليه السلام ) بسبب اختلاف  
ملوكهم وعظمتهم على السلطة ، وبسبب الكفر والضلال الذي انتشر بين  
صفوفهم ، وقد سمح أحد ملوكهم وهو ( أخاب ) لزوجته بنشر عبادة قومها  
في بني إسرائيل ، وكان قومها عباداً للأوثان فشاعت العبادة الوثنية ، وعبدوا  
الصنم الذي ذكره القرآن الكريم واسمه ( بعل ) ، فأرسل الله إليهم ( إلياس )  
عليه السلام الذي تحدثنا عن دعوته .

فلما توفي ( إلياس ) عليه السلام أوحى الله تعالى إلى أحد الأنبياء واسمه  
( إيسح ) عليه السلام ليقوم في بني إسرائيل ، فيدعوهم إلى عبادة الله الواحد  
القهار .

## ١٦ - اليسع عليه السلام

﴿واذكر إسماعيلَ ، واليسعَ ، وذا الكفلَ ، وكلُّ من الأختيارِ .﴾

### ذكره في القرآن :

ذكر (يسع) عليه السلام في آيتين من القرآن الكريم ، في سورة الأنعام في قوله تعالى :

﴿وإسماعيلَ وإليساَ وبونساَ ولوطاً وكللاً فضلاً على العالمين﴾ وفي سورة (ص) وهي الآية التي صدرنا بها الكلام على هذا النبي الكريم .

### نسبه عليه السلام :

نجاه في تاريخ الطبري حول ذكر نسبه أنه : (إليساَ بن أخطوب) ويقال إنه ابن عم إلياس النبي عليهما السلام ، وذكر الحافظ ابن عساكر نسبه على الوجه الآتي : (اسمه أسباط بن عدي بن شونلم بن أفرايم بن يوسف الصديق عليه السلام) .

وهو من أنبياء بني إسرائيل ، وقد أوجز القرآن الكريم عن حياته فلم يذكر عنها شيئاً وإنما اكتفى بعده في مجموعة الرسل الكرام الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً . .

### دعوته عليه السلام :

قام بتبليغ الدعوة بعد انتقال (إلياس) إلى جوار الله ، فقام بدعوة إلى الله

مستسكاً بمنهاج نبي الله إلياس وشريعته، وقد كثرت في زمانه الأحداث والخطايا وكثر الملوك الجبارة فقتلوا الأنبياء وشرّدوا المؤمنين فوعظهم (إلبيع) وخوفهم من عذاب الله ولكنهم لم يأسوا بدعونه ثم توفاه الله وسلط على بني إسرائيل من يسومهم سوء العذاب كما قص علينا القرآن الكريم ..

ويذكر بعض المؤرخين أن دعوته ظهرت في مدينة تسمى (بانياس) إحدى مدن الشام ، ولا تزال حتى الآن موجودة وهي قرية من بلدة اللاذقية والله أعلم ....



## ١٧ - يونس عليه السلام

﴿وإن يونسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَىٰ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ  
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ..﴾ .

### ذكره في القرآن :

ذكر يونس عليه السلام باسمه في القرآن الكريم أربع مرات في سورة (النساء  
والأنعام ، ويونس ، والصافات ) وذكر بالوصف في موضعين حيث لقبه الله  
(بذي النون ) أي الخوت في سورة الأنبياء في قوله تعالى :

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُخَافِيًا ظَنًّا أَنْ نُنَّجِيَهُ فَنظَرَ نَدِيمًا فَنَزَلَ فِي فَطْرِهِ فَسَاءَ لِمَنْ يَكْفُرْ  
وَيَلْقُظْ صَاحِبِ الْخُوتِ فِي سُورَةِ الْقَلَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ  
وَلَا تُكِنِّ كَصَاحِبِ الْخُوتِ ..﴾ الآية .

فيكون قد ذكر في القرآن ست مرات ، أربع مرات بالاسم ، ومرتين  
بالوصف .

### نسه عليه السلام :

لم يذكر المؤرخون نسباً ليونس عليه السلام ، وإنما اتفقوا على أنه اسمه  
(يونس بن مثنى ) قالوا ( ومثنى ) هي أمه ولم ينسب إلى أمه من الرسل غير  
(يونس وعيسى ) عليهما السلام ، ويسمى عند أهل الكتاب ( يونان بن أمثاي )  
ويونس عليه السلام من بني إسرائيل ، ويتصل نسبه بـ ( بنيامين ) أحد أولاد

يعقوب عليه السلام وهو أخو يوسف الشفيق .

### دعوته عليه السلام :

أرسله الله تعالى إلى أهل ( نينوى ) من أرض الموصل بالعراق : وكان أهل نينوى قد دخلت إليهم الوثنية ، وتشرت فيهم عبادة الأصنام ، ولهم صم يسمونه ( عشتار ) .

فذهب يونس عليه السلام من بلاد الشام إلى ( نينوى ) فدعاهم إلى الله عز وجل ، فكذبوه ولم يستجيبوا لدعوته ، شأن أكثر أهل القرى كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهُمْ إِنَّا بِمَا أُرْسِينَا كَافِرُونَ ﴾ فبقي معهم بذكورهم وبمعظمهم وبدعوههم إلى الله ، ولكنه لم يلق منهم إلا آذانا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فضايق بهم ذرعًا ، ثم أوعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم غضبًا عليهم ، متوعدًا لهم بالعذاب بعد ثلاث ، وبظهر أن قومه توعدوه أيضاً وغضبوا منه ولاحفوه فأيقن قاراً منهم ، فخرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى بالخروج وظن أن الله تعالى لن يؤاخذ به عن هذا الخروج ولن يضيّر عليه بسبب تركه للقرية ومجره لأهلها قبل أن يؤمر بالخروج ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية . فهو قد ذهب مغاضباً لقومه لا مغاضباً لربه فإن ذلك معصية لله وهو يتناقض مع ( عصمة الأنبياء ) وقد وضحت ذلك مفصلاً في ( بحث العصمة ) فأرجع إليه هناك . قال ابن مسعود ومجاهد وطائفة من السلف فلما خرج من بين أظهرهم وتحققوا نزول العقاب بهم ، قذف الله في قلوبهم الثوبة والأناة ، وندموا على ما كان فيهم مع نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله عز وجل : وصرخوا ونصرعوا ، وبكى الرجال والنساء ، والبنون والبنات ، وجارت الأتعام أبواب ، وكانت ساعة عظيمة هائلة ، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي دار على رؤسهم كقطع الليل المنظلم ولهذا

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

### يونس في جوف الحوت :

أما يونس عليه السلام فإنه حين ترك قومه سار حتى وصل إلى شاطئ البحر فوجد سفينة على سفر فطلب من أهلها أن يركبوه معهم ، فتوسموا فيه خيراً فركبوه ، ولما توسطوا البحر هاج بهم واضطرب ، فقالوا ، إن نبتنا صاحب ذنب ، فاستهموا فيما بينهم على أن من وقع عليه السهم ألقوه في البحر ، فوقع السهم على ( يونس ) فسألونه عن شأنه ، وعجبوا من أمره وهو التقي الصالح فحدثهم بفضله ، فأشفقوا أن يلقوه في البحر ، وأرادوا الرجوع به إلى الساحل فأشار عليهم بأن يلقوه في اليم ليسكن عنهم غضب الله فأنقوه فالتقوه حوت عظيم بأمر الله ، وسار به في الظلمات في حفظ الله وتأديبه ، ونمت المعجزة فقد أوحى الله إلى الحوت أن لا يصيب من يونس لهما ، ولا يبشم له عظماً ، فعمله الحوت العظيم وسار به في عباب البحر حيناً يسبح الله ويستغفره ، وينادي في الظلمات : أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجاب الله له ونجاه من الغم . ثم أوحى الله إلى الحوت أن يغذف به في العراء على ساحل البحر فألقى به وهو سقيم ، وقد مكث في جوف الحوت ثلاثة أيام بلياليها ، ثم وجد نفسه في العراء سقيماً هزيراً فحمد الله على النجاة ، وأبى الله عليه شجرة من يقطر : فأكل منها واستظل بظلها . وعافاه الله من سقمه وتاب عليه ، وعسم ( يونس ) أن ما أصابه تأديب رباني محض بالمعجزة حصل له بسبب استعجاله ومخروجه عن قومه مناضباً لهم ، بدون إذن صريح من الله له ، وإن كان له فيه اجتهاد مقبول ، ولكن مثل هذا الاجتهاد إن قبل من الصالحين المعادين ، فإنه لا يقبل من المرسلين المقربين ، فهو بخروجه واستعجاله قد فعل ما يستحق عليه اللوم والتأديب الرباني <sup>(١)</sup> .

(١) أعداً من كتاب العقيدة الإسلامية للاستاذ عبد الرحمن حبيكة

## اقرأ الآيات الكريمة :

﴿وإن يونسَ لمن المرسلينَ . إذ أتىَ إلى المَلِكِ المشحُونِ فسأهمَ فكان من المُدْحَضِينَ فأنقذهُ الخوتُ وهو مليمٌ . فلوْلا أنهُ كانَ من المُستحيينَ . لَبيثَ في بطنِهِ نَبي يومٍ يبعثونَ . فنبذناهُ بالمرءِ وهو سقيمٌ . وأنبثنا عليه شجرةً مِن يَقطِينِ . وأرسلناهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدونَ . فآمنوا فمدعاهمُ إلى حينٍ .﴾

وتما قار يونس عن السير عاد إلى قومه فوجدهم مؤمنين بالله تائبين إليه ينتظرون عوده رسوهم ليأتروا يأمره ويتبعوه فلبث فيهم يعلمهم ويهديهم . ويدفعهم على الله . ويرشدهم إلى الصراط المستقيم .

ومتع الله أهل ( نينوى ) في مدينتهم مدة إقامة يونس فيهم وبعده آمنين مطمئنين إلى حين . ثم بعد ذلك لما أقبلوا وضوا سلط الله عليهم من دمرهم مدينتهم فكانت أحاديث يرويها المؤرخون ويعتبرها المعبرون .

وكان عدد القوم الذين بعث إليهم يونس عليه السلام مائة وعشرين ألفاً على رواية ابن عباس لأن الله تعالى قال ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ وقد ورد في ذلك بعض الآثار والله تعالى أعلم .

## ١٨ - زكريا عليه السلام

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾...

### ذكره في القرآن :

ذكر اسم زكريا عليه السلام في القرآن الكريم ثمان مرات ، في كل من السور الآتية : ( آل عمران ، الأنعام ، مريم ، الأنبياء ) وذكرت قصته مفصلة في سورتي ( آل عمران ، ومريم ) أما في مريم فمن بداية السورة الكريمة إلى الآية الخامسة عشرة منها في قوله تعالى : ﴿ كَهَيْحِص . ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا . إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ قِدَامًا نَحْقِيًّا ﴾ الآية ، وهو على وجه القطع من رسل بني إسرائيل لأنه من ذرية ( سليمان بن داود ) الذي يتصل نسبه بـ ( يعقوب ) عليه السلام المسمى ( إسرائيل ) وهو أحد الرسل التي يجب الإيمان بهم تفصيلا .

### نسبه عليه السلام :

لم يذكر المؤرخون له نسباً متصلاً موثقاً ، بيد أن لحافظ ابن عساکر في كتابه التاريخ المشهور قد ذكر له نسباً طويلاً مكوناً من أربعة عشر أياً حتى وصل إلى ( سليمان بن داود ) عليه السلام ونحن نوجزه عن الشكل الآتي : ( زكريا بن دان بن مسلم بن صدوق بن حشبان ... إلى أن يصل إلى رحبام بن سليمان بن داود ) .



ويذكر الشيخ النجار في كتابه قصص الأنبياء أنه يوجد زكريا آخر ، غير زكريا ( والد يحيى ) ليس له قصة في القرآن الكريم أصلاً وهو ( زكريا بن برخيا ) ويقول : هذا له كتاب من الكتب القانونية عند النصارى ، وكان في زمن ( داريوس ) أي قبل زمن المسيح بحوالي ثلاثة قرون ، وهو الذي تكلم في كتابه من الفصل التاسع عن ولاية ( عمر بن الخطاب ) وطلبه على ( أورشليم ) يعني القدس ودخوله إليها منصوراً وادعاً راجياً على حصاره ، والنصارى يؤثرون بالمسيح ، واليهود يؤثرون بمسيحهم المنتظر وهو المسيح الدجال (١) .

### هي كانت رسالته ؟

قبل ميلاد السيد المسيح بن مريم عليه السلام بعث الله ( زكريا ) عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل ، فقام يدعوهم إلى الله ، ويخوفهم عذابه ، في وقت اشتد فيه الفسق والمعجور وانتشرت المنكرات ، وكثرت المعاصي ، وطغت على الأمة الإسرائيلية موجة عنيفة من التفسخ والتحلل ، وطغيان المادة ، حتى نسوا الله والدار الآخرة ، ونسلط على المحكم ملوك ظلمة جبارة يعيشون في الأرض فساداً ، ويفعلون من الجرائم ما تقشع له الأبدان ، لا يراعون حرمة نبي ، ولا قدسية لدين ، دينهم ما يوحى إليهم به شيطانهم ، وعبادتهم ما تشبهه أهواؤهم ، وقد نسلطوا على الصالحين والأقوياء والأنبياء حتى سفكوا دماهم وكان أعظمهم فتكاً وإجراماً هو ( هيرودس ) حاكم فلسطين الذي أمر بقتل ( يحيى بن زكريا ) وقدم إليه رأسه في طبق والدم يتزف منه ، إرضاء لشهوة عشيقته كما سنبينه إن شاء الله عند الحديث عن يحيى عليه السلام .

وقد لقي ( زكريا ) عليه السلام من أحكام والجباية ونبي إسرائيل كل عنت ومشقة ، وكل جهد وبلاء ، وناله من أذاهم الشيء الكثير وتوالت عليه الأهوان والشدائد ، ووهن انعظم منه واشتعل الرأس شيباً ، ولم يجد به طاقة لتحمل الأذى والمخاطر ، وخشي على بني إسرائيل أن يضلوا ويبتنوا ، فطلب

(١) انظر قصص الأنبياء لفتاح ص ٢٦٨ .

من ربه أن يعينه بولد بواسيه في شيخوخته ، وبخلفه في تبليغ الرسالة ، ولا يتركه وحيداً قريباً يقاسي في هذه الحياة المتاعب والآلام قال تعالى :

﴿وذكرنا إذ نادى ربه ربه لا تدركني فرداً وأنست خيراً الموارثين .  
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون  
في الخيرات . ويدعوننا رغباً ورهيباً ، وكانوا لنا خاشعين ﴾ .

### ولادة يحيى بن زكريا :

كانت رسالة نبي الله زكريا عليه السلام إلى نبي إسرائيل تمهيداً وابتداءً بقرب ميلاد السيد الأكرم ، والنبي الأعظم (عيسى بن مريم) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ومن المعلوم أن السيد المسيح عيسى بن مريم هو آخر أنبياء بني إسرائيل لذلك فقد بعث الله بين يديه نبيين كريمين هما (زكريا) وولده (يحيى) عليهما الصلاة والسلام بحوضانه ويرعاه منذ ولادته في حين اكتمال شبابه ، وكانت رسالتهم ابتداءً - كما تقول الأناجيل - بقرب اقتراب منكوت السموات .

وقد كان زكريا قبل أن يكرمه الله بالرسالة ، وبخياره لإيقاد نبي إسرائيل من الشقاوة والضلالة ، من كبار (الريثانيين) الذين لهم شركة في خدمة الهيكل ثم نبأه الله ، وأرسله رسولاً إلى بني إسرائيل ، وكان (عمران) والد مريم لإمامهم وكبيرهم . والكاظم الأكبر فيها فلماً توفي (عمران) كان التكافل لابنته (مريم) هو زكريا عليه السلام وهو زوج خالته ، وقد كان يرى من عجائب قدرة الله تعالى في حفظ هذه السيدة البتول ما يبهر العقل ، وقد قص علينا القرآن الكريم طرفاً من هذا في قوله تعالى : ﴿فتقبلتها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً ، وكفلتها زكرياً ، كلما دخل عليها زكرياً المحراب وجدت عندها رزقاً ، قال يا مريم أنئي لك هذا ؟ قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ . كان زكريا عليه السلام

إذا دخل على مريم في مهبها يجد عندها من الرزق ما لا يوجد مثله في البلد ،  
أو عند سائر الناس ، ويكرمها الله بأنواع من الإكرام من حيث لا تحسب  
فيألما زكريا في دهشة واستغراب : ( أَنْتَى لَكَ هَذَا ؟ ) فتجيبه هو من عند الله .  
وكان ( زكريا ) عليه السلام قد تقدمت به السن ، وروخطه الشيب ، وبلغ  
من الكبر عتياً ، وكانت امرأته عاقراً لا تلد ، فلما رأى من كرامات الله تعالى  
لمريم ، ومن آياته الباهرات : ما يدهش ويحير ، طمع في فضل الله ورحمته  
فطلب من ربه أن يرزقه الله غلاماً نقياً ، يرثه في النبوة والهداية لبي إسرائيل ،  
ويجعله من العباد الصالحين ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ  
لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقد كان عمره حين طلب الولد  
تسعاً وتسعين سنة وعمر زوجته ثمان وتسعون سنة ، ولم يكن طلب ( زكريا )  
للولد مجرد حبه للبين ، ولكنه رجي ربه أن يرزقه الولد ليخلفه في بني إسرائيل  
وليقوم بأعباء الدعوة التي حملها أبوه . وقد كان يخشى من بعد وفاته على بني  
إسرائيل أن يتولى أمرهم في شئون الدين الموالي من الجهلة والفساق ، ومن ليس  
في قلبه تعظيم لشعائر الدين ، فيعملوا بما لا يوافق شرع الله وطاعته ، ولذلك  
سأك ربه الولد ، وتاداه نداء خفياً ، لا يسمعه إلا من يسمع الصوت الخفي ،  
ويعلم القلب النقي ، وطلب منه أن يكرمه بولد بر تقمى فاستجاب الله دعاءه  
وأجاب نداءه ورزقه على الكبر غلاماً زكياً هو ( يحيى ) عليه السلام ، من امرأته  
العاقرة ، التي لم تكن في حال صياها نكد فكيف بها وقد أصبحت في سن الهرم  
والشيخوخة ؟ ولكنها قدرة الله التي تفعل الأعاجيب وتأتي بالحوارق ، وتجيب  
دعوة المضطر إذا دعاه ، اقرأ الآيات الكريمة في سورة مريم :

﴿ كَتَمِمْص . ذَكَرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا . إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً  
خَفِيًّا . قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ  
بِدَعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا  
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ

رب مرضياً . يا زكريا إنا نبشرك بك غلاماً سمياً يحيى . لم نجعل له من قبل سمياً . قال رب أنى يكون لى غلاماً وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغن من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك ذو عى هين وقد خفقتك من قبل ولم تلت شيئاً .

ولد لزكريا ذلك الولد البار . الذى رزقه على افرم والشيخوخة من زوجته ( أشباع بنت عمران ) أخت مريم بنت عمران وعاش فى كنف والده عيشة البر والتقوى . ثم كانت الفتنة الكبرى حين ذبح ( يحيى ) قرباناً لأهواء أهل الضلال فى حياة أبيه الشيخ الكبير الوفور . الرسول الذى الصالح . الذى لقى بعد ذلك حتفه عنى أيدي انظمة من الحكام . وذائق نفس الكأس الذى ذاقه ولده . فقتل زكريا عليه السلام - على ما يذكر بعض المؤرخين - ذسراً بالمشاور ولقى وجهه شهيداً مرضياً صلوات الله وسلامه عليه ..

## ١٩ - يحيى عليه السلام

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَحَتَّانًا مِنْ لَدُنَّا  
وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ .

ذكره في القرآن :

ذكر اسم يحيى عليه السلام في القرآن الكريم في أربع آيات في كل من السور  
الآتية : ( آل عمران ، الأنعام ، مريم ، الأنبياء ) وقد أنشئ الله تبارك وتعالى  
عليه بالثناء العاطر ، ووصفه بالبر والتقوى ، والصالح والاستقامة فقال في شأنه  
﴿ وَحَتَّانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَأَمَّا يَتُكَّن  
جَبَّارًا عَصِيًّا .. ﴾ .

وأعطاه الله النبوة وهو ابن ثلاثين سنة كما قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ  
صَبِيًّا ﴾ وجعله سيداً حصوراً بعيداً عن مقارفة المنكرات والشهوات كما قال تعالى  
﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْأَصْحَابِ الْمَكِينِ ﴾ .

نسه عليه السلام :

هو يحيى بن زكريا بن دان بن مسلم بن صدوق بن حشبان .. إلى أن يصل  
نسيه إلى نبي الله ( سليمان بن داود ) عليه السلام وهو من سبط يهوذا بن يعقوب  
لأن داود عليه السلام هو من سبط ( يهوذا ) كما هو محقق عند علماء أهل النسب

## ولادته عليه السلام :

ولد يحيى عليه السلام قبل مولد المسيح عيسى بن مريم بثلاثة أشهر . وعاصره وعاش معه فترة طويلة من الزمن ورافق أطوار دعوته عليه السلام . وقد بشأ يحيى - كما بشر الله - نشأة صلاح ونُقى وطهر ونقاء . دعياً عن مظاهر الترف والتعيم فكان في شبابه يأوي إلى القفار . ويقفبات بالخر د . ويكتفي بما يسهله الله له من الرزق . وكان كثير العبادة والتضرع والبكاء من خشية الله تعالى . روى مجاهد قال : ( كان طعام يحيى بن زكريا العشب . وإنه كان ليبيكي من خشية الله تعالى حتى لو كان القر على عينيه لخرقه . ) وروى ابن عساکر : أن أبويه خرجا يوماً في صلبه فوجده عند ( بحيرة الأردن ) فلما اجتمعا به أبكاهما بكاءً شديداً : ما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل .

وقد آتاه الله الحكيم صبياً : وأقبل على معرفة الشريعة وأصولها وأحكامها حتى صار عبداً بارعاً متبحراً . ومرجعاً يرجع إليه في الفتوى الدينية : ثم وافته النبوة والرسالة قبل أن يبلغ من العمر ثلاثين سنة . وخاطبه الله تعالى بقوله :

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ .

روى عن عيشة أنه قال : ( كان عيسى بن مريم . ويحيى بن زكريا ابني خالة . وكان عيسى يبس الصوف . وكان يحيى يبس الوبر<sup>(١)</sup> ولم يكن لواءحد منهما دينار ولا درهم . ولا أمة ولا عبد ، ولا مأوى يأويان إليه : أينما جنتهما الليل أوبا ، فلما أرادا أن يفرقا قال له يحيى : أوصني قال لا تغضب . قال لا استطع إلا أن اغضب ، قال لا تغضب مالا . قال : أما هذه فعسى<sup>(٢)</sup> .

لقد عاش على الزهد ، وكان كثير العزلة عن الناس ، يأنس إلى البراري . ويأكل من ورق الأشجار : ويرد ماء الأنهار ، ويتقنأى بالخراد في بعض الأحيان وكان يخاطب نفسه فيقول : من أنعم منك يا يحيى !

(١) الوبر : هو ما يخرج من الإبل من شعر والصوف لغنم ووبر لحييل .

(٢) انظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٤٢ .

## دعوة يحيى عليه السلام :

قام يحيى عليه السلام يدعو بني إسرائيل إلى الله ، ويبشّرهم باختراب ملكوت السموات ، وكانت دعوته بالحكم والمراعاة الرقيقة . روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إن الله أمر ( يحيى بن زكريا ) بخمس كلمات أن يعمل بهن ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن . وكاد أن يبطله ، فقال له عيسى عليه السلام : إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن . وإنما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن ، فقال ، يا أخي أخشى إن سبقني أن أعذب . أو يخسف بي . قال : فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد ، فقدم على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن :

وأولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، فإنّ مثل من اشترى عبداً من خالص ماله جورق ( فضة ) أو ذهب ، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده ، فأبكم بسره أن يكون عبده كذلك ؟ وإنّ الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .

وأمركم بالصلاة : فإنّ الله ينصب وجهه قبيل عبده ما لم ينفست ، فإذا صلّيتم فلا تنفثوا .

وأمركم بالصيام : فإنّ مثل ذلك كمثل رجل معه حُرّة من ميسك في عصابة كلهم يحد ربح المسك ، وإنّ خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ربح المسك .

وأمركم بالصدقة : فإنّ مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدها يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : هل لكم أن أفندي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكّ نفسه .

وأمركم بذكر الله : عز وجل كثيراً . فإن مثل ذلك كمثل رجل طرده  
العدو سراعاً في أثره . فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحسن ما يكون  
من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل<sup>(١)</sup> .

### معنى التعميد عند أهل الكتاب :

يسمى يحيى عند علماء النصارى ( يوحنا ) ويلقبونه ( المعمدان ) لأنه كان  
قد تولى التعميد المعروف عند النصارى وهو التبريك بالغمس بالماء تنوياً من  
الخطايا . وقد ظهر يحيى في ناحية الأردن ينذر الناس بالتوبة . فخرج إليه أهل  
القدس والقرى القريبة من الأردن فكان يعمدهم في النهر . وينارهم بأقرب  
ملكوت السموات ، وقد عمّد يحيى ( المسيح عيسى ) في نهر الأردن وبرك عليه  
وهو ابن ثلاثين سنة : وقد سأله اليهود : هل هو المسيح ؟ فقال لا . فسألوه :  
هل هو النبي ؟ فقال لا . فقالوا له : لماذا تعمّد إذا لم تكن المسيح ولا النبي ؟  
فقال : أنا صوت صارخ من البرية هيئوا طريق الرب وافعلوا سبله مستقيماً<sup>(٢)</sup> .

### لماذا قتل يحيى عليه السلام ؟ :

يروى المنورخون في سبب مقتل يحيى بن زكريا عليه السلام أسباباً كثيرة  
أشهرها ما رواه ابن كثير وذكره الشيخ النجار في كتابه ( قصص الأنبياء )  
وهو ما يلي :

كان حاكم فلسطين ( هيرودس ) وكان رجلاً شراً فاسقاً . وكانت  
له ابنة أخت يقال لها ( هيروديا ) بارعة الجمال فأراد عمها أن يتزوج منها ، وكانت  
البنات وأمهات تريدان هذا الزوج . فلما علم يحيى عليه السلام بذلك أعلن معارضته  
لأن هذا الزواج محرم في الشريعة عند أهل الكتاب كما هو محرم عند المسلمين .

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) انظر كتاب العقيدة الإسلامية ص ٢١٦ .



فحدثت أم الفناة على يحيى ، وبينت له مكيدة قتل ، فزيتت ابتها (هيروديا) أحسن زينة ، وألبستها أفخر اللباس ، وأدخلتها على (هيرودس) فرقصت أمامه حتى ملكت مشاعره . فقال لها : تسمي علي !! فقالت له - كما علمتها أمها - أريد رأس يحيى بن زكريا في هذا الطبق ، فاستجاب لطلبها وأمر برأس يحيى فقتل عليه السلام وهو في الصلاة وذبح كما تذبح الذمجة ، ثم قدم رأسه في طبق والدم ينزف منه فيقال إنها هلكت من فورها وساعتها<sup>(١)</sup> .

هذه القصة تبين لنا مدى الظلم والظلمية الذي حلّ بحكام بني إسرائيل . حتى تجرؤا على قتل الأنبياء ، وسفك دماء الأبرياء من أجل شهوة طارئة أو في سبيل إرضاء رغبات أهل القسوت والضلال . المشتهرين بحرمة الدين ، وقديسة الشرائع السماوية ، ولا عجب فإنّ بني إسرائيل (اليهود) هم أول من سن هذه السنة السيئة وهي (قتل الأنبياء) حتى أصبح ذلك شعاراً لهم ورمزاً لظلمتهم وضلالهم ، فمن (يحيى) إلى (زكريا) إلى التأمير على (المسيح عيسى) إلى أنبياء لا يحصى عددهم إلا الله سفكت دماؤهم بدون ذنب على أيدي أعداء الله (اليهود الحنفاء) وأعداء الإنسانية في كل حين وزمان ، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن إجرام اليهود بقوله: ﴿وَيَسْمُونَ فِي الْأَرْضِ فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ وقال تعالى في بيان قتلهم الأنبياء .

﴿أَفَكَلَّمْنَا بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْكِبْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ ، وَفَرِّقُوا تَقْتُلُونَ ؟﴾ .

وقال تعالى : ﴿قُلْ فَلِمَ يُقْتَلُونَ أَنبياءَ الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ .  
وقال تعالى : ﴿ويقتلون الأنبياءَ بغيرِ حقٍ . . .﴾ .

وفي حادثة مقتل يحيى عليه السلام قتل عدد كبير من العلماء الذين أنكروا على الحكام ظفانته وظلمه ومنهم (زكريا) والد يحيى عليهما السلام ، وبشير بعض المؤرخين إلى أنه نشر بالمشنار بعد مقتل ولده يحيى كما مرّ سابقاً .

(١) انظر قصص الانبياء ص ٣٦٩ .

وبروي عن سعيد بن المسيّب أنه قال ولما قدم بيخنصر الشام إذا هو بدم  
يحيى بن زكريا يخلي ، فسأل عنه فأخبروه بما حدث له ، فقَتَل على دمه سبعين  
ألفاً فسكن . . ، وبذلك انتهى شأن يحيى عليه السلام بتلك المأساة المصعبة

ودروى الحافظ ابن عساكر عن زيد بن واقد أنه قال ( رأيت رأس يحيى  
ابن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق . أخرج من تحت ركن من أركان  
القبلة الذي بين المنحرب فكانت البشرة والشعر على حائه لم يتغير ، وفي رواية  
كانت قُتِل ساعة ) .

أقول : ليس هذا بخريب فقد ثبت في الحديث الشريف عن رسول الله  
أنه قال : ( إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء )  
رواه أبو داود .

وجاء تلاميذ يحيى وأخذوا جثته بعد فتنه فدفنوها . ثم جاءوا إلى المسيح  
عيسى بن مريم وأخبروه بمقتل يحيى عليه السلام فحزن حزناً شديداً عليه ثم  
جهر بدعوته وقام في الناس واعظاً واتبعه خلق كثير إلى أن دبر له اليهود مؤامرة  
لقتله واغتياله فرفعه الله إلى السماء ونجاه الله من كيدهم كما مر عند ذكر حياته .

## خاتمة البحث

بلاحظ الدارس حياة الرسل الكرام ، المتبّع لتاريخهم . المستقصي لأخبارهم المتأمل في ترابط أنسابهم ودعواتهم بعد ذلك الاستعراض الشامل لدعوة المرسلين نقاطاً هامة يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولاً : إن الله جل ثناؤه لم يفحص علينا أخبار جميع المرسلين ، الذين بعثوا إلى أهل الأرض . وإنما ذكر منهم أهمّهم وأعظمهم أثرآ في تاريخ البشرية وهم ( أولو العزم ) وبقية المرسلين الذين مرّ معنا ذكرهم ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك .. ﴾ الآية .

ثانياً : إنه لم تخل أمة من أمم الأرض من بعثة رسول لها ، فقد بعث الله تعالى إلى كل أمة رسولا كما قال تعالى :

﴿ وإن من أمة إلاّ خلّا فيها نذير ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا .. ﴾ الآية .

ثالثاً : أن هناك بين آدم و ( نوح ) عليهما السلام فترة من الزمن تغدو بألف عام لم يذكر القرآن الكريم فيها من الرسل إلا ( ادريس ) عليه السلام ، وسكت عن غيره من الرسل بمن أرسلوا في تلك الفترة من الزمن .

رابعاً : أن الله تعالى قد فصّل علينا من الرسل الذين بعثهم بعد نوح عليه

السلام - الرسل الذين انحدروا من سلالة سام ولد نوح فقط ، ولم يذكر لنا غيرهم .

خاصة : إن إبراهيم عليه السلام هو من بعد نوح ومن ذريته لقوله تعالى في سورة الصافات بعد ذكر قصة نوح :

﴿ وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ . إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ مُّلِيمٍ ﴾ .

سادساً : إن الله تعالى قد جعل النبوة والرسالة في ذرية (نوح وإبراهيم) لقوله تعالى في سورة الحديد :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ .. ﴾

سابعاً : إن معظم الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم وعددهم ثمانية عشر رسولاً ١٨ هم من ذرية إبراهيم من ولديه (إسماعيل وإسحاق) إلا (لوط عليه السلام) فهو ابن أخ لإبراهيم قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ .. ﴾ .

ثامناً : إن إسماعيل عليه السلام قد نشأ في مكة وتزوج من قبيلة عربية تسمى (جرهم) ثم جاء من سلالة خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضل الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وبه نحم الله النبوة .

تاسعاً : وأما إسحاق فقد نشأ في الشام ، وولد له ولدان : الأول يسمى (يعقوب) والثاني يسمى (يعقوب) وقد ظهرت النبوة في سلالة يعقوب في الرسولين (يُؤب) وولده (ذي الكفل) ، وأما يعقوب المسمى (إسرائيل) فقد ولد له اثنا عشر ولداً . هم أسباط بني إسرائيل أحدهم يوسف عليه السلام وجميع أنبياء بني إسرائيل هم من ذرية يعقوب عليه السلام كما تقدم .

عاشراً : الأسباط المذكورون في القرآن الكريم - وهم أولاد يعقوب - قد ظهرت فيهم النبوة على الشكل الآتي :

- ١ - سبط لاوي ظهرت فيهم النبوة في كل من الرسل المذكورين  
( موسى . هارون . وإلياس ، وإليسع ) عليهم الصلاة والسلام .
- ٢ - سبط يهوذا ظهرت فيهم النبوة في كل من الرسل المذكورين ( داود  
وسليمان . وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ) عليهم السلام .
- ٣ - سبط بنيامين ظهرت فيهم النبوة في ( يونس عليه السلام ) والله  
تعالى أعلم

بسم الكتاب بعونه تعالى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين  
رجب الفرد ١٣٩٠ هـ

## المحتوى

٥	مقدمة
٢٨ - ٧	الفصل الأول : النبوة والأنبياء
٥٠ - ٢٩	الفصل الثاني : نزول دعوة الأنبياء
١٠١ - ٥١	الفصل الثالث : عصمة الأنبياء
١١٤ - ٦٠٣	الفصل الرابع : قصص الأنبياء
١٣٩ - ١١٥	الفصل الخامس : آدم كرمه الله
٢٣٢ - ١٤١	الفصل السادس : أوامر التحريم من الرسل
١٥٤ - ١٤٣	١ - نوح عليه السلام
١٧٤ - ١٥٥	٢ - إبراهيم عليه السلام
١٩٥ - ١٧٥	٣ - موسى بن عمران عليه السلام
٢٢٦ - ١٩٦	٤ - المسيح عيسى بن مريم عليه السلام
٢٣٢ - ٢٢٢	٥ - محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
٢٣٨ - ٢٢٢	الفصل السابع : الرسل غير أولي النبوذ
٢٣٦ - ٢٣٥	١ - إندريس عليه السلام
٢٤٠ - ٢٣٧	٢ - هود عليه السلام
٢٤٦ - ٢٤٦	٣ - صالح عليه السلام
٢٥٢ - ٢٤٧	٤ - زوط عليه السلام
٢٥٥ - ٢٥٢	٥ - إسحاق عليه السلام
٢٥٧ - ٢٥٦	٦ - إسحاق عليه السلام
٢٦٠ - ٢٥٨	٧ - يعقوب عليه السلام
٢٧١ - ٢٦٦	٨ - يوسف الصديق عليه السلام
٢٧٥ - ٢٧٢	٩ - شعيب عليه السلام
٢٧٩ - ٢٧٦	١٠ - أيوب عليه السلام
٢٨١ - ٢٨٠	١١ - قو الكفل عليه السلام
٢٨٤ - ٢٨٢	١٢ - هارون عليه السلام
٢٩٣ - ٢٨٥	١٣ - داود عليه السلام
٢٠٩ - ٢٩٤	١٤ - سليمان عليه السلام
٢١١ - ٢٠٩	١٥ - إلياس عليه السلام
٢١٣ - ٢١٢	١٦ - اليسع عليه السلام
٢١٧ - ٢١٤	١٧ - يونس عليه السلام
٢٢٢ - ٢١٨	١٨ - زكريا عليه السلام
٢٢٨ - ٢٢٣	١٩ - يحيى عليه السلام
٢٣٧ - ٢٢٩	خاتمة البحث









## هذه الكتاب

يتناول جوانب دقيقة من حياة الرسل الكرام ودعوتهم ورسالتهم وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر، ومدى الانقلاب العظيم الذي أحدثه الأنبياء في تاريخ البشرية، منذ بدء الرسالة إلى أن ختمت النبوة بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ .  
كما يتناول (مزايا دعوة الأنبياء) وصفاتهم الجليله المعطرة التي خصهم الله تعالى بها من بين سائر الخلق، ويبحث عن جوانب العظمة في حياة كل رسول، ومقدار الجهد الذي بذله في إصلاح قومه وأمته حتى استطاع أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من الضلالة إلى الهدى، ويصل بهم إلى أوج العزة والسعادة التي أرادها الله لبي الإنسان .

ويتحدث عن قادة الأنبياء وسادتهم وهم (أولو العزم) بالتفصيل وما لا قوة في سبيل تبليغ الدعوة من شدائد وأهوال، يعجز عن تحملها البشر، حتى كتب الله لهم النصر على أعدائهم وجعل لهم العزة والسيادة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ .

ويتحدث عن بقية الرسل الكرام، المذكورين في القرآن العظيم والمواقف البطولية التي وقفها الأنبياء في وجه الكفر والضلال، وهم يسعون أن ينفذوا البشرية ويخلصوها من شرورها وآثامها .

وفيه ردّ على الشبهات التي وردت حول (عصمة الأنبياء) وفيه إثبات لنظرية الخلق التي ذكرها القرآن الكريم، وردّ على نظرية (النشوء والتطور) التي ذكرها (داروين) وإبطال لها من الناحيتين العلمية والدينية .

وباختصار هو كتاب جامع لسيرة الأنبياء الأطهار جمع فيه المؤلف شتات الأخبار والآثار، وقصص الرسل بعيداً عن الأساطير والأقوال الإسرائيلية التي حشاها بعض المؤلفين في كتبهم، وهو كتاب حافل بالتحقيقات العلمية لا يستغني عنه الخاصة ويحتاج اليه المسلم والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل .